السبت 9 نيسان 2022
العدد 4606 السنة السادسة عشرة
Samedi 9 avril 2022 nº 4606 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

محمد الشلطامي
ليبيا سيرة موازية

تأديب غادة عون لإخراجها: «تخريجة» لحماية رياض سلامة والمصارف؟ [2]

وزارة المال والمركزي يعرقلان الغاز المصري [3]

اطلب القوس مع الأخبار

ذهول وذعر في الكيان
إسرائيل بلا ردع
[12 ـ 13]

يبرز تركيز المصفّحين على العدو الإسرائيلية داخل الخطّ الأخضر (أ ف ب)

البلاد

شتات
شباب المخيّمات في انتظار الفرج: نعمل بأي شيء! [8]

أهل الأرض
وادي فوكين: بلدة «نصف اللاجئين» [9]

إسرائيليات

عنصريّة بوجوه كثيرة [10]

قضية اليوم

تخريجة لحماية رياض سلامة والمصارف
تأديب غادة عون... لإخراجها؟

بعد سعي دؤوب لمنع المدعية العامة في جبل لبنان القاضية غادة عون من استكمال تحقيقاتها في ملف تهريب الأموال، وجدت السلطات السياسية والقضائية والمالية والإعلامية ضالّتها في خطأ شكلي ارتكبته. فهل تكون هذه «تخريجة» لـ«تنييم» ملف التحقيق مع رياض سلامة والمصارف؟

رضوان مرتضى

(أرشيف ـ مروان طحطح)

استيقظ التفتيش القضائي فجأة على خطأ شكلي يعد سبات طويل لم يوقظه منه أيٌّ من ملفات الفساد وسرقة أموال المودعين

بـ«السراج والفتيلة» تبحث المنظومة السياسية - المالية - القضائية - الإعلامية عما بدين القاضية الوحيدة التي تجرّأت على المس بحاكم المصرف المركزي وشقيقه وشركائه وتهريب المصارف أموال المودعين، ويبدو أنها وجدت «ضالّتها» أخيراً في ذريعة سفر المدعية العامة لجبل لبنان القاضية غادة عون من دون إذن، والمسّ بسمعة قاضٍ زميل لها. قد تكون عون ارتكبت خطأ شكلياً، ومن المؤكد أنها أخطأت بقبولها الظهور إلى جانب المرشّح للانتخابات النيابية عن طرابلس عمر حرفوش، إلا أنّ المفاجئ أنّ التفتيش القضائي الغارق في سبات منذ فترة طويلة لم يوقظه أيٌّ من ملفات الفساد وسرقة أموال المودعين، استيقظ فجأة على خطأ شكلي، وقرّر رئيس الهيئة بركان سعد أن يضرب بسيف السلطة المالية - السياسية لتأديب من تجرّأ على التغريد خارج سرب القضاة الصامتين، مدعوماً بموقف زملائه في مجلس القضاء الأعلى الذين طالبوا بمحاسبة عون والقاضي فيصل مكي وإحالتهما على المجلس التأديبي، وتترافق إحالة أي قاضٍ على المجلس التأديبي عادة مع طلب وزير العدل كفّ يده ووقفه عن العمل إلى حين صدور القرار، ما يعني إطاحة ملف التحقيق مع حاكم المصرف المركزي رياض سلامة الذي تتولّاه غادة عون. وهنا بيت القصيد. إذ قد تكون هذه هي التخريجة التي سُرّب إلى بعض المصارف أخيراً أن العمل جارٍ عليها لتجميد القاضية عون، علماً بأن مجلس القضاء نفسه الذي استنفر لمحاسبة عون، سبق أن عقد تسويات مع قضاة فاسدين وكانت عون قد زارت مجلس الشيوخ الفرنسي، الأسبوع الفائت، بناءً على دعوة رسمية أكّدت لـ«الأخبار» أنها أبلغت وزير العدل هنري خوري بها عبر الهاتف، وأنها تقدّمت بإذن سفر أيضاً. ترافقت الزيارة مع نشر فيديو لها تحدثت فيه عن ارتهان بعض القضاة وسطوة السياسة وعن خوف بعض القضاة بما يحول دون إحقاق الحقّ. استنفرت هذه التصريحات أهل القضاء والسياسة والإعلام، فاتصل وزير العدل الموجود خارج لبنان برئيس مجلس القضاء الأعلى سهيل عبود الذي طلب من رئيس هيئة التفتيش القضائي إحالة عون على مجلس تأديب القضاة «بسبب سفرها من دون إذن رسمي وإدلائها بشهادات مسيئة ضدّ قضاة لبنانيين».

مصادر مجلس القضاء الأعلى أكّدت أن القاضية عون «اتصلت فعلاً بوزير العدل لإبلاغه بتلقيها الدعوة فطلب منها أن ترسل له نصها، إلا أنها لم تفعل. وعندما عاود سؤالها عنها لم تُجبه، وسافرت من دون إذن خطي أو حتى موافقة عبر الهاتف. بناءً على ذلك، رأى وزير العدل أن لا وجود لدعوة من مجلس الشيوخ الفرنسي لأن دعوات كهذه تُرسل عبر وزارة العدل قبل أشهر من موعد المؤتمر، وليس بشكل شخصي إلى القضاة قبل أيام قليلة من الموعد المحدد».

وعلمت «الأخبار» أنّ وزير العدل سيطلب فور عودته من السفر تحويل القاضية عون إلى هيئة التفتيش لسفرها من دون إذن رسمي. وأوضحت المصادر أن الإجراءات ضدها مردها الملابسات التي رافقت الزيارة، منها إشارتها إلى أن القاضي بيار فرنسيس طلب التنحي عن ملف رجا سلامة لأنه خاف، وتصرفها كإعلامية وليس كقاضية في حفل عشاء تحدثت خلاله عن الفساد القضائي واستنسابية القضاة، وتسريبها معطيات خرقت سرية التحقيق خلال حديثها عن ملف رجا سلامة». يُضاف إلى ما سبق، وجود عدد كبير من الشكاوى في سجل القاضية عون أمام هيئة التفتيش القضائي، علماً بأن عدداً كبيراً من هذه الشكاوى كيدي ومرتبط بفتحها ملفات المصارف.

عون أكدت أنها ستذهب إلى هيئة التفتيش القضائي الأسبوع المقبل، وردت على الحملة التي شُنّت ضدها بنشر نص الدعوة التي تلقّتها من نائبة رئيسة لجنة القوانين في مجلس الشيوخ الفرنسي ناتالي غوليه. وأكدت لـ«الأخبار» أنها أبلغت وزير العدل هاتفياً بالدعوة، وأرسلت له طلباً خطياً بذلك قبل أسبوع. كما أبلغت مدعي عام التمييز القاضي غسان عويدات الذي «أجابني: الله معك». واستغربت خبر إحالتها الى مجلس التأديب من قبل هيئة التفتيش قبل أن تستمع اليها أصلاً، مؤكدة أنها لم ترتكب أي خطأ بقبول دعوة غوليه بصفتها منظمة للمؤتمر الذي يُعقد بمبادرة من حرفوش. أما في ما يتعلق بالصورة التي انتشرت لها شاكبة ذراعها بذراع حرفوش، فلفتت إلى أنها تعاني كسراً في قدمها، وكان حرفوش يساعدها أثناء سيرها.

تقرير

وزارة المال والمركزي يعرقلان الغاز المصري

رضا صوايا

تلقت وزارة المال رسالة من البنك الدولي، الخميس الماضي، يطلب فيها تسديد متأخرات مستحقة على مؤسسة كهرباء لبنان بقيمة 78 مليون دولار، قبل منتصف الشهر الجاري، وأن يؤمن مصرف لبنان آلية نظامية لتحويل الليرات المحصّلة من المؤسسة إلى دولارات ليكون لديها نظام دفع واضح، معتبراً أن تنفيذ هذين المطلبين سريعاً أمر ضروري قبل إنهاء ترتيبات اتفاقية استجرار الغاز من مصر التي سيموّلها البنك، ليكون معمل دير عمار الذي يفترض أن يتسلّم الغاز من مصر قادراً على الإدارة والتشغيل.

ورغم أن العراقيل أمام إنهاء اتفاقية استجرار الغاز المصري بدت، حتى الآن، أكثر ارتباطاً بالقرار السياسي الأميركي المتعلق بمنح مصر استثناء مكتوباً وواضحاً من العقوبات التي يمكن أن تفرض عليها بموجب «قانون قيصر» إذا وَرَدت الغاز إلى لبنان عبر سوريا، إلا أنه تبيّن وجود عراقيل محلية تقف وراءها وزارة المال ومصرف لبنان، بامتناعهما عن تنفيذ قرارات مجلس الوزراء لجهة تحويل الليرات في حساب مؤسسة كهرباء لبنان إلى دولارات لتسديد مستحقات متعلقة بعمليات التشغيل والصيانة بقيمة 78 مليون دولار.

وكان مجلس الوزراء قد وافق، في 23 آذار الماضي، على توفير 78 مليون دولار نقداً طلبتها «كهرباء لبنان» لتشغيل معامل دير عمار والذوق والزهراني والجية تفادياً لانهيارها، علماً بأن للمؤسسة أموالاً في حسابها لدى مصرف لبنان بقيمة 400 مليار ليرة، يرفض المصرف تحويلها وفق سعر الصرف الرسمي. وأدّى هذا الرفض إلى تراكم المتأخرات بالعملة الأجنبية المطلوب تحويلها لتسديد المستحقات الماليّة المتوجبة لمصلحة شركة «Prime South» المشغّلة لمعملَي دير عمار والزهراني، وتحالف «MEP/OEG/Arkay Energy» الذي يشغّل معملَي المحركات العكسية في الذوق والجية، وشركات مقدّمي خدمات التوزيع «MRAD, NEUC, KVA, BUS»، التي انتهت العقود الموقعة معها.

تلكؤ وزارة المال ومصرف لبنان في تحويل المبلغ المستحق لمؤسسة كهرباء لبنان إلى الدولار النقدي دفع بالمدير الإقليمي للبنك الدولي في الشرق الأوسط ساروج كومار جاه إلى توجيه كتاب إلى وزير المال، أول من أمس، تتطلبان دعم الوزارة والبنك المركزي، ويفترض إنجازهما قبل إقرار اتفاقية القرض. وذكّر الكتاب وزير المال بأن «على مؤسسة كهرباء لبنان إنشاء عمليات تشغيل وصيانة كافية لمحطة دير عمار التي ستتلقى الغاز المصري»، وبأن البنك «على دراية بأن المتأخرات المتوجبة على المؤسسة لمصلحة الشركة المشغلة للمعمل أعاقت تمديد العقد بين الطرفين»، وأعاد البنك الدولي تذكير الوزير بالقرار الصادر عن مجلس الوزراء والقاضي بتوفير مبلغ 78 مليون دولار لمصلحة المؤسسة لسداد جزء من المستحقات المتوجبة عليها للمشغل، مشيراً بوضوح إلى ضرورة اعتماد سعر الصرف الرسمي لتحويل المبلغ المتراكم لمصلحة المؤسسة لدى المصرف المركزي والبالغ 400 مليار ليرة وذلك قبل منتصف الشهر الجاري، كون اعتماد سعر منصة صيرفة لن يوفّر إلا «18 مليون دولار أميركي وهو مبلغ أقل بكثير من المبلغ الذي وافق عليه مجلس الوزراء والذي تحتاج إليه المؤسسة للحفاظ على عملياتها بشكل جزئي».

(أ ف ب)

طلب البنك الدولي تسديد مستحقات المؤسسة لدى المركزي بالدولار الرسمي قبل 15 نيسان

بكلام أوضح، يتطلب توريد الغاز المصري أولاً، وقبل عقد أيّ اتفاقية، توفير التمويل اللازم لتشغيل وصيانة معمل دير عمار ليكون جاهزاً لاستقبال الغاز. فما الذي يبرر هدر وزارة المال ومصرف لبنان أسبوعين في تنفيذ قرار صادر عن مجلس الوزراء، فيما أزمة الكهرباء تزداد تعقيداً وتتجه نحو الأسوأ مع الاقتراب من فصل الصيف؟ وهل يعقل أن يكون البنك الدولي أكثر استعجالاً من المسؤولين في لبنان لتوفير الكهرباء للبنانيين؟

الخطوة الثانية التي يطلب البنك الدولي تنفيذها، هي «إنشاء البنك المركزي آلية تتيح لمؤسسة كهرباء لبنان الوصول بشكل منهجي إلى الدولارات من حسابها الفردي لتحصيل الفواتير والذي من المتوقع أن يكون مقوّماً بالليرة اللبنانية». وشدد البنك الدولي على أن «هذه الآلية يجب أن تكون خالية من المراجعة التعسفية»، وأنه «يجب أن يقترن مؤشر تعرفة الكهرباء بالنقد الأجنبي كما هو مذكور في خطة الكهرباء مع قدرة مؤسسة كهرباء لبنان على تحويل الليرة اللبنانية إلى الدولار الأميركي بشكل منهجي وبسعر صرف يعكس واقع السوق».

تقرير

اللبنانيون يسيّلون ذهبهم

خلافاً لبقية دول العالم حيث شهدت أسواق الذهب تهافتاً على شراء المعدن الأصفر بعد ارتفاع أسعاره عالمياً إلى حدود ألفي دولار لأول مرّة منذ عام ونصف عام بسبب الأزمة الروسية – الأوكرانية، لم يسجّل نشاط لافت في لبنان، خلافاً لما أشيع، بل كانت هناك حركة تسييل للكميات التي يملكها اللبنانيون سواء بهدف تمويل استهلاكهم وأكلاف معيشتهم اليومية، أو بحكم تصفية أصولهم.

ففي الفترة الأخيرة، انتشرت معطيات عن سعي الأفراد والمستثمرين لشراء الذهب كملاذ آمن يتحوطون من خلاله للمستقبل. وتزامن ذلك مع دعوات من قبل «اقتصاديين» و«خبراء» يحثون الناس على الاستثمار في المعدن الأصفر. لكن بحسب نقيب معلمي صناعة الذهب والمجوهرات في لبنان بوغوص كورديان فإن «بعض المتمولين سارعوا الشراء الذهب مع ارتفاع أسعاره عالمياً. إلا أن هذه الحركة على بساطتها تراجعت لاحقاً. فقد شهدنا إقبالاً على شراء الذهب ابتداء من 17 تشرين الأول 2019 من قبل مودعين حاولوا تخليص أموالهم العالقة في المصارف عبر شراء الذهب بالشيكات المصرفية، لكن التجّار أوقفوا لاحقاً التعامل بالشيكات. لذا، كانت العملية محصورة بمن حاولوا إنقاذ أموالهم من المصارف وليس بأفراد أرادوا التحوّط للمستقبل وشراء الذهب بالدولارات النقدية المتوافرة بين أيديهم أو المخبأة في المنازل».

وتلفت مصادر بعض الشركات التي تعمل في مجال التداول بالذهب والمعادن الثمينة إلى أن «اللبنانيين فضلوا الاستثمار بالدولار عوض الذهب منذ أن اطلت الأزمة برأسها. وهو ما دفع بالكثيرين إلى بيع ما يملكون من ذهب ومجوهرات في حوزتهم لتسييلها إلى دولارات وإن لم يكونوا بحاجة لها في حينه. فكانت هنالك حالة من القلق والخوف من أن ينقطع الدولار من السوق، بالتالي الا يتمكنوا من بيع الذهب في مرحلة لاحقة في حال احتاجوا إلى السيولة». بكلام آخر «تخلّى الكثيرون عن ذهبياتهم بالرخص إذا قسنا سعر الذهب منذ عامين ونصف باسعاره حالياً. فمع نهاية عام 2019 بلغ سعر أونصة الذهب نحو 1511 دولاراً، فيما تخطى سعرها منذ أقل من أسبوعين عتبة الألفي دولار».

(أرشيف ـ بلال جاويش)

ومع اشتداد الأزمة زاد مبيع الذهب من قبل المواطنين ولكن «ليس من باب التموّن بالدولارات هذه المرة، إنما لتأمين سيولة فورية بين أيديهم، ولدفع ثمن احتياجاتهم اليومية وفواتيرهم» على ما يوضح المعنيون في القطاع. وفي هذا الإطار يشرح كورديان أن «الإقبال على بيع الذهب عاد وهبط لأن الكثيرين، ولا سيما المنتمين إلى الطبقة المتوسطة، باعوا ما يملكون من ذهب. أما شراء الذهب في المرحلة الراهنة وحتى لو كان مغرياً فصعب على الأغلبية، لافتقار الناس إلى السيولة. راتب مليون ونصف مليون ليرة يساوي حالياً غراماً ونصفاً من الذهب فقط. في الماضي كان راتب بهذه القيمة يساوي ألف دولار أميركي، ما كان يتيح للناس شراء 5 غرامات بـ 150 أو 200 دولار. من يملك اليوم 3 أو 4 غرامات ذهب يبيعها ليدفع فاتورة الموتور لشهر واحد».

يشير أستاذ استراتيجيات الاستثمار في الأسواق العقارية في الجامعة اللبنانية الأميركية، جهاد الحكيم، إلى أن «بديهيات الاستثمار تفرض تنويع المحفظة المالية. ومن النصائح الشعبية المتوارثة القول: استثمر إما بالحجر وإما بالحجر. أي بالذهب أو بالعقارات. وأنا ومنذ أعوام وتحديداً منذ شهر آب 2018 نصحت المواطنين بالاستثمار بالذهب وليس بالعقارات. فالذهب ومنذ ذلك التاريخ ولغاية اليوم ارتفع بنسبة 70% فيما هبطت قيمة العقارات بالعملة الحقيقية (real money) بنسبة تزيد على 60%. بالتالي من استثمروا في العقارات خسروا. ولا شك أن جهل الناس بالشؤون الماليّة دفع بالكثيرين إلى الإحجام عن الاستثمار في الذهب، فيما من البديهيات أنه وحين تحصل أي اضطرابات مالية واقتصادية تسارع صناديق الاستثمار وصناديق التحوط والمصارف المركزية والناس إلى شراء الذهب».

واقع انعكس على قطاع صناعة المجوهرات حيث يؤكد كورديان أن «الغلبية مصانع المجوهرات في لبنان أقفلت والكثير من معلمي الذهب هاجروا. حرفياً القطاع شبه مشلول».

رضا...

مقالة

إسرائيل تسلّم بمعادلة حزب الله الجوية: قدراتنا انحسرت في جمع المعلومات الاستخباراتية

علي حيدر

أقر قائد سلاح الجو الإسرائيلي الذي انتهت ولايته قبل أيام، اللواء عميكام نوركين، بأن حرية عمل سلاح الجو الإسرائيلي فوق لبنان «تضررت خلال السنة الأخيرة»، مشيراً إلى أنه بسبب خطر منظومة الدفاع الجوي لحزب الله على حركة المسيّرات بات «هناك عدد أقل من العمليات الجوية، ما يعني انحسار القدرة الإسرائيلية على جمع المعلومات الاستخباراتية».

وهذا أول إقرار يصدر عن مسؤول بهذا المستوى، ويأتي بعد أقل من شهرين على إعلان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، تمكن المقاومة الإسلامية من تحجيم حركة المسيّرات في أجواء لبنان. وأهمية هذا الإقرار أنه يتعذر على الرأي العام تلمس نتائجه وتأثيره الاستخباري ودرجة خطورته من دون إعلان الجهات المعنية عنه بشكل مباشر، وتنبع خطورته من كونه يتصل بمجال يتمتع فيه جيش العدو بتفوق بارز على مستوى الشرق الأوسط، ويشكل ركيزة أساسية لقدراته الهجومية والدفاعية، ناهيك عن التحصين الإضافي الذي يوفره للمقاومة.

الإقرار الإسرائيلي يؤكد أن حزب الله حقق إنجازاً نوعياً، بهدوء، وتدرج ومن دون خوض مواجهة عسكرية. وهو بمثابة إنجاز عملياتي واستخباري للمقاومة، في سياق حرب أمنية يخوضها الطرفان منذ ما بعد حرب 2006. وميزة هذا النوع من الحروب أنه غير صاخب رغم أنه في كثير من الأحيان يتسم بسخونة عالية لا يشعر بها الرأي العام، وتساهم نتائجه في بلورة نتائج أي حرب قد تنشب، وتؤثر في قرارات وخيارات الأطراف المعنية.

وتلعب المسيرات دوراً جوهرياً في المعركة بين الحروب التي يخوضها العدو ضد المقاومة. إذ تشكل إحدى أهم وسائل جمع المعلومات الاستخبارية، إلى جانب الدور العملياتي التي يمكن أن تلعبه كما حصل في منطقة حي ماضي (الضاحية) عام 2019، عندما حاول العدو أن يشن اعتداء دقيقاً بـاء بالفشل. ومنذ تلك اللحظة قرر حزب الله تدفيع العدو ثمن قراره الانتقال إلى المرحلة العملياتية في استخدام المسيرات عبر فرض معادلة جديدة تطاول حركة المسيرات في المجالين الاستخباراتي والعملياتي. وترجم سلّم بالمعادلة الجديدة التي فرضتها المقاومة. ورغم أن العدو يدرك حجم الخسارة المعلوماتية التي سيتعرض لها بسبب هذا التسليم، إلا أنه حرص على تجنب خيار الرد العسكري بعدما مُسيّرة إسرائيلية «وكاد أن يصيبها» في إشارة إلى قرار الحزب بالحد من خطورة نشاط المسيرات.

نوركين لفت إلى أن حزب الله قرر تفعيل «بعض المفاجآت التي احتفظ بها للحرب» في إشارة إلى امتلاكه قدرات أكثر تطوراً في مجال الدفاع الجوي. ويؤشر إقراره بانحسار القدرة الإسرائيلية على جمع المعلومات الاستخبارية في لبنان، إلى أن العدو سلّم بالمعادلة الجديدة التي فرضتها المقاومة. ورغم أن العدو يدرك حجم الخسارة المعلوماتية التي سيتعرض لها بسبب هذا التسليم، إلا أنه حرص على تجنب خيار الرد العسكري بعدما لمس قدرة حزب الله وتصميمه على مواصلة هذا المسار. ولعل الرسالة التي لا تقل أهمية، أن من اتخذ قراراً بتقييد حركة سلاح الجو التي يتمتع بها العدو بتفوق بارز، من المؤكد أنه سيكون أكثر حزماً ومبادرة في مواجهة أي وقائع يحاول العدو أن يفرضها في البحر والبر. وبعد إنجاز المسيرة «حسان» التي جالت بعمق 70 كلم فوق الأراضي الفلسطينية المحتلة، لم يعد خيالياً افتراض سيناريو يقرر فيه حزب الله في مرحلة من مراحل الرد على اعتداءات العدو وخروقاته الجوية بالمثل في سماء فلسطين، وبوتيرة ومدى غير مسبوقين.

انتخابات 2022

برلمان ما بعد 15 أيار: إلى مَن يذهب الثلث + 1؟

مذ انتهت مهلة تأليف اللوائح الاثنين الفائت، بات الجميع في طور انتظار 15 أيار. كلٌ من الافرقاء أنجز ائتلافاته ولوائحه وموازناته ودعاياته وباشر حملاته. اليوم الجديد على هؤلاء جميعاً، هو غداة إقفال صناديق الاقتراع وإعلان النتائج الرسمية النهائية

هل يتكرر ما تلا عام 1992 بوضع السلطات والمؤسسات في يد فريق واحد؟ (هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

الاعتقاد السائد بأن الأصعب يكون قد مرّ في اليوم التالي لانتخابات 15 أيار 2022، ويبقى مذاك الأسهل، يبدو مبالغاً فيه بدءاً من صباح 16 أيار 2022. بالتأكيد إذا أجريت الانتخابات النيابية بلا عراقيل أو متاعب أو اضطرابات، وانتهت على خير بلا فوضى أو ربما عنف، واستكملت كل الدوائر إقفال صناديقها. ليس اليوم التالي خاتمة كل ما كان تحضّر في الأشهر

> **إذا اجريت الانتخابات ستكون البلاد أمام برلمان الفريق الواحد**

الأخيرة، بل فاتحة ما سيأتي. أي برلمان منتخب سيبصرون؟ من الطبيعي توقّع أكثر من معضلة، ليست بينها أخيرة، بعد الانتخابات النيابية العامة. في 21 أيار تنتهي ولاية المجلس الحالي بانتخاب رئيس للبرلمان المنتخَب وهيئة مكتبه، من ثم تعتبر حكومة الرئيس نجيب ميقاتي مستقيلة حكماً، دونما حاجة إلى تقدمها باستقالة، كي تبدأ مهل التحضير لتأليف حكومة جديدة في مدة قصيرة استثنائية هذه المرة، هي ثلاثة أشهر و10 أيام فقط، قبل الدخول في المهلة الدستورية لانتخاب رئيس جديد للجمهورية، تبدأ في 31 آب وتنتهي في 31 تشرين الأول. لكل من هذين الاستحقاقين المتتاليين، هو الذي تنتظرهما في أوانهما.

غير أن لذلك كله أولاً، هو البرلمان الجديد المعني مباشرة بالاستحقاقين المتتاليين. هو الذي سيسمي الرئيس المكلف، وهو مَن سيمنح الثقة للحكومة الجديدة، ورئيسه مَن يوجه الدعوة إلى انتخاب رئيس جديد للدولة، وهو مَن سينتخب خلف الرئيس ميشال عون. هو أيضاً المدعو إلى أن يتحسّب، للمرة الرابعة، لاحتمال شغور رئاسي بعد أعوام 1988 و2007 و2014، بعدما أضحى الشغور تقليداً اعتيادياً كلما جبهت الاستحقاق الرئاسي أزمة اتفاق داخلي.

أما الأهم في ذلك كله، فهو أن البرلمان المنتخَب - أيا تفضي إليه تركيبته الجديدة - سيكون مدعواً إلى استخدام نصاب الأكثرية المطلقة في استحقاق، ونصاب أكثرية الثلثين في استحقاق آخر. مغزى ذلك، أن الأشهر الخمسة الأولى له هي تقريباً كل ولايته نظراً إلى ما ينتظره من أوزار. لن يشبه أياً من البرلمانات التي سبقته في أكثر من عقد ونصف عقد من الزمن، كان في خلالها أقرب ما يكون إلى مجالس ائتلافية. على صورته تألفت الحكومات التي واكبت الحقبة تلك. ليس منقسماً بين قوى 8 و14 آذار، ولا بين غالبية عددية عديمة الفاعلية وأقلية فائضة القوة، ولا بين توازنين سلبيين يقوم عليهما التخويف المتبادل السنّي - الشيعي. على نحو يقلب المعادلة المعتادة، سيكون البرلمان المقبل برلمان الفريق الواحد الذي لا يشكو من عيب. تتساوى فيه الأكثرية العددية والأكثرية الميثاقية.

من ذلك أهمية ما يقال إن حزب الله وحلفاءه ضمنوا سلفاً منذ الآن، على نحو حاله منذ انتخابات 2018، الغالبية المطلقة الجديدة برقم، يتوقع أن يبلغ 72 نائباً وربما يتجاوز 75 نائباً. يقال في المقابل إن الفريق المناوئ له (وليد جنبلاط وحزب القوات اللبنانية والنواب السنّة المعد أنهم تركوا تيار المستقبل أو المعادون لحزب الله وكذلك النواب المستقلون) يطمحون إلى امتلاك الثلث + 1 من أعضاء مجلس النواب (44 نائباً)، للحؤول دون تمكين قوى 8 آذار من السيطرة على انتخابات رئاسة الجمهورية الخريف المقبل.

بعدما اعتادت البرلمانات المتعاقبة منذ انتخابات 2005، تسمية رئيس مكلف لأولى حكومات ما بعد الانتخابات، ثم تأليف حكومات تليها تبعاً للقياس نفسه، تكون الشخصية السنّية الأكثر تمثيلاً لطائفتها، المنبثقة للتو من الانتخابات النيابية العامة، يغدو هذا الاختبار أكثر تعقيداً في المرحلة المقبلة. أخرج تيار المستقبل ورئيسه الرئيس سعد الحريري نفسه من المعادلة الوطنية بدءاً من مجلس النواب، فأفقد نفسه دوراً حاسماً ليس في تسمية الرئيس المكلف وتأليف الحكومة فحسب، بل كذلك في الاستحقاق التالي وهو انتخاب رئيس جديد للجمهورية. بالتأكيد ليست المسألة الميثاقية هي المشكو منها ما دام نواب سنّة سيُنتخبون خلفاً لأولئك العازفين عن الترشح. وليست المسألة العددية هي التي ستبخس السنّة دورهم وحضورهم في الاستحقاقين المقبلين. أول مؤشرات هذه المشكلة يبدأ في يوم الاقتراع والتحقق من نسبة المشاركة السنّية فيه، بينما يتزايد الاعتقاد يوماً بعد يوم أن الانخفاض المتوقع في التصويت سيكون مثيراً للقلق، وليس إلا تعبيراً عن قرار بمقاطعة للانتخابات.

مقدار ما يمكن أن تُفسَّر المقاطعة السنّية، التي لا يتوقف تيار المستقبل عن تأكيدها والإصرار عليها ترشيحاً - وقد مضى عليه الوقت - واقتراعاً، على أنها اختبار لتضامن الشارع السنّي مع الحريري والتحاقه به أنّى سلك وجهته، إلا أن المقاطعة هذه تعني في المقابل أن لا عودة عنها قبل نهاية عهد الرئيس ميشال عون. تالياً ينأى تيار المستقبل، كما الحريري بنفسه، عن استحقاقات ما تبقى في الولاية. وهذه لا تقتصر على استحقاقي الانتخابات فحسب، بل تطاول أيضاً ما يمكن استدراك حصوله في الأشهر القليلة المقبلة، بعد الإعلان عن اتفاق لبنان مع صندوق النقد الدولي.

ربما الأصح في ما قد يكون عليه مجلس النواب الجديد، أنه سيستعيد قواعد حكم البلاد تبعاً لما فرضته دمشق بين أعوام 1989 و2005، وهو أن تضع بين أيديها الرئاسات الثلاث والسلطتين الاشتراعية والإجرائية، ناهيك بالجيش، وتسلّم إلى وكلاء لها إدارة شأن كل منها من داخلها. بيد أن القرار لها. لم يسعها أن تصل إلى هذا الحد من إحكام السيطرة، إلا بعد انتخاب أول مجلس نيابي بعد الحرب عام 1992. من ثم لم تعد مضطرة إلى استخدام العصا والقوة لفرض خياراتها، ولا لفرض مرشحيها أينما كانوا. أعطت القليل إلى الوكلاء كي تفوز بالكل. ساعدتها في ذلك حينذاك المقاطعة المسيحية. طوال أعوام الولاية السورية، لم يشهد لبنان برلماناً ائتلافياً مرة، بل برلمان الفريق الوحيد.

ما أشبه اليوم بالبارحة. بلا أي نبوءة، يتكرر ذلك. كان ما حدث ما بين عامي 2005 و2018، المثقل بمساوئه، أضحى من الماضي. عدة الشغل جاهزة: المقاطعة والوكلاء والظروف وصاحب الأمر.

المستقبل يكرر: لا نتدخل، لا ندعم ولا نحارب

أكد تيار المستقبل في بيان جديد، أمس، أنه «لا يتدخل أو يدعم أو يحارب أي لائحة». وذكّر بـ«توجيهات الرئيس سعد الحريري القاضية بتعليق كل أشكال العمل السياسي والانتخابي». وقالت مصادر لـ«الأخبار» إن البيان المكرر «استدعاه ما يحكى في الكواليس عن تبني المستقبل لعدد من المرشحين ونيته تجيير أصوات قاعدته لصالحهم، وأبرزهم المرشح عن المقعد السني في دائرة الشوف – عاليه سعد الدين الخطيب الذي يروّج مسؤولون في ماكينة الحزب التقدمي الاشتراكي بأن المستقبل سيمنحه ستة آلاف صوت من إقليم الخروب».

يذكر أن الرئيس السابق لماكينة آل الحريري في صيدا يوسف النقيب المرشح عن المقعد السني في صيدا زار أول من أمس رئيس بلدية المدينة محمد السعودي القريب من المستقبل، وقالت مصادره إنه «سمع منه كلاماً داعماً».

المقعد السني الثاني في الشوف: المختارة تراهن على الرياض

لينا فخر الدين

«ضحّى» الحزب التقدمي الاشتراكي بالمقاعد المسيحية في دائرة الشوف للحفاظ على مقعد مروان حمادة، والأهم لمنع وئام وهاب من دخول المجلس النيابي على أعتاب نقل إرث المختارة، بشكل كامل، إلى تيمور جنبلاط. لذلك، لا صوت يعلو فوق صوت «معركة تيمور ومروان»، ولا أصوات درزية فائضة عنهما لرفد المرشحين السنيين على اللائحة، النائب بلال عبدالله وسعد الدين الخطيب.

الأول عمل بجهد خلال السنوات الأربع الماضية وكرّس نفسه خدماتياً، فضلاً عن كونه من واحدة من كبريات العائلات في شحيم التي تُعد أكبر القرى السنية في إقليم الخروب. لذلك يملك رقماً يخوّله حجز المقعد السني في ظل ضعف المرشحين الآخرين. أما الخطيب فيفتقد إلى هذه المقوّمات، وتدرك المختارة أنّ مقعده في خطر، ولو أنّ مسقط رأسه برجا ستُجيّر له الكثير من الأصوات. لذلك، تُراهن على استنفار «مستقبلي»، قبل أيّام من موعد الانتخابات، يُترجم صبّاً للأصوات التفضيلية السنية لمصلحة الخطيب بما لا يقل عن 6000 صوت، خصوصاً أن هناك من يسوّق بأن ترشيحه جاء بتزكية مباشرة من مستشار الرئيس سعد الحريري، النائب السابق غطاس خوري. ويتكئ «الجنبلاطيون» على الدعم السعودي الآتي على حصان السفير السعودي وليد البخاري. فالرياض التي تدخّلت لإنجاح التحالف مع سمير جعجع، لن يعصى عليها مفاتيح تيار المستقبل في الإقليم لتجيير أصواتهم لصالح لائحة «الشراكة والإرادة»، وتخطي خصومتهم المستجدّة مع القوات وتحالف جنبلاط معها.

«توحدنا للتغيير» المعارضة من «إصراجات اللحظات الأخيرة». فبعد خروج مجموعة «الحقي» من الائتلاف كان مفترضاً أن تسمّي مجموعة «الشوف للتغيير» مرشّحَين عن المقعدين الدرزيّين، وواحداً عن المقعد الماروني. وأنتجت آلية اختيار المرشحين التي تعتمدها المجموعة ترشيح صعود أبو شبل الذي اعترضت عليه المجموعات المعارضة الأخرى خصوصاً الحزب الشيوعي اللبناني، باعتباره أبو شبل من قدامى القوات اللبنانية. ترشيح أبو شبل وضع المجموعات أمام واحد من خيارين: إما فرط التحالف في اليوم الأخير لتسكير اللوائح أو غض النظر لإنجاح اللائحة على قاعدة «مجبرٌ أخاك لا بطل». وفق من اعترضوا على الترشيح، مشيرين إلى أن كل مجموعة ستعمل في يوم الانتخاب على التجيير لمرشحها وإعطائه الصوت التفضيلي بمعزل عن الائتلاف.

عودة البخاري تعيد الروح إلى السنيورة

ميسم رزق

أقفلت مهلة تسجيل اللوائح، الاثنين الماضي، على عشر لوائح متنافسة في دائرة «بيروت الثانية»، عُدّت لائحة «بيروت تواجه» التي رعى الرئيس فؤاد السنيورة تشكيلها، الأضعف بينها والأكثر «برودة»، مع قرار صارم من رئيس الحكومة السابق بعدم «الفتّ» عليها من جيبه الخاص. البرودة تأتّت أساساً من غموض الموقف السعودي من اللائحة، رغم الاتصال الهاتفي بين السنيورة والسفير السعودي وليد البخاري. وزادها برودة انكفاء دار الفتوى، وإرباك الشارع البيروتي، ووقوعها بين مطرقة لوائح الخصوم وسندان «أهل البيت» المستقبلي الذين تعمل ماكينتهم على دفع الشارع السني إلى المقاطعة، وبخوضون معركة «دفن مشروع السنيورة في بيروت»، حتى لو أدى ذلك إلى فوز لائحة ثنائي حزب الله وحركة أمل!

غير أن عودة البخاري وزملائه الخليجيين أعادت معها «الانتعاش» إلى لائحة «بيروت تواجه» وراعيها، رغم الالتباس الذي لا يزال يحيط بوجهة الدعم السعودي المنتظر.

ويقول عاملون في الماكينة الانتخابية للائحة إن الحراك السعودي الأخير «رفع منسوب الثقة لديها وأعطاها جرعة منشّطة»، كما أن «تعددية اللوائح، ولا سيما التي تعدّ نفسها تغييرية ومن خارج المنظومة، تريحنا لأن الأصوات ستنقسم ولن تصب في مصلحة لائحة واحدة».

وتعوّل اللائحة على أن «بعض الجمعيات البيروتية التي كانت تتحسّب للرئيس سعد الحريري وقراره أصبحت تسوّق لفكرة أن الفراغ في الساحة السنية سيتيح

> **المكتب الانتخابي للائحة «بيروت تواجه» بات أكثر اكتظاظاً بالمفاتيح الانتخابية ومخاتير وأعضاء بلديين لم يكونوا يرتادونه سابقاً**

لحزب الله التحكم بقرار العاصمة»، وأنه «رغم أن الحريري لا يزال الزعيم بالنسبة إلى هؤلاء، إلا أن غيابه يفترض وجود بديل يواجه». وتلفت المصادر إلى أن «المكتب الانتخابي للائحة قرب منزل السنيورة بات أكثر اكتظاظاً بالمفاتيح الانتخابية المعروفة ومخاتير وأعضاء مجلس بلدي سابقين وحاليين، لم يكونوا يرتادونه سابقاً».

وبحسب خبراء انتخابيين، فإن الفترة بين 15 و20 الشهر الجاري، أي قبل شهر من موعد الانتخابات، والتي تُسمى بالـ«zone الرابع»، تعدّ «من أهم المراحل قبل الاستحقاق، إذ إن الجميع يحسم خلالها خياره». وعليه، من المفترض بدءاً من الأسبوع المقبل ارتفاع وتيرة نشاط السنيورة وأعضاء من اللائحة في بيروت. وبما أن الدعم السعودي الذي أراده السنيورة ظفر به، ولو على شاكلة اتصال هاتفي حتى الآن، فإن معركته المقبلة ستكون في وجه تيار المستقبل لرفع نسبة التصويت السني «لإعادة إنتاج توازن سياسي في بيروت في وجه حزب الله الذي يريد تغيير وجه المدينة سياسياً وتمثيلياً، مستغلاً غياب الحريري عنها». كما يراهن السنيورة أيضاً على أن يدفع الموقف السعودي، في حال كان جاداً وتظهّر في خطوات أخرى، دار الفتوى إلى التراجع عن انكفائها.

«الانتعاش» المستجدّ للائحة «بيروت تواجه» دفع المنافسين إلى استشعار الخطر، بعدما كانت كل المؤشرات تؤكد ضعف حظوظ السنيورة ولائحته. ومن بين هؤلاء النائب فؤاد مخزومي الذي «هاله التواصل السعودي مع السنيورة»، بحسب ما تقول مصادر مطلعة، بعدما أخفق هو في نيل الرضى السعودي رغم كل أوراق الاعتماد التي قدمها ويقدمها بالهجوم على حزب الله.

(هيثم الموسوي)

الشوف - عاليه تجمع الجماعة بالكتائب والأحرار

آمال خليل

تركز الجماعة الإسلامية، جنوب بيروت، على معركة المقعد السني في إقليم الخروب بعد الانسحاب من معركة المقعد السني في صيدا. لكنها، بين الشوف وعاليه، تواجه تحدياً بإقناع الناخبين السنة في الدائرة بالتصويت للائحة تجمعها مع شخصيات ذات خلفيات كتائبية ووطنيين أحرار. إذ إن لائحة «سيادة وطن» التي سجلت في اليوم الأخير من مهلة تسجيل اللوائح، وتصنف ضمن لوائح المستقلين والمجتمع المدني، تجمع مرشح الجماعة عمار الشمعة مع دعد ناصيف القزي المحسوبة على حزب الوطنيين الأحرار، وآخرين «متحدرين» من أجواء حزب الكتائب مثل نبيل بزيك. ويجهد الإخوان والمشايخ لرفع هذه «التهمة» عنهم لما لها من أثر سلبي لدى البعض في إطار رواسب حرب الجبل وتداعياتها، ويؤكدون بأن قرار الصيفي المركزي في هذه الدائرة، دعم لائحة المستقلين التي تضم مارك ضو. الحرج نفسه تواجهه الجماعة مع الناخبين الشيعة في الدائرة. لذا استبقت إبرام التحالف بالطلب من شركائها في اللائحة خفض سقف الشعارات التي كانوا يرفعونها في بداية حملتهم الانتخابية من «سحب سلاح حزب الله» إلى «مقاومة الاحتلال الإيراني». لكن بعض مسؤوليها لا يتوانون عن «التشهير» بالمرشحَين المنافسَين، أسامة المعوش من برجا وأحمد نجم الدين (مرشح الأحباش) من شحيم، على لائحة التيار الوطني الحر وطلال إرسلان ووئام وهاب، بـ«تهمة» أنهما «مدعومان من حزب الله».

وتأمل الجماعة بأن يحصل مرشحها، وهو نجل الشيخ إبراهيم الشمعة (أحد رموزها في برجا والإقليم)، على حوالي خمسة آلاف صوت تفضيلي، تضاف إلى أصوات كترمايا التي تضم اللائحة أول مرشح من أبنائها (مأمون ملك) يتوقع أن يحظى بحوالي ثلاثة آلاف صوت تفضيلي.

حكايات الانهيار

راجانا حمية

كان يمكن لمحمد سرور أن يعيش الانهيار الاقتصادي كأيّ مواطن عادي. ربما كانت أقصى «طموحاته» في ظلّه هي تأمين مردود إضافي لإعالة عائلته. إلا أنّ ذلك لم يحدث. مرض محمد بالسرطان قبل عام ونصف عام، فبات مواطناً «شحّاداً» لا يكفي راتبه لتأمين كلفة ربع جلسة علاج في المستشفى الخاص. محمد ليس نموذجاً استثنائياً. هو واحد من أصل 29 ألف مريض سرطان يشحذون اليوم علاجاتهم عند أبواب الجمعيات و«الخيّرين»

محمد سرور ضحية النظام... والسرطان

ليس المرض ما يوجع وأنها ما تفعله بنا المستشفيات والدولة (مروان بو حيدر)

منذ عام ونصف عام تقريباً، بدأ محمد سرور عملاً إضافياً بوظيفته في مصلحة تسجيل السيارات والمركبات الآلية. لم يبحث عن هذه الوظيفة لتأمين مدخول إضافي لعائلة تختنق من أزمة مستمرة كما يفعل الكثيرون اليوم، وإنما كانت قدراً فرضه مرض السرطان الذي باغته بعد انتصاف العمر. «العمل الجديد» يفرض على محمد الوقوف أمام أبواب لم يعهدها... ليشحذ كلفة علاجه الذي باتت المستشفيات الخاصة تسعّره بالدولار «الفريش»، وقد أجبر على فعل ذلك عندما وجد أنّ الدولة «التي من المفترض أن تحمينا تراقبنا كيف نموت»، يقول.

قبل أن يُصبح على هذا الحال، كان محمد يعيش حياة مستقرة «كأي موظف دولة». كانت تلك الحياة «مركلجة» على أساس راتبٍ يبلغ مليوناً و700 ألف ليرة لبنانية. في أيام الرخاء، كان المبلغ يكفي لتعيش العائلة المؤلفة من 6 أفراد «حياة الوردات»، بحيث لم تكن المصاريف مكلفة، وأقصى ما كان يزعجه مصروف البنزين للخروج من منزله في برجا إلى مكان عمله في بيروت. مع ذلك، كانت «مستورة».

«هيداك المرض»

كبر الأولاد بذلك الراتب، ولما بات همّ المعيشة أقلّ وبات هو أقرب إلى الراحة، جاءه المرض. لم يكن في الحسبان بداية أن يكون ما عاناه من الألم ولا يزال مرتبطاً بـ«هيداك المرض»، إلى أن أتت النتيجة إيجابية. كان ذلك قبل عام ونصف عام تقريباً، عندها انقلبت حياة محمد رأساً على عقب. كان عليه أن يبذل جهداً إضافياً للمواجهة: مصاريف البيت التي ازدادت كلفتها مع انهيار سعر الليرة وإصابة راتبه ومرض السرطان الذي ضرب إحدى رئتيه قبل أن ينتقل إلى الأخرى وظهره في المرحلة الحالية.

بدأ محمد حياته الجديدة مع المرض، فكان عليه أن يُضيف إلى العائلة «مصروف الأدوية والصور الشعاعية والعلاجات في المستشفى». مع ذلك، لم تكن البداية «صعبة»، يقول. على الصعيد النفسي، لم يجد محمد صعوبة في تقبّل المرض، فـ«أنا طالع منو بإيماني»، وعلى الصعيد المادي، كان اقدر على تسيير أمور طبابته، إذ كانت تقدميات صندوق تعاونية موظفي الدولة التي ينتسب إليها تغطي كلفة استشفائه وادويته. غير أن الواقع لم يكمل بتلك السلاسة، إذ ادى تسارع الانهيار إلى ارتفاع كلفة الاستشفاء وكلفة بعض الأدوية التي يستخدمها مرضى السرطان، فيما لم تعد تغطية تعاونية موظفي الدولة تفي بالغرض. ومنذ ما يقرب من ستة أشهر، بات محمد يدفع فاتورة إضافية إلى فاتورة التعاونية. في البداية، كان المبلغ مليون و400 ألف ليرة و«كان مقدوراً عليه»، ثم بدأ هذا المبلغ كلّ 21 يوماً، وهو موعد العلاج الكيميائي، يزداد «من دون أن نفهم ما هي تلك الزيادة». من مليون و400 ألف إلى مليون و700 ألف. التي كانت توازي راتبه في ذلك الوقت. إلى مليونين و200 ألف إلى 135 دولاراً أميركياً، و185 دولاراً دفعها قبل أيام لإتمام الجلسة ما قبل الأخيرة، «مليون ليرة منها استحصلت عليها من إحدى الجمعيات وبقية المبلغ من الناس».

من الخاص إلى الحكومي... فالخاص

لا يدفع محمد كل تلك الدولارات بدل سعر الدواء، فحتى اللحظة الراهنة لا يزال الدواء مدعوماً من قبل مصرف لبنان، وإنما يدفعها بدل المستلزمات التي تُستخدم في العلاج والإقامة في المستشفى... من دون احتساب كلفة فحص الـpet الذي يُجريه كل 21 يوماً قبل موعد العلاج، وكلفة الأدوية الشهرية التي يحتاجها محمد والتي تبلغ قيمتها 4 ملايين ليرة.

مطلع كلّ شهر، يحتاج محمد إلى سبعة ملايين ليرة بدل علاجاته في المستشفى وفي المنزل، تزيد مئات الليرات مع موعد كل جلسة، أي ما يعادل أربعة رواتب من تلك التي يتقاضاها من الدولة. يُضاف إليها «الصورة المولونة» التي يُجريها كل ثلاثة أشهر «والتي كانت كلفتها آخر مرة ثلاثة ملايين ونصف».

إلى اللحظة التي يُكمل فيها محمد جلسته السادسة من المرحلة الثانية من العلاج، لا يعرف ما هي طبيعة هذه الزيادات. مع ذلك، ليس قادراً على الانسحاب، لأن «مرضى السرطان لا يستطيعون تبديل الأطباء والمستشفى»، خصوصاً أنّ الطبيب المعالج يتّبع بروتوكولاً معيناً.

كانت المرة الوحيدة التي حاول فيها محمد ترك المستشفى الخاص حيث يُتابع علاجاته عندما أبلغه المحاسب أنّ كلفة 20 جلسة علاج شعاعي تبلغ 15 مليون ليرة. حينها شعر بالعجز، فأخبر الطبيب بأنه ليس قادراً على أخذ العلاج لأنه لا يملك ثمنه. عندها، «طلب مني الطبيب الذهاب إلى مستشفى بيروت الحكومي حيث يتابع مرضى هناك». فوجئ محمد بكلفة العلاج «حيث تسعّر عشر جلسات بمليون و400 ألف ليرة»، كما فوجئ بالفارق الذي يجبر على دفعه في المستشفى الخاص كي يتلقّى علاجاً لا يختلف عما هو في «الحكومي». غير أنّ ذلك لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما عاد محمد إلى المستشفى الخاص «بعدما استمرت العشر جلسات شهراً كاملاً بسبب تعطل الماكينة المستمر، وهو ما دفع الطبيب لإضافة 4 جلسات للتعويض».

أجبر المرض وجشع المستشفيات محمد لطرق أبواب الجمعيات الخيرية لتحصيل كلفة علاجه. فعل ذلك لأنه لم يجد أحداً إلى جانبه، كما غيره من مرضى السرطان «لا الوزارة ولا الدولة بحد ذاتها». طرق أبواباً كثيرة، وعندما انكسر، لم يجد أمامه سوى «طريق المدينة الرياضية»، حيث وزارة الصحة العامة، إلا أنه لم يجد أحداً، «وعندما اتصلت، أحالوني إلى أحد الأشخاص الذي أحالني بدوره إلى طبيب في مستشفى بيروت الحكومي، فتواصلت معه للسؤال عن الدواء علّني أستكمل العلاج لديه، فقال لي إنه غير متوفر حالياً وأن أتصل في وقتٍ آخر».

> كلّ 21 يوماً تجتمع العائلة لتسأل: «في دوا أو ما في؟»
>
> يدفع محمد 7 ملايين ليرة شهرياً بدل كلفة علاجاته
>
> الفارق كبير بين كلفة العلاج في الحكومي والخاص

كانت هذه التجربة القصيرة هي خلاصة تعاطي الدولة مع مرضى السرطان المتروكون لحالهم، ففي الوقت «الذي تجهّز فيه دول العالم مرضى السرطان لنهاية الحياة، فيما هنّا نحن نشحذ حبة الدواء وبدل العلاج». لم يكن محمد يرغب بأن يصل إلى هنا. إلى الشحادة. إلا أن المرض ولا مبالاة الدولة وجشع المستشفيات دفعوه لذلك. «أنا مش حرامي. أنا موظف. بس هيك ساقبت»، يردف محمد بغصة.

زُعل الرجل اليوم ليس من الخبيث، بقدر ما هو من مرضه بـ«هالدولة الزبالة». ليس المرض هو ما يوجع، وإنما «ما تفعله بنا المستشفيات والدولة». وهو وجع يتجدّد كل 21 يوماً «حيث نعيش كل جلسة على أعصابنا أنا وأولادي وغالباً ما يكون السؤال: في دوا أو ما في؟ وفي كلتا الحالتين، الهاجس هو نفسه تأمين المال لتحصيله وغالباً ما تؤمنه المستشفى... بابتزازنا بالكلفة». مع ذلك، لا أحد يحرك ساكناً، فيما الدولة خاضعة للمستشفيات الخاصة ولفرقة من المستوردين يحسبون الدواء في مستودعاتهم ويستغلّون وجع 29 ألف مريض سرطان يتابعون علاجاتهم اليوم.

اليوم، لا يوجد سوى حلّين بالنسبة لمحمد، فإمّا «أن تتولى الدولة استيراد الدواء وتختار مكاناً واحداً لعلاجنا فيه» وإما «فليرمونا في البحر»، وإن كان يجد نفسه بعد عام ونصف عام من الذلّ أقرب إلى التصديق بأنّ «الأسهل على تلك الدولة التي تقبل بأن تسحب المستشفيات الخاصة دمنا بأن نموت أو نُرمى في البحر».

محمد ليس سوى واحد من أصل الاف المرضى الذين يذلّون اليوم على أبواب المستشفيات، يموتون نفسياً قبل أن يموتوا من فقدان الدواء أو غلاء كلفته. هو وهم ضحايا هذه الدولة. وزارة الصحة ووزارة المال وكل معني بملف الدواء في الدولة . الخاضعة والمتواطئة مع فرقةٍ المستوردين والمستشفيات والصيدليات.

على صوتك

لبنان المأزوم: لا عدالة في التعليم

نعمه نعمه *

تحوّلت المدارس الخاصة إلى فضاء لتكريس التفاوتات واللاعدالة، بحيث ابتعدت عن تحقيق أهداف التعليم لجهة تكوين قيادات شابة جديدة مشاركة فعلياً في إعادة صياغة تعليم ذي جودة أو وطن. يسير لبنان في مسار انحداري، ويعيد تدوير الأنظمة السياسية والاجتماعية المشوّهة أصلاً، ولا يُنتج كفاءات بل حملة شهادات، فيما تفوُّق بعض الأفراد يعود بمعظمه إلى جهود العائلات ومبادرات التلامذة الفردية.

الفلتان التشريعي المتعمّد والفساد وسطوة مصالح المدارس الخاصة على وزارة التربية وإضرابات المعلّمين بسبب تدني الأجور وانخفاض مستويات دخل المواطن، كلها عوامل باتت تؤثر على نُظم التعليم الحالية والمستقبلية.

لا يمكن طبعاً إغفال دور القطاع الخاص في الحفاظ على مستوى جودة تعليم مقبولة خلال العقدين الأخيرين، والذي حقّقه بالتوافق مع غالبية الوزراء المتعاقبين من خلال تعزيز التعليم الخاص على حساب التعليم الرسمي (ما عدا الاستثناء). فالاستنتاجات التي يخلص إليها أيّ مراقب مغايرة للتقارير الرسمية. إذ تلاحظ الثغر والفروق في التحصيل العلمي بين مدرسة وأخرى، ومنطقة وأخرى، وبين مدارس التعليم الخاص نفسها وبين مدارس التعليم الرسمي كذلك، وفي نسب فقر التعلّم (59% قبل الجائحة و70% بعدها). وفي المجمل، يواجه الأطفال الفقراء عوائق لا يستطيعون التغلب عليها، في حين أن مؤشرات الاكتساب العالمية لم تتحقق لأكثر من ثلث التلامذة في لبنان (البنك الدولي، 2015) مترافقة مع نسب تسرّب كبيرة جداً وغير معلنة.

ولا شكّ أنّ غياب التقييم والرؤى والخطط والأهداف والغايات لدى الحكومات المتعاقبة قد ساهم في انحدار التعليم وعزّز فرص الخاص بديلاً عن الرسمي، ووفّر للطبقات الميسورة تعليماً متقدّماً حديثاً ومعاصراً أو عقائدياً، نشهد انتشاره وتوسّعه، بينما لا يحظى التعليم الرسمي بالدعم الكافي ومناهجه غير متكيّفة مع متطلّبات العصر، ومخرجاته لا تلبي احتياجات العمل والسوق، ما قد يؤثر سلباً في إمكان توفير فرص لتحسين ظروف الحياة للفئات الاجتماعية الضعيفة. في المقابل، يظهر دعم غير محدود وتشريعي للقطاع الخاص من خلال تمرير قوانين مثل مساعدة 350 مليار ليرة للمدارس الخاصة والهوية التربوية، في وقت تصرّح فيه اليونسكو (2015) "أن خصخصة التعليم تشكل عاملاً مؤثراً وتكتنف مخاطر على التماسك الاجتماعي والتضامن".

ويظهر أثر التراجع لمصلحة القطاع الخاص جلياً في حجم التمويلات المخصّصة للتعليم الحكومي، بحيث لم يتجاوز 2,6% من الموازنة العامة بين عامَي 2000 و2016 بينما تنادي اليونسكو برفع الإنفاق إلى 8-10%. وكان التعليم الخاص قد تنامى بشكل كبير في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، وصار اليوم يضمّ أكثر من 70% من أعداد المتعلّمين المقيمين. وفي السنوات العشرين الأخيرة، ارتفع عدد المدارس الخاصة إلى نحو 200 مدرسة خاصة (العدد الإجمالي 1600 مدرسة خاصة مقابل 1100 مدرسة حكومية) مقابل تدهور الجودة في التعليم الرسمي.

موازنة وزارة التربية لعام 2018 توازي ملياراً و350 مليون دولار، ضمنها أجور ورواتب موظفي الإدارة والإيجارات والمنح التعليمية والمدارس الخاصة... في المقابل

> يظهر أثر التراجع لمصلحة القطاع الخاص جليّاً في حجم التمويلات المخصصة للتعليم الحكومي

يدفع الأهالي أقساطاً في التعليم الخاص ضعف هذا المبلغ. مستوى التعليم يستمرّ في الانحدار، رغم الدعم التقني والمالي من المؤسّسات الدولية ويتساءل مراقبون إذا ما كان هذا الإصرار على تكرار أنماط العمل نفسها التي أدّت إلى هذا الفشل يستوجب مكافآت مستمرّة من الجهات المموّلة والداعمة مالياً وتقنياً لإعادة إنتاج الفشل نفسه؟

نشهد اليوم أزمات لم يُشهد لها مثيل، وتدفع أفواجاً من المعلمين ذوي الكفاءة إلى البحث عن خيارات لتحسين وضعهم الاجتماعي في أماكن أخرى، لانعدام الأفق هنا، وتدنّي قيمة الدخل في السنتين الماضيتين، فأصبح المعلمون فقراء، وتحطّمت صورتهم الاجتماعية. أما المتعلّمون فيفقدون الحوافز النفسية والمادية للتعلّم.

بالمقابل، تتزايد نسب المحرومين من التعليم لأسباب منها الفقر، والإعاقة... وقد أشارت منظمة Save the children إلى عدد ناهز 739 ألف طفل لم يلتحقوا بالمدرسة في عام 2021، وهو رقم كبير جداً موزّع بين التلامذة اللبنانيين والسوريين. كما تخشى اليونسكو أن تتزايد النسب نتيجة إغلاق المدارس والفاقد التعليمي المتزايد بسبب جائحة كورونا.

وكما هو معلوم لم تُنشئ الدولة حضانات ورياض أطفال بالعدد الكافي في التعليم الرسمي، واعتمدت على الرعاية العائلية التقليدية لدى العائلات المتدنية الدخل، بينما العائلات الميسورة التي تلجأ إلى القطاع التعليمي الخاص يتقدّم أطفالها بسرعة أكبر ما يؤدي إلى تفاوت بين الطبقات الميسورة والفقيرة والأرياف التي تفتقر إلى الروضات.

لا يكتمل التعليم من دون توفير برامج رعائية تقلّص التفاوتات بين الفئات الضعيفة والفئات الأخرى، وواجب الدولة توفير وتطبيق معايير دنيا لتقليص الفروق، إذ نشهد مجدداً حالات إنهاك وإرهاق لدى الأطفال في المدارس بسبب فقر التغذية أو العمل، والمُعوّقون متروكون خارج المدرسة لقلة التجهيز أو عدم ملاءمة المناهج أو التسرّب.

لا يمكن حصر العدالة في التعليم في العملية التعليمية فقط في الوقت الذي تغيب فيه شروط التكافؤ والبنية التحتية لقيام مدرسة وطنية جامعة، وفي الوقت الذي تتعامل فيه الحكومة مع الجهات المانحة كمورد بالفريش دولار أو كروزنامة لتفعيل عمل المستشارين مع إبعاد مفتعل للخبرات الأكاديمية والتربوية الوطنية الوازنة لقراءة واقعنا ووضع الخطط لترميم البنية التأسيسية للتعليم وإعادة انتظامه، فالمنهاج الجديد الذي تنكبّ عليه الوزارة والمركز التربوي اليوم ما هو إلا إعادة إنتاج لما هو مستحيل تطبيقه في ظل الأزمات التي تتغاضى الوزارة عن قراءة مؤشراتها، منهاج حتى لو كان من ذهب (وهو ليس كذلك) سيقودنا إلى مزيد من الانحدار واللاعدالة لعشرين سنة مقبلة، تنتجه أيادٍ لم تقرأ الواقع إلا من خلال أعين السائح المتفرّج التقني الذي لم يقرأ أرقاماً وموّشرات وتقارير، ولم يرَ بأمّ العين ولم يستكشف الوقائع إلا من خلال نظّارته الشمسية المستوردة.

*باحث في التربية والفنون

تقرير

صائمون للمرّة الأولى... ومفطرون كذلك

> في كلّ عام، يستقبل شهر رمضان ضيوفاً جدداً بإغواءات التكليف. يصومون للمرة الأولى في حياتهم، فتتغلّب حماستهم على تقليد الكبار والفوز بالمحفّزات على جوعهم وعطشهم. في المقابل، يتخلّف البعض عن صيام الشهر بسبب مرض طارئ، وحمل استجدّ، مايشعر أصحاب العلاقة بالخجل والضيق

زينب حمود

يختبر البعض الصيام للمرة الأولى، معظمهم أطفال دخلوا سنّ التكليف الشرعي (9 سنوات للفتيات، والفتيان في سنّ البلوغ)، أو يستبقونه متحضّرين للالتزام بفريضة الصوم طيلة أيام شهر رمضان كما حدّدها الإسلام. زين (11 عاماً) جرّب الصيام يوماً واحداً في العام الماضي، هذا العام قرّر صيامه كاملاً. تقول والدته ليلى شاهين إن "حماسته للصيام تعود لتأثّره برفاقه الصائمين بالدرجة الأولى، إلى جانب الأجواء الرمضانية التي تعمّ المنزل". لا يشكو زين تعباً، جوعاً أو عطشاً، إلا أن ليلى تلاحظ جيداً عطشه من خلال لهفته على كوب الماء البارد عندما يحلّ موعد الإفطار، مثلما تلاحظ جوعه لكثرة ما يسأل: "شو الإفطار اليوم؟".

اهتمام زائد

يحصل الصائمون الجدد على اهتمام خاص في البيت و"بصير الكلّ بدو رضاهم"، مثل فاطمة (9 سنوات) التي تخصّص لها والدتها، نور، الطعام الذي تشتهيه وتخلق لها المحفّزات على مائدة السحور، "أقطع الخُضر واضع الفواكه المجفّفة التي تحبها". ففاطمة كغيرها من الصائمين عموماً، والصائمين حديثاً، تجد صعوبة في الاستيقاظ من نومها وتناول الطعام ليلاً. ويحصل أن ينسى هؤلاء لوهلة أنهم صائمون، فيأكلون أو يشربون، ثم يصرخون: "بي، أنا صايم". معظمهم، يقضون أوقاتهم في المدرسة واللعب، وعندما يقترب موعد الإفطار، يتكرر السؤال ذاته: "متى يؤذَن؟".

في دولة الكويت الإسلامية ساعدها في ذلك، "فهنا جميع المطاعم مقفلة، والمفطرون لا يأكلون في المناطق العامة، حتى المدارس تختصر الدوام وتقلص الدروس". لكن درجة الحرارة المرتفعة في الكويت والتي تتعدّى 40 درجة مئوية "تصعّب صيام الأولاد وتزيد من شعورهم بالعطش".

مفطر بتقرير طبي

في المقابل، يختبر البعض أوّل شهر رمضان لهم من دون صيام. خصوصاً في شهر رمضان، وهذا يشجّع الأولاد على الصيام". سكنتها تحاول بعض العائلات تشجيع أولادها على الصيام بشتى الطرق. مايا حضّرت لشهر رمضان قبل فترة وجيزة، فعلّقت الزينة الرمضانية، ووضعت مسابقات دينية لأولادها الثلاثة، الأكبر في العاشرة من عمره والأصغر في الثامنة، عدا روزنامة لتجمع النقاط كلما مارسوا أعمالاً عبادية كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن والدعاء ثم تكافئهم بهدايا في العيد على قدر النقاط التي جمعوها. وتبرّر: "كما نحتفل بميلاد المسيح، يجب أن نمارس طقوسنا كمسلمين

يحصل الصائمون الجدد على اهتمام خاص في البيت (مروان بو حيدر)

في البداية، لم يتقبّل مصطفى (50 عاماً) أن يفطر كما طلب منه الطبيب. فمنذ أن كان في العاشرة من عمره "ما عملت هالعملة"، كما يقول. "مستحيل"، قال لعائلته في البداية. ثم "رضخ لما يتطلّبه واقعه الصحي"، وطلب من طبيبه، ممازحاً، تقريراً طبياً "لأعطيه لربي يوم القيامة"! يشعر بغربة عندما يأكل نهاراً بينما تحضّر زوجته طعام الإفطار لبقية أفراد العائلة. وعندما يحين موعد الإفطار، ينهي طعامه، ويقول كما لو أنه كان صائماً: "وهيدا نهار جديد قطع... متى العيد؟".

يأكل "المحرومون من الصيام" ويشربون "سرقة بسرقة" أمام الآخرين، خجلاً منهم. فهم من جهة يشعرون بأنهم "يرتكبون جرماً"، وصكّ البراءة غير ظاهر للعيان"، ومن جهة ثانية يقدّرون جوعهم وعطشهم اللذيْن لطالما اختبروهما. هكذا يغدون صائمين ومفطرين في آن. لمى، مثلاً، حامل في الشهر الثامن، لم تصم هذا العام خوفاً على صحتها وصحة الجنين، لكنها لا تتناول إلا القليل من الطعام قبل أخذ حبة الدواء، وتنتظر زوجها ليفطرا معاً. تصف شعورها كمفطرة خلال شهر رمضان لأوّل مرة منذ أن كانت في السادسة من عمرها "بالمقيت". حاولت أن تجد "حيلة" للتخلّص منه، واتصلت بمكتب الوكيل الشرعي لمرجعها الديني، فأخبرها أنها "مأثومة إذا كان الصيام يضرّ بصحتها أو بصحة الجنين ونموّه".

حقّ الردّ

جاءنا من مديرة المدرسة الإنجيليّة المعمدانيّة الردّ التالي:

قرأت اليوم الجمعة 8 نيسان 2022 بكثير من الاهتمام المقال اللّافت بعنوان «جنون الأقساط: التّعليم الجيّد للأغنياء فقط»، في هذا المقال الكثير من الأفكار التي تستحق الاحترام والنّقاش لكي يتظهّر الموضوع من كلّ جوانبه. لكن الذي يهمّني اليوم بالتّحديد هو ما ورد في اللائحة التي تضمّ أسماء مدارس معينة وقيمة أقساطها. في هذه اللائحة يبرز اسم المدرسة المعمدانيّة الإنجيليّة التي أديرها في حيّ المصيطبة في بيروت. في العمود المخصّص لقيمة القسط، تُشير المقالة إلى قسط وقدره 23,850,000 ليرة لبنانية. يهمّني أن أوضح أنّ معدّل القسط في مدرستنا هو 12,000,000 ليرة لبنانية. وهو بعيد جدّاً عن الرّقم المشار إليه. لكنّني أعتقد في آن معاً أنّ سبب الخطأ الذي وقعت فيه الصّحيفة يعود إلى كلفة دراسة التّلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصّة الذين لا يشكّلون أكثر من 4 % من عدد تلاميذنا، وما يهمّني قوله أكثر من ذلك هو أنّ هذا القسط بالتّحديد لا يسدّد جميع التّكاليف التي تستثمرها المدرسة مع هذه الشّريحة من التّلاميذ. وأقول - للفت النّظر فقط - أنّ كلّ تلميذ من ذوي الاحتياجات الخاصّة يتطلّب من المدرسة توظيف اختصاصيّين تربويّين ومعالجين في مجالات مختلفة كعلاج النّطق واللّغة، والعلاج الانشغالي... بالإضافة إلى ذلك توفّر المدرسة برامج تصحيحيّة ومستلزمات وقائيّة وعلاجيّة لتتناسب مع كلّ تلميذ مع مراعاة الفروقات الفرديّة.

أليس وزير، مديرة المدرسة الإنجيلية المعمدانية.

البلاد

شتات

شباب المخيّمات في انتظار الفرج
نعمل بأيّ شيء!

حنين رباح

يمضي محمد يومه أمام بسطة الليمون، يراقب أزقّة مخيّم برج البراجنة. يعود إلى حجرته في المساء ليقضي ساعات في تصفّح مواقع الوظائف، ويرسل سيرته الذاتية الحافلة بالتدريبات في أهمّ مكاتب لبنان، لكن إلى الآن، لا رسالة على بريده الإلكتروني تشعره بالقبول. حامل شهادة الهندسة الداخلية لم يجد عملاً يناسبه في تخصّصه، فعمل بائعاً، وفي تمديدات «الصحّية» في الأبنية، وهي المهنة التي ورثها عن والده. «لا تتعلّم... أنت في لبنان»، يقول محمد لـ«الأخبار»، فيما يعتقد عبد العزيز سلامة «أنني رميْت مالي من دون جدوى في إكمال تخصّص الهندسة في جامعة خاصة، وبعد كلّ الجهد في الدراسة، لم أتمكّن من العمل في مهنتي رغم مؤهّلاتي الأكاديمية العالية».

هكذا، يمارس الإقصاء ضدّ جيل كامل، بدلاً من احتوائه في مهن توفّر له أقلّ متطلّبات العيش. فلو التحق كلّ المتعلّمين في المخيم بمهن منظّمة، لتغيّر الوضع من الناحيتَين الأمنية والاجتماعية؛ فالعلاقة تبادلية. لكن، بعد أن كان سلاح اللاجئ في لبنان هو تفوّقه الأكاديمي، تراجع تمجيد التعليم، وبات الحديث عنه بسخرية إلّا في الاختصاصات التي تؤهّلك للعمل مع «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين» (أونروا). الذريعة «الظاهرية» لرفض عمل الفلسطينيين في أكثر من 70 مهنة يحدّدها القانون اللبناني، هي الخشية من منافسة العامل اللبناني، إضافة إلى هواجس التوطين، واختلال الموازين الطائفية في البلاد، فضلاً عن أن الرواتب المُخصّصة للعمالة الأجنبية غالباً ما تُحوَّل إلى الخارج، على عكس رواتب المواطنين وأجورهم والتقديمات الاجتماعية الممنوحة لهم.

لكنّ رئيس «اتحاد الأطباء الفلسطينيين في لبنان»، الدكتور عماد الحلّاق، يلفت إلى أنه «في مجال الطب، لبنان لديه حاجة كبيرة إلى الأطباء، بسبب الهجرة التي تلت انفجار بيروت في 4 آب والأزمة الاقتصادية». وبحسب الحلّاق، فإن «عدد الأطباء الفلسطينيين يتناقص بسبب هجرتهم ووفاة كبار السنّ منهم، إذ أصبح عددهم مع الصيادلة ما يقارب الـ340 فلسطينياً، ما يجعل سهلاً على الدولة اللبنانية ضمّهم إلى القطاع الصحي اللبناني». ويلفت رئيس الاتحاد إلى أن «الطبيب الفلسطيني في السابق، أي قبل الأزمة في لبنان، كانت معاينته أقلّ من نصف معاينة الطبيب اللبناني، وعند حلول الأزمة تأثّر المخيم مباشرة بها، وأصبحت المعاينة لا تتخطّى الـ10% مقارنة بالمعاينة الخارجية». مع ذلك، لا يبدو أن ثمّة جدوى من تواصل النقابات الفلسطينية مع نظيرتها اللبنانية، التي تؤكد هي الأخرى حاجة البلد إلى كوادر في عدد من المهن، على رأسها القطاع الطبّي والهندسة؛ فالمشاورات واللقاءات «عقيمة» بحسب الحلّاق.

وعلى العكس من ذلك، يبدي رئيس «لجنة الحوار الفلسطيني اللبناني»، الدكتور باسل الحسن، تفاؤلاً، متحدّثاً عن «استراتيجية متكاملة أنجزتها اللجنة، وستُطرح قريباً على المعنيّين في الجانب اللبناني، لكنها تنتظر الظروف المناسبة»، أخذاً في الاعتبار الاستحقاق الانتخابي وما يحمله من تجاذبات وتوتّر. ويعتبر الحسن أن «الملفّ مرهون بالتوافق اللبناني - اللبناني»، وأن «لا جدوى من طرحه في هذه الفترة». وعلى رغم تضمّن الخطّة حقائق حول حاجة لبنان إلى القوى العاملة الفلسطينية، إلّا أن «الرافض لا يهتمّ بالأرقام»، بحسب الحسن، «فأسبابه مختلفة، مرتبطة بحقده وخلفيّته الطائفية». على أن «الإيجابية» التي يحملها رئيس

> **لا يجد الفلسطيني نفسه قادراً على العيش وهو ينتظر مزاولة «مهنة الأحلام»**

اللجنة تصطدم باعتراض قوى سياسية مختلفة على كلّ شيء، إنّما متّفقة على «عداوة الفلسطيني»، على قرار وزير العمل استثناء اللاجئين الفلسطينيين من قرارات منع العمل المطبّقة عليهم سابقاً. وفي انتظار أيّ تبدّل في المشهد، لا يجد الفلسطيني نفسه قادراً على العيش وهو ينتظر مزاولة «مهنة الأحلام»، ولذا فقد لجأ إلى مهن مغايرة لاختصاصه كالتجارة أو العمل في التنظيف أو السنكرية... وفي أحسن الأحوال، انضمّ إلى واحدة من الـ«NGOS» العاملة في المخيم. من بين هؤلاء، سهام، وهي واحدة من حاملي الشهادات العليا في إدارة الأعمال والهندسة الزراعية، لكنها تطوّعت مع «النادي الفلسطيني لتدريس الأطفال»، حالها كحال الكثير من المهندسين في المخيّم. وبحسب آخر إحصائية صادرة عن «اتحاد المهندسين الفلسطينيين في لبنان»، فإن نسبة المهندسين الذين يُمارسون مهناً أخرى غير الهندسة، قُدّرت بحوالى 30% من العاملين، بالإضافة إلى 20% عاطلين عن العمل، أي أن قرابة نصف المهندسين، وعددهم يقارب 500، لا يعملون في مجالهم، ولا سيما مثل الهندسة الميكانيكية والكيميائية، وهندسة الآلات الزراعية والطبّية.

(هيثم الموسوي)

أهل الأرض

وادي فوكين: بلدة «نصف اللاجئين»

في وادٍ ذي زرع، وعلى مسافةٍ لا تبعد أكثر من 7 كيلومترات عن طريق القدس – الخليل القديمة، والتي حلّ محلها الطريق 60 الاستيطاني، تقع بين فكّي الكماشة الصهيونية: «بيتار عيليت» و«تسور هداسا». إنها بلدة وادي فوكين، التي تقاوم الاحتلال كما تقاوم النسيان، وتصمد في وجه التهجير والاقتلاع منذ أكثر من 73 عاماً

كمال الجعبري

يرى المؤرّخ الفلسطيني مصطفى مراد الدباغ، في كتاب «بلادنا فلسطين»، أنّ مصطلح «فوكين» يعود إلى الجذر اللغوي الآرامي «سوك»، وتعني باللغة العربية «الشوك»، وبذلك تكون تسمية البلدة التاريخية «وادي الشوك»، ويعود ذلك لكثرة وجود النبتات الشوكية في الوادي الذي تمتد فيه البلدة، والذي تتواجد فيه 11 عين ماء، دائمة الجريان. تبلغ مساحة البلدة بكامل ترابها حوالي 9982 دونماً، وتميّزت القرية، إلى جانب زراعة الزيتون والعنب والتين واللوزيات، بزراعة الخُضر بأنواعها كافة، لغزارة مياهها. تتمتع «وادي فوكين» بموقع استراتيجي، إذ تحدها من الغرب والشمال بلدات: القبّو وراس أبو عمار وعلار، وهي قرى مقدسية احتُلّت ودُمرت في عام 1948. أمّا من الجنوب، فتحدّها بلدتا صوريف والجبعة، التابعتان لقضاء الخليل. ومن الشرق تحدّها بلدة حوسان، التي اغتصبت مستوطنة «بيتار عيليت» تلتها الزراعية الغربية، «بتقدر تهاجمها، بس ما بتقدر تحتلها»، هكذا وصف أبو نادر مناصرة، أحد أهالي البلدة، والصحافيين الذين وثقوا تاريخها، طبيعة الموقع الجيوستراتيجي لوادي فوكين. تاريخياً، كانت قرية وادي فوكين ضمن قرى قضاء القدس خلال فترة الحكم العثماني، والاحتلال البريطاني، ثم الحكم الأردني. وفي عام 1988 أعلن الاحتلال ضمّها إلى حدود بلدية بيت لحم، هي وأخواتها: الولجة، وبتير، وحوسان، ونحالين، فيما تم ضم جارتها الجبعة إلى بلدية الخليل.

لم تستسلم للنكبة

يروي المناصرة جزءاً من التاريخ النضالي لوادي فوكين خلال الفترة التي سبقت نكبة عام 1948، وخلالها. فعلى الرغم من عدم وقوع معارك مركزية في البلدة خلال الحرب التي امتدت بين عامَي 1947 و1948، فإنّ أهالي البلدة شاركوا في العديد من المعارك المركزية ضمن جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني. ومن أبرز هؤلاء الشهيد يوسف عطا مناصرة، الذي قاتَل في معارك: القطمون، والقسطل، والدهيشة، وظهر الحجة، واستشهد في معركة بني نعيم إلى الشرق من الخليل. ومع احتدام المعارك في حرب عام 1948، اتخذ قادة جيش الجهاد المقدس، عبد القادر الحسيني، وفؤاد نصار، وإبراهيم أبو دية، من وادي فوكين مقرّاً لهم، لفترة مؤقتة. وبعد أن بدأت العصابات الصهيونية بتنفيذ مخطط «اليد» وما تلاه من مخططات لاحتلال بلدات وقرى غرب القدس وتهجيرها، نزل في وادي فوكين العديد من المهجّرين من البلدات المجاورة، لفترات مؤقتة.

وفي نهايات عام 1948، وبعد مقاومة عنيفة من أهل البلدة تم احتلال المركز التاريخي لوادي فوكين من العصابات الصهيونية، فيما لم يتم احتلال الأراضي الزراعية للبلدة، والتي تمسّك بها أهلها، وخلال مفاوضات هدنة «رودس» في عام 1949، تم اعتبار وادي فوكين «أرضاً حراماً»، وجاء ذلك المفاوضات بعد معارك حامية الوطيس بين أهالي البلدة والعصابات الصهيونية، قُتل خلالها ضابط صهيوني مهم، وفشلت بعد تلك المعارك كل محاولات الاستيلاء على الأراضي الزراعية لها. بموجب اعتبار وادي فوكين أرضاً حراماً، مُنع أهالي البلدة من الدخول إليها، إلا من الساعة الخامسة فجراً وحتى الخامسة عصراً، فيما أقام أهالي وادي فوكين في بلدة نحالين المجاورة. ولكن الاحتلال الصهيوني لم ينسَ المقاومة الضارية التي خاضها أهالي وادي فوكين ضده، فارتكب في عام 1954 مجزرةً في بلدة نحالين، على يد الكتيبة 101 في جيش الاحتلال الصهيوني، بقيادة أرئيل شارون، واستهدفت المجزرة من استضافوا أهالي وادي فوكين. وبعد المجزرة انتقل معظم أهالي البلدة للإقامة في مخيم دهيشة بالقرب من بيت لحم. ولكن وكالة «الأونروا» اعتبرت أهالي وادي فوكين «نصف لاجئين» نظراً إلى أنّ نصف بلدتهم محتلة، فيما يتمكنون من العودة للجزء غير المحتل من بلدتهم يومياً، فمُنحوا نصف مساحات الوحدات السكنية، ونصف المؤن والأدوية.

سلة غذائية للقدس والخليل وبيت لحم

خلال السنوات بين عامَي 1949 و1967، حافظ أهالي وادي فوكين على الزراعة في البلدة، إذ باتت الزراعة هويةً لأهالي البلدة وسلاحاً للصمود والبقاء. وبحكم طبيعتها الجغرافية، إذ تقع في وادٍ يحتوي على 11 عين ماء جارية، فقد تميّزت البلدة بزراعة مختلف أنواع الخُضر والورقيات، التي تُعتبر من المكونات والمواد الأساسية في المائدة الفلسطينية. وبعد تحوّل عدد من البلدات المجاورة من الطبيعة الزراعية إلى الطبيعة السكنية، كسلوان وجبل المكبر، جنوب القدس، باتت وادي فوكين من المناطق الزراعية الأبرز في جنوب الضفة الغربية، وباتت، حتى عام 1967، سلة غذاء للقدس وبيت لحم والخليل.

ولادة جديدة

في حزيران من عام 1967، توحّدت فلسطين من جديد، ولكن تحت الاحتلال الصهيوني، فاحتضنت قراها ومدنها ومخيّماتها بعضُها بعضاً بألم. وبعد سنوات من الاحتلال

> **يستهدف الاحتلال شرف البلدة بمشروع استيطاني لربط طريق 335 الاستيطاني في «بيت شميش»، غرب القدس، مع مفترق عتصيون، إلى الشمال من الخليل**

ومع بدء تصاعد الحالة الشعبية في فلسطين المحتلة، بدأ أهالي وادي فوكين يفكّرون في العودة إلى بلدتهم. ينقل أبو نادر مناصرة ما دار من نقاشات بين أهالي البلدة في تلك الفترة: «المنطقة الحرام كانت قبل الاحتلال، بس اليوم كل فلسطين تحت الاحتلال، فليش ما نرجع على البلد». وبالفعل، وبعد جهد تنظيمي من عددٍ من أهالي البلدة، عبر تشكيل عدة لجان شعبية، تم في 1972/2/16 شارك في إعادة بناء وادي فوكين معظم فنّات البلدة، بتكامل وتوزيع للأدوار. تم شراء الحديد والإسمنت فقط من خارج البلدة. وحاول الاحتلال تهجير الأهالي، وصمد الأهالي في وجه رصاص الاحتلال، ولكن الاحتلال اشترط عليهم تسليم مفاتيح بيوتهم في الدهيشة، لأن ذلك تزامن مع مشروع «بن بوراك» لتوطين اللاجئين، وتم تسليم المفاتيح للوكالة التي سلّمت للاحتلال الذي كان يعمل على عدة مشاريع لتوطين اللاجئين كالأمل والبرازيلي وكندا، في غزة. رفض الاحتلال إنشاء البنية التحتية، ولكن الجهود التطوعية من أهل الخليل وبيت لحم تمخّضت عن إنشاء الطريق الرئيسي بطول 3 كلم، وكذلك الحال مع مدرسة البلدة، التي عمل على بنائها أحمد سعدات، الأمين العام الحالي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الأسير في سجون الاحتلال، إذ كان دخول البلدة يتم من مداخلها عبر الجبال، لأن الاحتلال أغلق المدخل الرئيسي.

الزراعة لمقاومة الاستيطان

اشتهرت وادي فوكين منذ القدم بزراعة الخُضر والحقليات. وعلى الرغم من وجود عدد لا بأس به من أشجار الزيتون في البلدة، فإنّ البلدة لم تشتهر بزراعتها. وفي عام 1982، ومع بدء تبني الاحتلال الصهيوني، بمختلف مستوياته، للاستيطان في الضفة الغربية، بدأت محاولات سلطات الاحتلال الاستيلاء على مختلف الأراضي في الضفة. وقد كان قانون الأراضي الصادر في عام 1858 في فلسطين، والذي ينص على أنّ من حق الدولة الاستيلاء على أي أرض «بور» في حال عدم زراعتها لمدة 3 سنوات، إذ جيّر الاحتلال هذا القانون العثماني لاستصلاح الأراضي لمصالحه الاستعمارية. وهنا تنبه أهالي وادي فوكين، والفعاليات الشعبية في جنوب الضفة إلى خطورة الوضع، إذ تلتصق البلدة بالخط الفاصل بين الضفة والمناطق المحتلة في عام 1948، فتم الاتفاق على العمل على زراعة الزيتون بجهد مشترك من أهاليها والمؤسسات الشعبية المختلفة. وبدأ غرس أشجار الزيتون عبر إحياء مفهوم «العونة» التاريخي، ولغاية هذا اليوم تُعد الزراعة وسيلة المقاومة والصمود الأبرز في وادي فوكين. يخبر محمد قطيشات، مدير المشاريع التأهيلية في «الجمعية العربية لحماية الطبيعة»، وهي جمعية أردنية تبنّت برنامج «المليون شجرة في فلسطين» منذ عام 2003، عن الجهود التي تبذلها الجمعية مع أهالي وادي فوكين وما حولها، إذ تعتمد استراتيجية العمل في تلك المناطق على زراعة الأشجار المثمرة فيها من أجل منع الاحتلال من الاستيلاء على أراضي تلك البلدات، وتحقيق الأمن الغذائي فيها. ويقول: «نسعى هذا العام، ومن خلال حملة (أزرع صمودك) ضمن برنامج المليون شجرة في فلسطين، الموجهة لطلاب الجامعات الأردنية، إلى التركيز على استهداف قرى جنوب غرب القدس ومن أبرزها وادي فوكين، إذ إنها من أكثر المناطق استهدافاً بالاستيطان الهادف إلى عزل جنوب القدس عن امتدادها العربي، في الخليل وبيت لحم».

حرب المياه

على أراضي ما يقرب الـ 7 آلاف دونم من أراضي وادي فوكين، التي احتلتها العصابات الصهيونية في عام 1948، أقام الاحتلال مستوطنة «تسور هداسا» التي تنتصب على تلة كانت تقوم عليها بلدة فوكين. واتخذ الاحتلال من تلك المستوطنة «تعاونية زراعية»، فعمد إلى زراعتها بالموزيات، وتربية الدواجن فيها، وفي سبيل ذلك عمل الاحتلال على استهداف المياه الجوفية في محيط المنطقة. وبعد احتلال الضفة الغربية في عام 1967، تم تجفيف 5 ينابيع من أصل 11 في البلدة. وبالتوازي، يتعمّد الاحتلال الصهيوني تصريف المياه العادمة من مستوطنتي «تسور هداسا» و«بيتار عيليت» نحو الأراضي الزراعية في البلدة، ولكن وفي سبيل الصمود في معركة المياه أمام الاحتلال أقام الأهالي، وبدعم من العديد من المؤسسات الشعبية الخيرية، مشاريع بناء السدود التجميعية في البلدة.

بين فكّي كماشة

شكّلت مستوطنة «تسور هداسا» كابوساً لأهالي وادي فوكين، إذ اغتصبت أراضيهم، واستهدفت الزراعة في عقر دار بلدتهم. ولكن ومع تصاعد الاستيطان في الضفة بعد عام 1982، ظهر كابوسٌ جديد ليطبق فكّي الكماشة، وهي مستوطنة «بيتار عيليت» التي أنشأتها الجمعيات الاستيطانية الصهيونية اليمينية في عام 1985، على أراضي بلدة حوسان المجاورة، على تلةٍ مشرفة، واليوم تصمد وادي فوكين بوادٍ بين تلتين، شرقية تقع عليها «بيتار عيليت» وغربية تقع عليها «تسور هداسا».

لا يتوقف العدوان الصهيوني هنا، إذ يستهدف الاحتلال شرق البلدة بمشروع استيطاني لربط طريق 335 الاستيطاني في «بيت شميش»، غرب القدس، مع مفترق عتصيون، إلى الشمال من الخليل، ويمر الطريق بأراضي وادي فوكين. من الجهة الشمالية تم طرح عطاءات لمشروع استيطاني صناعي، بخدم مستوطنات جنوب القدس. ومن الجهة الغربية يجري العمل لتوسيع مستوطنة «تسور هداسا»، وتأتي تلك المخططات في سياق خطة صهيونية مركزية تهدف لـ«محو الخط الأخضر» عبر تهجير البلدات المتاخمة للخط، كالولجة وبتير وحوسان، جنوب القدس، في سعي من الاحتلال لخلق نكبة جديدة، متناسياً أنّ أهالي تلك البلدات رفضوا النكبة الأولى، فكيف سيقبلون بالثانية؟

أحوال غزة

صناعة الفوانيس
مصدر دخل موسمي

أحمد زقوت

مع اقتراب شهر رمضان، تلجأ عائلات في غزة إلى مهنة صناعة الفوانيس والزينة يدوياً، لتبيعها للذين يرغبون في تزيين بيوتهم ومحلّاتهم التجارية احتفالاً بالشهر الكريم. يرون أنه استثمار جيّد، فهو مصدر موسمي لكسب المال ومحاربة البطالة والحصار المفروض عليهم منذ سنوات. يمتاز شهر رمضان بتوفير فرص عمل مؤقتة لسكان القطاع، ولا سيّما وأنّ له طقوسه الخاصة، التي يحاول الغزّي إحياءها رغم قلة الإمكانات، استشعاراً بمراسم قدومه ولتعميم الفرحة.

على الرغم من التطور في صناعة الفوانيس عالمياً، إلا أن الفوانيس المحلية في غزة تنافس المستوردة التي تغزو أسواق القطاع آتية من دول عدة أبرزها الصين، حيث تعتبر صناعتها رديئة وتكلفتها مرتفعة، كونها مستوردة، مقارنة بالمنتج المحلّي الذي يعتبر عالي الجودة وبأشكال وأحجام كبيرة، وأسعار مناسبة وفي متناول الجميع.

يقول منذر صلاح الدين (32 عاماً)، وهو يقطن في محافظة رفح جنوبي القطاع، إنه «يعمل في المهنة الموسمية منذ عدة سنوات، ويعتبرها مدرّة للمال، نتيجة إقبال المواطنين وأصحاب المحال التجارية على شراء كميات كبيرة منها نظراً لجودة صناعتها وجمالها وانخفاض تكلفتها». صلاح الدين، الذي يُعيل أسرة مكونة من أربعة أفراد، يبيّن أن صناعة فوانيس رمضان تحتاج إلى جهد ووقت. ويشرح عن مراحل صناعتها: «أقوم بقصّ قطع الخشب بأطوال متنوعة، وتجميع هذه القطع العمودية على شكل ثلاثي الأبعاد، ومن ثم أقوم بوضع المصباح الكهربائي والمؤثر الصوتي بداخل الفانوس، ومن ثم تغليفه بقماش مزين بواسطة مادّة السيليكون، ومن ثم أضيف بعض اللمسات الجمالية على الفانوس، لإدخال البهجة على السكان تحديداً الأطفال منهم». ويوضح أنّ أسعار بيع الفوانيس المستوردة في الأسواق مرتفعة جداً، ولا يستطيع

معظم الناس اقتناءها بسبب ظروفهم الصعبة، لذلك «قررت صناعة الفوانيس باستخدام إمكانات بسيطة، مثل الأخشاب والأوراق الملوّنة والخرز وبعض قطع الزينة البلاستيكية، وبيعها بتكلفة مادّية تناسب المواطنين وتدخل الفرحة والسرور على أفراد الأسر». ويُشير إلى أنّ هذه الصناعة تُواجهها بعض العقبات، وأبرزها انقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة، وهذا يعرقل عملية إنتاج الفوانيس، كون أن صناعتها تحتاج إلى كهرباء مستمرة. فقصّ الأخشاب ومادّة السيليكون اللاصقة تحتاجُ إلى كهرباء عند صناعة الفوانيس. أمّا ريهان شراب (28 سنة)، فتستقبل شهر رمضان ككل عام في صناعة الفوانيس بأحجام وأشكال متعددة، لتلبّي رغبة الزبائن المختلفة في اقتنائها، إذ تُعد صناعة الفوانيس مصدر رزقها الأول. كانت بدايتها مع صناعة الفوانيس قبل ثلاث سنوات، بصناعة عدد قليل من مجسّماته الكرتونية، وتسويقها عبر صفحتها ومحل تجاري يعود لأسرتها، وفي العام التالي بعد زيادة الطلب، زادت الكمية ونجحت في تسويقها، ليمنحها ذلك دفعة لصناعة العشرات مبكراً هذا العام، والانتقال من الكرتون للخشب الكسي بالقماش. كما استثمرت جمال خطّها في الكتابة على البكارج والفناجين، تلبية لرغبة بعض زبائنها، ووفرت العديد من قطع الزينة، بجانب صناعة أواني تقديم المشروبات والتمر والقطائف. تقول شراب لـ«الأخبار»: «بدأت صناعة الفوانيس بكميات قليلة قبل أيام من شهر رمضان لعدم خبرتي المسبقة بطبيعة وقت التسويق المناسبين، وكنت أجد صعوبة في ذلك لأن الناس معظمها اشترت مبكراً، حتى إن القماش الخاص بالفوانيس ينفد من المحال». وتُضيف: «في السنة الأولى للعمل تمكّنت من بيع عشرة فوانيس، في السنة التّالية صنعت كمية أكبر وروّجتها عبر صفحتي ومحل خاص لوالدي». «هذا العام، بناء على طلب الزبائن المبكر ومحلَّين تجاريَّين، صنعت قرابة 100 فانوس، وما زلت مستمرة باستخدام الخشب والقماش، في حين تُراوح الأسعار من ثلاثة شواكل حتّى 100 شيكل، حسب الحجم والنوع وكمية التزيين والإنارة المتوفرة فيه». تبتكر شراب إضافات مميزة في المجسّمات التي تصنعها وهي تطمح أن يكون لها متجر خاص بالهدايا والزينة.

يرتب البائع إيهاب الحلو بسطته المزينة بفوانيس وزينة رمضان لجذب المواطنين: «ترَدّي الأوضاع الاقتصادية بغزة لم يمنع الناس من اقتناء زينة رمضان، وسعر هذه الزينة منخفض، ولا يشكّل عبئاً مادّياً على العائلات، لكنّها تُضفي الكثير من البهجة في قلوب الأطفال». يُشير إلى أنّ الطلب والإقبال يتضاعف على الفوانيس التي تُراوح أسعارها «من 10 شواكل وحتى 25 شيكلاً».

الجدير ذكره أنّ الأوضاع الاقتصادية المتردية في قطاع غزة تؤثّر على مئات آلاف الأسر بفعل الحصار الإسرائيلي وإغلاق المعابر، وما تلاه من تأثير مباشر على نسب الفقر والبطالة، والتي وصلت إلى نسب قياسيّة، حيث تخطّى الفقر حاجز 85% فيما تعدّت البطالة نسبة 65%.

> **تردّي الأوضاع الاقتصادية لم يمنع الناس من اقتناء زينة رمضان**

البلاد

إسرائيليات

عنصريّة بوجوه كثيرة: الأغيار... يهودٌ أيضاً

يحيى دبوق

هل تتعدّى العنصرية الإسرائيلية ذاتها؟ سؤال يبدو مفاجئاً وغير مُتوقّع، لكنه لا يأتي البتّة من فراغ؛ فالعنصرية هذه ليست مُوجّهة إلى الأغيار ممّن هم غير يهود فحسب، في دولة يتفاخر مسؤولوها باللامساواة في ما بين «مواطنيها»، بل إنّها تطال أيضاً كلّ مَن هو يهودي غير أرثوذكسي. هكذا، يمكن ليهودي قادم من الولايات المتحدة، مثلاً، أن لا يُعترف بزواجه من قرينته اليهودية، وفقاً للتعاليم اليهودية نفسها. صحيح أنه يُسمح له بـ«العودة» إلى فلسطين المحتلة والتحصّل على الجنسية الإسرائيلية، إلّا أنه لا يُعدّ، بحسب الحاخامات، يهودياً، ولا يجوز له بالتالي الزواج من يهودية، بل إنّ «النصراني الكافر» أفضل وأطهر منه، طبق التعبيرات الحاخامية. وليس هذا التمييز استثناءً، بل إنّ العنصرية تُعدّ جزءاً لا يتجزّأ من الهويّة الإسرائيلية، التي، وإن كانت تُغلّف بديموقراطية يجري تصديرها إلى الرأي العام الدولي، إلّا أنها ديموقراطية محصورة باليهود، دون غيرهم ممّن يحملون الجنسية الإسرائيلية، بل وأيضاً باليهود الأرثوذكس، الذين يُسمح لهم بما لا يُسمح لغيرهم من الطوائف الأخرى، كـ«الإصلاحيين» و«المحافظين»، الذين يمثّلون الطائفتَين الأكثر انتشاراً وعدداً خارج إسرائيل (يُقدّر عددهم بما يساوي تقريباً عدد اليهود الإسرائيليين)، فيما هم داخل الكيان أقلّية مقهورة، لا تتمتّع بحقوق متساوية مع أقرانها: فلا زواج يُعترف به، ولا تهويد يُعترف به، ولا «حقوق عبادة معترَف بها»... وعليه، فلا «مواطنة» متساوية مع الآخرين.

> يكاد القوس الحزبي في إسرائيل يتركّز فقط على اليمين، فيما اليسار اضحى شاذّاً وخارج التقسيمات عملياً

كذلك، لا تقتصر الحالة العنصرية على مَن يُظهرونها بلا إحراج، ممّن تُطلق عليهم أوصاف اليمين أو اليمين المتطرّف أو فائق التطرّف، بل هي سمة لا تفارق اليسار أيضاً، وإن بشكل أقلّ حدّة، بات يظهر وكأنه تباين نافر، لا لأنه في حقيقته كما تَقدّم، بل لأنه إذا ما قِيس إلى اليمين، يبدو ليّناً. ومن هنا، باتت تسمية اليسار في إسرائيل أقرب إلى الشتيمة، التي يعمل الجميع تقريباً على تحاشيها؛ فأن يُقال لسياسي ما أو لصحافي أو لكاتب أو لباحث أو لأكاديمي إنّه يساري، فهذا يعني أنه وُجّه إليه اتّهام شبيه بالخيانة، وأن ثمّة تحريضاً على قتْله. وعلى هذه الخلفية، بات أيّ موقف أو حدث أو دعوة أو تجمهر حزبي أو اجتماعي أو غيره، يستبطن عنصرية وكراهية للآخر، مدعاة «تفاخر»، ودليلاً على «الوطنية والتفاني»، وهو ما ينطبق، مثلاً، على دعوة حاخامات الصهيونية الدينية إلى التظاهر ضدّ حكومة نفتالي بينت، التي «سرقت الحُكم» من اليهود كونها مبنيّة على ثقة عدد من أعضاء «الكنيست» من فلسطينيّي عام 1948، ولأنها تعمل - كما يدّعون (الأمر الذي يُغاير الواقع تماماً) - على تحويل «الدولة» الإسرائيلية إلى «دولة» لكلّ «مواطنيها».

ولعلّ دعوة التظاهرة تلك، بوصْفها نموذجاً، تستبطن إشارتَين هامّتَين تستهلان التوقّف عندهما: أولاهما أن ثمّة إقراراً بأنّ إسرائيل ليست «دولة لكلّ مواطنيها»، الأمر الذي يُلزم الصهيونية الدينية بالتظاهر للمطالبة بمنْع تحوّلها إلى «دولة يتساوى فيها مواطنوها»؛ وثانيتهما أن العنصرية مدعاة اعتزاز، ومادّة للتعبير عنها بشكل طبيعي وعلني وبلا تبعات. وعلى رغم أنّ المُحرّك الرئيسي لتظاهرة كهذه بقيادة من الحاخامات، هو الخصومة السياسية واستبعادهم من الحكم، إلا أنّ أهمّ ما يمكن أن يحرّك الشارع، وفقاً للدعوة، هو الادّعاء بأنّ الحكومة الحالية تسعى إلى ما يسمّونه «المساواة» بين حمَلة الجنسية الإسرائيلية، وهو ما يمثّل العنصر الأوّل القادر على جذب اليهود إلى الشارع، ضدّ الحكومة. ومن هنا، يتّضح أن العنصرية جزء لا يتجزّأ من الوعي والسلوك الجمعيَين لدى الإسرائيليين.

والملاقت أن اليساريين، ممّن هم يساريون فعلاً وإن باتوا أقلّية على هامش المشهد، لا يُظهرون تبايناً عن اليمين، على أسس تعادي التطرّف والعنصرية والاستعلاء على الآخرين، بل لأنهم يرون سلبيات قد تَلحق بإسرائيل «الدولة» من جرّاء ذلك. فاليسار لا يرفض العنصرية لذاتها، بل لتبعاتها وسمعتها السيّئة، والفرق بين المطلّين كبير جدّاً. وعلى هذه الخلفية، يكاد القوس الحزبي في إسرائيل يتركّز فقط على اليمين، متوزّعاً ما بين تصنيفات لا يفرّق بينها إلّا حجم المزايدة في التطرّف: يمين، يمين اليمين، يمين متطرّف، يمين أكثر تطرّفاً...، فيما اليسار أضحى شاذّاً وخارج التقسيمات عملياً. باختصار، الأحزاب في إسرائيل إمّا يمينية زائدة، أو يمينيّة ناقصة، أو ما بينهما، في حين يتّجه الجميع، مع مرور الوقت، إلى اليمينية الأكثر تطرّفاً. ولا يقتصر ذلك على الطبقة السياسية، بل إن الأخيرة هي بذاتها انعكاس للرأي العام الإسرائيلي، الذي بات باكثريّته الساحقة، يمينياً ومتطرّفاً. فالساسة يتماشون مع تطرّف الرأي العام، ويراكمون عليه، فيما الرأي العام يفرض نفسه على السياسيين، ويدفعهم أكثر إلى التطرّف، سواءً تعبيراً عن الذات، أو في سياق المزايدة البينية.

(أ ف ب)

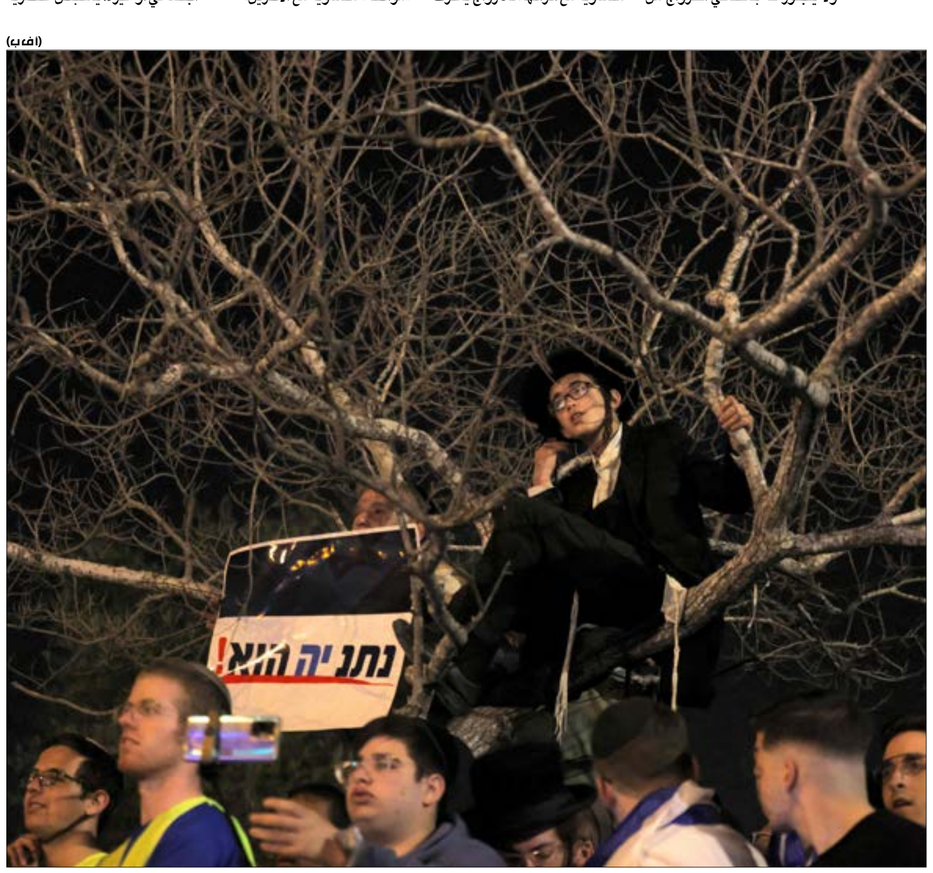

بريد حنظلة

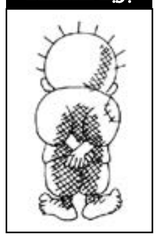

ليس كله اللجوء سواء

طه يونس

عندما ذهب وليد إلى مكتب تقديم اللجوء في لندن، كان عمره 22 سنة. وضعوا أمامه أوراقاً وطلبوا منه أن يكتب قصته. كانوا يكلمونه بإنكليزية صعبة، وكان جديداً في هذه البلاد، يصعب عليه الفهم الدقيق للغتها.

جلس وأمامه طاولة مستديرة في قاعة تخيّلها مخصصة للتحقيق. عصر ظهره بالكرسي. فتح الأوراق التي أمامه. وضع اسمه في الخانة المخصصة لهذا الغرض. قرر أن يكتب باللغة العربية لأنه لا يتقن لغة غيرها، ثم إنهم دولة ولديهم الكثير من المترجمين لا شك. وبدأ:

ولدت في مخيم برج البراجنة للاجئين. كان ذلك في اليوم السابع من شهر كانون الثاني عام ستة وسبعين عند آذان الظهر، هكذا تقول أمي وعلى ذلك فإنني من مواليد برج الجدي. كبرت في المخيم المحاذي لطريق المطار القديم في بيروت، وكان والدي غائباً في أغلب الأوقات.

لاحظ وليد أنه لا يملك سوى ثلاثة أوراق بيضاء، ولو أراد أن يكمل حكايته على هذا المنوال لا بد أنه سيحتاج إلى خمسين ورقة إضافية على الأقل. لذا عليه أن يكتب ما يخدم ملف لجوئه فقط. قرر ذلك وأكمل. عشت حياتي في المخيم، ولم أشارك في الحرب الأهلية اللبنانية، كنت صغيراً. كان والدي ملاحقاً لسبب لا أعلمه. أمي كانت تعمل بالخياطة، وكنا نعيش أنا وإخوتي الأربعة على عملها بمؤسسة «صامد». لم يكن لدي الكثير من الأحلام، كنت آمل فقط في أن أخرج من المخيم الذي سئمت الحياة فيه، وكنت أحلم...

ترك جملته الأخيرة ناقصة معلقة. فكر هل يذكر لهم فلسطين؟ طلب من الشرطي الموجود في الغرفة معه كوب ماء، أحضره له. شربه دفعة واحدة. لا بد أنهم يعرفون أصله وفصله، فهذه دولة عظمى. هكذا حدّث نفسه ثم كتب:

كنت أحلم بأن يكون لي وطن، فأنا ولدت لاجئاً، لا أحمل جنسية حقيقية. والدي يقول إنه من عكا، وإن دولتكم كانت هناك منذ زمن، انتدبت المدينة، ثم سلمتها للعصابات الصهيونية قبل أن تخرج. أمّا أستاذ التاريخ في مدارس «وكالة الغوث» فحدّثنا أنكم قسّمتم المنطقة في عام لم أعد أذكره، وأعطيتم وعوداً أخرجتنا من المعادلة ببساطة لقد نسيتمونا، هكذا تقول أكثر الحكايات تسامحاً معكم.

توقف عن الكتابة مرة أخرى، وهنا اكتشف أنه لا يملك حالة لجوء عادية، وشعر أن الدولة معنية بالتعويض عليه. لم يكن قد فكر بتلك الحيثيات قبل اليوم، وحينما جاء إلى مقر اللجوء في لندن كان ينوي أن يستجدي الدولة من أجل إعطائه حق العمل والإقامة في هذا البلد فقط. إلا أنه تورّط في ما كتبه، أحسّ أن قلمه كرج على الورق من دون أمر منه، ثم اقتنع بنصه قناعة تامة.

لكنه عاد وشطب كل ما كتبه على الورقة البيضاء، دفعة واحدة من غير تفكير. شعر أن يده اتخذت القرار لا دماغه.

انتبه له الشرطي، اقترب منه، دقق في الورقة، قال مستغرباً: لماذا شطبت فقراتك؟

أجاب وليد: أنا لا أعرف الكتابة. نطق لسانه وكأنه يعرف الإنكليزية ويتحدّث بها بطلاقة! ثم وقف ومضى إلى خارج الغرفة.

خرج سعيد من مكتب اللجوء، وبقي في هذه المدينة 12 عاماً بعدها حتى حصل على حقه في الإقامة فيها بشكل شرعي. كان عليه خلالها أن يبتعد عن أهله، أن يكبر وحده، وينتظر وحده قرارات مكتب اللجوء، كي يحصل على أوراق في هذه البلاد. لقد ظن أنه نسي كل تلك المشاعر المؤلمة واعتاد غربته، ما الذي أعاد له كل ذلك على غفلة؟

في صبيحة يوم السبت الخامس من آذار، كان وليد الذي أصبح اليوم أبو هشام، يمشي في حديقة غرين بارك يتابع أخبار المعارك في أوكرانيا على هاتفه كغيره من الناس. تلفته الأعلام الأوكرانية من حوله ورسوماتها التي لونت وجوه الناس في طرقات لندن. وعندما وصل ساحة ترافيلغير سكوير، كان الناس يطالبون بتحرك عسكري ضد روسيا، وينادون بحق العمل للأوكرانيين، وليس بالنجوء، ويصرخون بهتافات تقول إن بريطانيا ترحّب بالأوكرانيين. ثم تنطفئ موجة الصراخ، ويعقبها صمت وصلاة على الضحايا.

بدأ تركيز أبو هشام يتلاشى تدريجياً عن التظاهرة. مر أمام عينيه شريط لجوئه الطويل في هذا البلد، وعمره الذي مضى بعيداً عن أهله، ثم خطرت له حرب غزة الأخيرة، وأصدقاؤه الذين لاحقتهم اللوبيات بعد أن نظموا مسيرات ضد آلة الموت الإسرائيلية في الساحة نفسها.

> عندما وصل ساحة ترافيلغير سكوير، كان الناس يطالبون بتحرك عسكري ضد روسيا، وينادون بحق العمل للأوكرانيين

وحينما عاد مساء إلى منزله، كانت رياح أواخر الشتاء تهب في الأنحاء، وكان ابنه الصغير يشاهد رسوماً متحركة، وزوجته نائمة متعبة من يوم عمل طويل. تذكّر وجه أمّه. حمل منديلاً كانت قد ربطت به حقيبة سفره عندما غادر بيروت لأوّل مرة، حتى لا تضيع الحقيبة ولا يخطئ المسافرون الأغبار بها. أحس بسخونة في قلبه، كأنه يحترق، وبكى... بكى كثيراً.

المقاطعة: من يحاصر من؟

نضال خلف

مع ارتفاع نسبة الوعي العالمي لـ«جنون» سياسة العقوبات الغربية في ظل التصادم الأخير بين روسيا و«الناتو»، تبرز حدّة المقاطعة الأوروبية والأميركية لروسيا، والتي امتدّت إلى الرياضة والأدب والتعليم الجامعي وصولاً إلى القطط. هذه السهولة في إقصاء روسيا عن الغرب طرحت أسئلةً جوهرية حول مفهوم مقاطعة إسرائيل والقيود السائدة حول تطبيقها في الوعي العربي.

إنّ نقاش مفهوم مقاطعة إسرائيل ليس من باب الترف الفكري، بل هو محاولة لتطوير وعي وطني ينتج عنه سلوك سليم في تعامل الإنسان العربي مع تجربة المقاطعة، خصوصاً في ظل الانتشار العربي في دول النفوذ الصهيوني، وما يقابله من انتشار صهيوني علني في المنطقة العربية، ما يزيد من فرص الاحتكاك العربي مع الصهاينة في ظلّ عمل إعلامي دؤوب لكيّ الوعي وتشويه المفاهيم.

التناقضات

من الركائز الأساسية للدعاية الإعلامية الصهيونية هي سياسة قلب الحقائق، أو «السببية المختلّة»، والتي تُبنى على كما يرتبط عملياً بمقدار القوة العسكرية- السياسية. إذا ما قلّبنا صفحات التاريخ سريعاً، سنجد أنّ النقاشات حول المقاطعة خلال حقبة الثورة الفلسطينية كانت نادرة. لماذا؟ لأنّ الوعي الشعبي الفلسطيني والعربي المتجمهر حول مفهوم الكفاح المسلّح لم يكن يرى أي إمكانية أو غرض من تطبيع وجود إسرائيل - كلّ إسرائيل، ما يفقد النقاش أساسات وجوده، حتى على صعيد المصلحة الآنية. وهو الوعي نفسه الذي نراه اليوم داخل بيئات المقاومة في المنطقة، والممتدة من صنعاء إلى غزة. فإسرائيل ليست خياراً في هذه المجتمعات، وكلّ ما يتعلّق بها مرفوض وخارج النقاش. في الحالتين، ورغم اختلاف التجارب، تشكّل القوة المجتمعية الحاضنة للقوة العسكرية العامل الرئيسي في تبسيط قضية «المقاطعة»، دون الحاجة إلى اختلاق التعقيدات.

أمّا اللجوء إلى تبرير التواصل أو تسخيف المقاطعة، فهو طريق الفئات المهزومة، التي تستسلم لواقع المستعمِر وتصبح جزءاً من استمراريته. وهذه الفئات تنقسم إلى فصائل سياسية استسلمت للعدوّ وقرّرت التحوّل إلى ضفّته، ما يجعلها تبرّر «التواصل» من بوابة الخدمات، أو قد تتكوّن هذه الفئات من أفراد يبحثون عن خلاصهم الفرديّ من منطلق دونيّ انهزاميّ لا يُشرك في عبادته الغرب الأبيض. في الحالتين، تشكّل الهزيمة العامل المشترك الذي يدفع الطرف المهزوم إمّا إلى البحث عن ذاته في عبادة العدو، أو إلى تعميم الهزيمة على الجمهور من خلال طرح نقاشات حول «أفضلية المقاطعة على الصواريخ»، على سبيل المثال. والردّ على هذه الطروحات لا بدّ أن يكون واضحاً وبسيطاً: بأنّ «الصاروخ» هو ركيزة فعل المقاطعة. فبدونه تبقى المقاطعة فعلاً بطولياً فردياً، وبوجوده، تتحوّل المقاطعة إلى فعلٍ بديهيٍّ جماعي. وفي حساب الجدوى، فالبديهيات الجماعية أشدّ أثراً من البطولات الفردية.

الوضوح

بناءً على ذلك، لا بدّ لنا أن نُعيد ربط فعل المقاطعة بميزان القوى القائم على الصعد كافة. فعلى الصعيد الأخلاقي، يبقى فعل المقاطعة فعلاً أخلاقياً ممكناً ضدّ العدو في ظلّ غياب آليات الفعل الأكثر نجاعة. وفي مقاطعة كلّ ما يرتبط بالعدو دفاعٌ عن الوجود، لأنّ الفرد الصهيوني كالبضاعة الصهيونية كالفكرة الصهيونية، عجلاتٌ في آلة الحرب المدعوّة إسرائيل. أمّا على الصعيد السياسي، من الضروري قياس جدوى «المقاطعة» انطلاقاً من ميزان القوى القائم. فمقاطعة المُحاصِر للمُحاصَر اعتداء، أمّا مقاطعة المُحاصَر للمُحاصِر أضعف الإيمان. كما ومن غير المعقول إدراك فعل المقاطعة خارج سياق القوّة والأثر. فعلى سبيل المثال، مجاهرة الغرب بمقاطعة روسيا تنبع من قناعة الطرف الأوّل بهيمنته على الاقتصاد العالمي، ما يجعل قراره في مقاطعة روسيا مؤذياً، كما أراد لهذه المقاطعة أن تؤدّي دورها في أذية فنزويلا وكوريا الشمالية وإيران وسوريا والعراق وليبيا وفلسطين. اعتقاد الغرب بتحكّمه المُطلق في مفاصل الاقتصاد والسياسة يجعل من المقاطعة أداة أذيّة للشعوب والحكومات الرافضة لهيمنته ولقواعد اللعبة التي رسمها في العالم. ومن هذا الباب، فإنّ أي فعل خارج عن هذه القواعد يتحوّل حُكماً إلى فعلٍ مُحاصَر، مُلاحَق ومُقاطَع. هذا ما رأيناه مثلاً مع البطل العربي الجزائري فتحي نورين، حين مارس حقّه في مقاطعة اللاعبين الصهاينة، فتمّ إقصاؤه وتغريمه، أي مقاطعته. هذا الثمن المرتبط بمصير الإنسان وطموحاته وصولاً إلى كرامته، هو ما يواجهه أي إنسان عربي يقرّر مقاطعة أي فاعلية يحضرها الصهاينة.

وهذا ما يدفعنا إلى استنتاج جوهري: نحن مُحاصَرون أينما نذهب، لأنّ وجودنا بهويتنا وحريتنا هو تهديدٌ مباشر لمشروع إبادتنا. لهذا وأكثر، لا بدّ لنقاشات «جدوى المقاطعة» أن تختفي من وعينا، على أمل استبدالها بنقاشات أجدى حول الفعل الأجدى على درب تحرّرنا. وها هو الواقع يُثبت لنا يوماً بعد يوم أنّ الهيمنة الغربية ليست قدراً، وأنّنا مهما بلغت التحدّيات أمامنا، تبقى ممارستنا للفعل الوطني على الصعيد اليومي كـ«البحصة التي تسند صخرة» تعمل على تحطيم آلة الاستعمار. والفعل الوطني اليومي لا يقتصر فقط على التزامنا بالمقاطعة، بل لا بدّ له أن يُستكمَل بتبنّي مقاومتنا العربية والالتفاف حولها، لأنّ صمودها وتعزيز قواها هي السطور لكلّ الكلمات التي تُكتَب في حرّية البلاد.

> إذا ما قلّبنا صفحات التاريخ سريعاً سنجد أنّ النقاشات حول المقاطعة خلال حقبة الثورة الفلسطينية كانت نادرة

على الغلاف

ذهول وذعر في الكيان
إسرائيل بلا قدرة على الردع

يحيى دبوق

بدت إسرائيل، في اليوم الذي أعقب عملية تل أبيب، مصدومة ومجروحة، وهي تترقّب المزيد من العمليات التي باتت تُثقل كاهل المستوطنين، وتدفعهم إلى التسمّر في المنازل خشية الآتي. يفقد هؤلاء، شيئاً فشيئاً، شعورهم بالأمن، وتتراجع ثقتهم بمسؤوليهم، فيما تَفقد المؤسسة الأمنية، وتبعاً لها المؤسسة السياسية، الأدوات التي تكفل لها منع الهجمات. وفي المقابل، ينجح الفلسطينيون في الوصول إلى المدن الإسرائيلية، وجَبْي أثمان من المحتلّين، علماً أن المنفّذين، سواءً أكانوا أفراداً أم جماعات صغيرة، لا يتلقّون توجيهات من أعلى، وهذا ما تصبّ تل أبيب اهتمامها عليه حالياً؛ كونه تحدّياً لا تنفع معه أيّ من الإجراءات العقابية الرادعة، التي طالما استخدمها الاحتلال في مواجهة الفلسطينيين. وبتعبير أدقّ، ليست لدى المنفّذين مراكز ثقل وتوجيه، تمنع عنهم التحفيز والمبادرة، في حال استهدافها. كما أنه ليست في حوزتهم أيّ إشارات تدلّ على هويّتهم، بما يمكّن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بالتالي من اعتقالهم أو تحييدهم مسبقاً. فالمنفّذون قادمون من غير ساحة جغرافية فلسطينية، سواءً من داخل الخطّ الأخضر أو من خارجه، ومنهم مَن كان معتقلاً في السابق على خلفيات أعمال مقاومة، وبعضهم تخلو سيرته من أيّ عمل مقاوم سابق، فيما آخر لديه خلفيات في الانتساب إلى فصائل فلسطينية مقاومة أو غيرها، وثالث ليس معروفاً ما إن كان متماهياً مع أيّ من الفصائل. كذلك، ثمّة من يحملون الجنسية الإسرائيلية، وآخرون قادمون من مدن الضفة المحتلة، وبذا تتساوى أجهزة الاحتلال، وأجهزة حلفائها في السلطة الفلسطينية، في الفشل.

أمّا الدليل الوحيد المؤكّد إلى الآن، والمشترك بين المنفّذين، فهو أنهم فلسطينيون يدفعهم وجود الاحتلال وسياساته إلى القيام بما من شأنه الإضرار به، فيما نجاحهم يحفّز المزيد من الفلسطينيين على محاكاتهم. وهكذا، يتبلور مسار تُغذّي محطّاته بعضها بعضاً، بلا عوامل خارجية مُوجِّهة. المؤكّد كذلك أن هذه الموجة مغايرة لما سبقها، وتحديداً عمليات الدهس والطعن التي لا تنجم عنها نتائج عظيمة التأثير، كما هو حال إطلاق النار في شوارع المدن الإسرائيلية الرئيسة وساحاتها، والذي لا تقتصر آثاره على خسائر في الأرواح، بل تشمل تآكل الشعور بالأمن والقدرة على التحكّم والسيطرة. وبحسب التقارير الإسرائيلية، فإن أداء المنفّذين في العمليات الأخيرة ينمّ عن نوع من الاحترافية أو الإعداد السبق الذي يفضي إلى نتائج مماثلة، وهو ما كانت تفقده عمليات الطعن الارتجالية السابقة. أيضاً، يبرز الذي يُعدّ أكثر أمناً قياساً إلى غيره من الأماكن المحتلة، ومن دون تفريق بين مدينة وأخرى: بئر السبع (مختلطة)، بني باراك (حريدية)، تل أبيب (رمز الاستيطان والأسرلة)... أي أن كلّ الإسرائيليين، بمختلف توجّهاتهم، مستهدَفون.

واضحات العمليات تعيد الإسرائيليين عقدين إلى الوراء (أ ف ب)

> تشير الهجمات الأخيرة إلى فقدان «السور والجدار» القدرة على ردع الفلسطينيين عن القيام بأفعال قاتلة

وتتمثّل المعضلة الإسرائيلية الحالية في كون الإجراءات العقابية الجماعية والفردية، التي يمكن تفعيلها في مواجهة الفلسطينيين، هي نفسها محلّ تحذير من قِبَل أجهزة العدو الأمنية، من أنها قد تكون عاملاً محفّزاً لمزيد من العمليات، فيما الارتداع عنها سيؤدّي بدوره إلى النتيجة نفسها. وفي هذا الإطار، سيكون من شأن أيّ تراجع عمّا يسمّيه العدو «إجراءات السيادة» على الأراضي المحتلّة، كما في حال منع أو تجميد وصول المستوطنين إلى الحرم القدسي من أجل الحيلولة دون أيّ مواجهات جديدة، أن يولّد انطباعاً بأن الفعل الفلسطيني يدفع إسرائيل إلى «التنازل»، وهما هنا تكمن المفارقة بالنسبة إلى دولة الاحتلال. وممّا يزيد المشهد تعقيداً هو أن هذه العمليات تأتي في ظلّ أزمة سياسية وفي هذا الإطار، سيكون من شأن أيّ تراجع عمّا يسمّيه العدو «إجراءات السيادة» على الأراضي المحتلّة، كما في حال منع أو تجميد وصول المستوطنين إلى الحرم القدسي من أجل الحيلولة دون أيّ مواجهات جديدة، أن يولّد انطباعاً بأن الفعل الفلسطيني يدفع إسرائيل إلى «التنازل»، وهما هنا تكمن المفارقة بالنسبة إلى دولة الاحتلال. وممّا يزيد المشهد تعقيداً هو أن هذه العمليات تأتي في ظلّ أزمة سياسية وفي هذا الإطار، سيكون من شأن أيّ تراجع عمّا يسمّيه العدو «إجراءات السيادة» على الأراضي المحتلّة، كما في حال منع أو تجميد وصول المستوطنين إلى الحرم القدسي من أجل الحيلولة دون أيّ مواجهات جديدة، أن يولّد انطباعاً بأن الفعل الفلسطيني يدفع إسرائيل إلى «التنازل»، وهما هنا تكمن المفارقة بالنسبة إلى دولة الاحتلال. وممّا يزيد المشهد تعقيداً هو أن هذه العمليات تأتي في ظلّ أزمة سياسية وفي هذا الإطار، سيكون من شأن أيّ تراجع عمّا يسمّيه العدو «إجراءات السيادة» على الأراضي المحتلّة، كما في حال منع أو تجميد وصول المستوطنين إلى الحرم القدسي من أجل الحيلولة دون أيّ مواجهات جديدة، أن يولّد انطباعاً بأن الفعل

> تركيزُ المنفّذين على المدن الإسرائيلية داخل الخطّ الأخضر، بعيداً عن الأراضي المحتلّة في القدس والضفة الغربية، أي على العمق الإسرائيلي

> تبدو الخيارات الإسرائيلية محدودة ومقيّدة بالكثير من الحسابات الأمنية والسياسية

والضرب حيث لا يتوقّع العدو.

ـ التغلّب على الإجراءات الأمنية الإسرائيلية الدورية والمشدّدة، والتملّص من الوقوع في الإنذار المبكر، وتحقيق عنصر المفاجأة.

ومع هجوم بئر السبع، انتقلت المعركة إلى مرحلة أكثر تعقيداً، حيث لم يعُد عنصر المفاجأة عاملاً محورياً، لأن العدو بات يتحسّب لإمكانية وقوع عمليات جديدة في الداخل المحتل، وهو يحاكي في خططه وإجراءاته هذا السيناريو، وبالتالي، بات المشهد أمام المقاومين أكثر تعقيداً. ولكن، على الرغم من ذلك، نجح هؤلاء في تنفيذ ثلاث عمليات نوعية أخرى، آخرها كانت في تل أبيب. وفي هذه المرحلة الثانية، يُسجَّل للمقاومة، في ظلّ الحرب الأمنية مع العدو، ما يأتي:

ـ القدرة على اختراق الإجراءات الأمنية المستجدّة والمكثّفة (عقب عملية بئر السبع)، وتنفيذ الهجمات بالسلاح والرصاص.

ـ تأمين نقل المنفّذين وأسلحتهم من الضفة الغربية إلى المدن الرئيسية في الكيان (هذا التطوّر برز في عمليتَي بني براك وتل أبيب، وهو الأخطر بالنسبة إلى العدو).

ـ التنويع في نقاط العمليات جغرافياً، حيث يُضعف ذلك تركيز الجهود الأمنية للعدو.

ـ اختيار المنفّذين بعناية، وبمميّزات خاصّة، وبانتماءات غير واضحة وبارزة، وبخبرة واحترافية واضحة (تجلّت في الهجومَين الأخيرَين، من خلال دقّة الإصابة عند إطلاق النار). ليست هذه المرة الأولى التي يتعامل فيها العدو مع موجة من العمليات النوعية داخل الأراضي المحتلة. ففي السنوات القليلة التي سبقت الانتفاضة الثانية، وقعت عدّة عمليات داخل المدن المحتلّة، انطلاقاً من الضفة الغربية والقدس. آنذاك، وتحديداً في عام 1999، وبعد عام واحد على تسلّمه قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي، قال اللواء موشي يعلون، خلال ورشة عمل عُقدت في شعبة هيئة الأركان في الجيش، للبحث في تطوير أساليب التعامل مع التصعيد في الضفة الغربية والقدس، إنّ «المشكلة هي عدم وجود أطر نظرية للتعامل مع الساحة الفلسطينية، وخاصّة الضفة الغربية»، مشيراً إلى وجوب إعداد وتطوير خطط بديلة. وفي هذا السياق، قدّم مشروعه «براشيت»، الذي ارتكز على ثلاث قواعد رئيسية:

1ـ تغيير إجراءات تقييم الوضع.

2ـ التخطيط العملياتي القتالي.

3ـ عدم التعامل مع الساحة الفلسطينية كجبهة قتال جديدة.

وعلى هذه القواعد الثلاث، ارتكز يعلون في التعامل مع التطورات الأمنية والعسكرية في الضفة الغربية، وكان هو أوّل من تحدّث عن تحقيق نوع من «الإنذار المبكر» في ما يخصّ العمليات الفدائية في الداخل المحتل. ودعا إلى تطوير الخطط لتحقيق «إحباط مسبق» للعمليات، و«الاستجابة السريعة» لها في حال وقوعها. ولا يزال معمولاً بهذه العناوين/ المراحل الثلاث، إلى اليوم، بيد أن المفارقة هي أنها لم تفلح في سنوات الانتفاضة في كبح المقاومين وإحباط العمليات، حتى اضطرّ العدو، عقب عملية تفجير فندق بارك في مدينة نتانيا، إلى شنّ عملية «الدرع الواقي» في آذار 2002، لاجتياح مدن وبلدات الضفّة الغربية، والهدف الأساسي: «وقف العمليات الفلسطينية داخل إسرائيل» (جرت العملية في مثل هذه الأيام تماماً). لكن، لم تنجح تلك المقاربة العسكرية في إيقاف العمليات، لتجد إسرائيل نفسها تبني جداراً لعزل الفلسطينيين عن «الناطق الإسرائيلية». ومع تقدّم السنوات، أُضيف إلى مشروع يعلون، عاملان:

ـ تعزيز الجدار العازل وإحكام إغلاقه (فشل العدو في ذلك لأسباب عدة).

ـ رفع مستوى التنسيق الأمني الشامل مع أجهزة السلطة في رام الله.

وأمام العمليات الإبداعية والبطولية التي تضرب قلب الكيان، اليوم، وفي المقدّمة عاصمته، رغم تحقّق كلّ الأسباب التي حدّدها العدو لضبط الأمن ومنع العمليات، تبدو الخيارات الإسرائيلية محدودة ومقيّدة بالكثير من الحسابات الأمنية والسياسية. فأيّ خيار تصعيدي قد تذهب إليه إسرائيل، لن يشكّل نهاية القصّة، بل قد يكون بداية تصعيد جديد أشمل وأكبر، لا تُعرف مآلاته ونتائجه. وإذا كان العدو قد وجد نفسه أمام عملية عسكرية في الضفة الغربية، عام 2002، فإن هذا الخيار يبدو مكلفاً اليوم، إذ تترصّد فصائل المقاومة في قطاع غزة الفرصة المناسبة للدخول في المعركة، ومنع استفراد العدوّ بأيّ ساحة فلسطينية. وهذا جوهر سياسة «ربط الساحات» التي اعتمدتها المقاومة انطلاقاً من معركة «سيف القدس».

صواريخ غزة تُطلّ الفدائيين: لا «درع واقياً» مرّة ثانية

جنين ـ الأخبار

ليل أول من أمس، وبعد أكثر من ساعة على وقوع عملية إطلاق النار في شارع ديزنغوف في تل أبيب، تجمّع العشرات من جنود الجيش الإسرائيلي، والشرطة، وحرس الحدود، والوحدات الخاصة، و«الشاباك»، ومعهم المستوطنون، أمام مبنى في الشارع نفسه، ووجّهوا أسلحتهم الكثيرة إلى الشقق العليا. لحظتها، بدا كأن منفّذ العملية الفدائية قد وقع في قبضتهم، وها هم يتحضّرون للانقضاض عليه وإنهاء خطره. ولكن، بعد مرور دقائق فقط، تبيّن لدى الواقفين في المكان أن لا أحد هناك، وأن المقاوم الفلسطيني لا يزال حرّاً طليقاً، ولديه القدرة على إحداث المزيد من الضرر. هذا المشهد، بكلّ ما يحمله من دلالات، يبدو الأقرب فعلياً إلى صورة الجيش الإسرائيلي حالياً، من أعلى الهرم إلى ذلك المستوطن الذي بات يخاف التجوّل في شوارع عاصمة «بلاده».

قد يكون مهمّة شاقّة جدّاً، جمع كلّ التصريحات والإشارات بشأن الاستعدادات والإجراءات العسكرية والأمنية التي اتخذتها أجهزة العدو الأمنية، وجيشه بوحداته الخاصّة والوليدة النظامية، خلال الأيام والأسابيع الماضية، على وقع الاستعداد لشهر رمضان، ولاحقاً على وقع العمليات التي شهدتها بئر السبع والخضيرة وتل أبيب. ويمكن هنا تقسيم الفترة، منذ بداية العام الحالي، إلى مرحلتين: الأولى، هي استعداد للتصعيد قبيل شهر رمضان وخلاله في الضفة الغربية والقدس على وجه الخصوص؛ والثانية، عاجلة وتفاعلية أتت بعد عملية بئر السبع المزدوجة، والتي أشعلت الإنذار لدى المستوى الأمني في الكيان. ويبدو أن المقاومة ـ أفراداً وتنظيمات ـ اختارت التسلّل من بين المرحلتين؛ إذ أوهمت العدو أنّه حاصرها في الضفة والقدس، واحبط خططها وضرب خلاياها، وعطّل قدرتها على المناورة وتنفيذ العمليات النوعية، لتنقضّ عليه في المدن المحتلّة (أراضي 48)، حيث لم يكن يتوقّع، وحيث اعتقد أنّه بحملة الاعتقال والعقاب التي نفّذها، بعد معركة «سيف القدس»، في أيار الماضي، قد كسر عزيمة فلسطينيي الداخل. على أن الغلبة الفلسطينية، في المرحلة الأولى، أي حتّى لحظة تنفيذ العملية الأولى في بئر السبع، تمثّلت في:

ـ القدرة على الخداع والمباغتة،

> تبدو الخيارات الإسرائيلية محدودة ومقيّدة بالكثير من الحسابات الأمنية والسياسية

ـ التنويع في نقاط العمليات جغرافياً، حيث يُضعف ذلك تركيز الجهود الأمنية للعدو.

ـ اختيار المنفّذين بعناية، وبمميّزات خاصّة، وبانتماءات غير واضحة وبارزة، وبخبرة واحترافية واضحة (تجلّت في الهجومَين الأخيرَين، من خلال دقّة الإصابة عند إطلاق النار). ليست هذه المرة الأولى التي يتعامل فيها العدو مع موجة من العمليات النوعية داخل الأراضي المحتلة. ففي السنوات القليلة التي سبقت الانتفاضة الثانية، وقعت عدّة عمليات داخل المدن المحتلّة، انطلاقاً من الضفة الغربية والقدس. آنذاك، وتحديداً في عام 1999، وبعد عام واحد على تسلّمه قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي، قال اللواء موشي يعلون، خلال ورشة عمل عُقدت في شعبة هيئة الأركان في الجيش، للبحث في تطوير أساليب التعامل مع التصعيد في الضفة الغربية والقدس، إنّ «المشكلة هي عدم وجود أطر نظرية للتعامل مع الساحة الفلسطينية، وخاصّة الضفة الغربية»، مشيراً إلى وجوب إعداد وتطوير خطط بديلة. وفي هذا السياق، قدّم مشروعه «براشيت»، الذي ارتكز على ثلاث قواعد رئيسية:

1ـ تغيير إجراءات تقييم الوضع.

2ـ التخطيط العملياتي القتالي.

3ـ عدم التعامل مع الساحة الفلسطينية كجبهة قتال جديدة.

وعلى هذه القواعد الثلاث، ارتكز يعلون في التعامل مع التطورات الأمنية والعسكرية في الضفة الغربية، وكان هو أوّل من تحدّث عن تحقيق نوع من «الإنذار المبكر» في ما يخصّ العمليات الفدائية في الداخل المحتل. ودعا إلى تطوير الخطط لتحقيق «إحباط مسبق» للعمليات، و«الاستجابة السريعة» لها في حال وقوعها. ولا يزال معمولاً بهذه العناوين/ المراحل الثلاث، إلى اليوم، بيد أن المفارقة هي أنها لم تفلح في سنوات الانتفاضة في كبح المقاومين وإحباط العمليات، حتى اضطرّ العدو، عقب عملية تفجير فندق بارك في مدينة نتانيا، إلى شنّ عملية «الدرع الواقي» في آذار 2002، لاجتياح مدن وبلدات الضفّة الغربية، والهدف الأساسي: «وقف العمليات الفلسطينية داخل إسرائيل» (جرت العملية في مثل هذه الأيام تماماً). لكن، لم تنجح تلك المقاربة العسكرية في إيقاف العمليات، لتجد إسرائيل نفسها تبني جداراً لعزل الفلسطينيين عن «الناطق الإسرائيلية». ومع تقدّم السنوات، أُضيف إلى مشروع يعلون، عاملان:

ـ تعزيز الجدار العازل وإحكام إغلاقه (فشل العدو في ذلك لأسباب عدة).

ـ رفع مستوى التنسيق الأمني الشامل مع أجهزة السلطة في رام الله.

وأمام العمليات الإبداعية والبطولية التي تضرب قلب الكيان، اليوم، وفي المقدّمة عاصمته، رغم تحقّق كلّ الأسباب التي حدّدها العدو لضبط الأمن ومنع العمليات، تبدو الخيارات الإسرائيلية محدودة ومقيّدة بالكثير من الحسابات الأمنية والسياسية. فأيّ خيار تصعيدي قد تذهب إليه إسرائيل، لن يشكّل نهاية القصّة، بل قد يكون بداية تصعيد جديد أشمل وأكبر، لا تُعرف مآلاته ونتائجه. وإذا كان العدو قد وجد نفسه أمام عملية عسكرية في الضفة الغربية، عام 2002، فإن هذا الخيار يبدو مكلفاً اليوم، إذ تترصّد فصائل المقاومة في قطاع غزة الفرصة المناسبة للدخول في المعركة، ومنع استفراد العدوّ بأيّ ساحة فلسطينية. وهذا جوهر سياسة «ربط الساحات» التي اعتمدتها المقاومة انطلاقاً من معركة «سيف القدس».

تكمن خطورة هذه العملية وأحدى ابرز سماتها في كونها غير تقليدية (أ ف ب)

جنين تجدّد صفعتها: «المخيّم» ينتظر الاشتباك

جنين ـ الأخبار

بعد ثماني ساعات من الرعب عاشتها إسرائيل، واستدعت خلالها آلاف الجنود ومختلف وحدات النخبة، وصل الخبر المؤكّد: جنين تصفع العدو على وجهه مجدّداً، بيد مقاوم مسلّح بمسدّس، كان يتمشّى في الشوارع قبل أن يُطلق النار، ثمّ يرتقي شهيداً، في عملية غير تقليدية. عملية حظيت باهتمام فلسطيني واسع، فاق ذاك الذي لاقَته العمليات السابقة، الأمر من الدراما والتشويق فيها، خصوصاً أن المقاوم استطاع الانسحاب من المكان، لتبدأ رحلة مطاردته، ويتكشّف معها الفشل الإسرائيلي تباعاً.

ولعلّ خطورة هذه العملية، وإحدى أبرز سماتها، تكمن في كونها غير تقليدية؛ إذ نُفّذت عبر مقاوم مختلف عن الذين اعتادهم العدو. ويقول أحد أقارب الشهيد، إلى «الأخبار»، إن «رعد فتحي حازم هو شاب (29 عاماً) يقطن في مخيّم جنين للاجئين، ولا علاقة له بأيّ أنشطة فصائلية أو عسكرية، وليس أسيراً محرَّراً من السجون الإسرائيلية». ويضيف أنه «ذكيّ للغاية، وناجحٌ جدّاً في حياته، يعمل في مجال البرمجة والحواسيب، ويملك شقّة خاصّة به مستقلّة خارج مخيّم جنين». إذاً، لا يوجد انتماء واضح للشهيد، أو أيّ نشاط تنظيمي، ولكنه نشأ في كنف عائلة مقاومة ومحسوبة على حركة «فتح»؛ فوالده عقيدٌ في جهاز الأمن الوطني التابع للسلطة الفلسطينية، وكان مطارَداً ومطلوباً للعدو في الانتفاضة الثانية، واعتُقل بعدها لعدّة سنوات في السجون الإسرائيلية. كما أن الشهيد هو ابن شقيقة الشهيد عثمان السعدي، الذي ارتقى على أرض لبنان خلال معارك الثورة الفلسطينية، وهو أيضاً ابن شقيقة الشهيد محمد السعدي، الذي ارتقى في اشتباك مسلّح مع قوّة خاصّة إسرائيلية، في الانتفاضة الأولى. وفي أعقاب الكشف عن هوية منفّذ عملية تل أبيب، انطلقت مسيرة حاشدة من محافظة جنين، واحتشدت أمام منزل عائلة الشهيد رعد، حيث استقبلهم والده بخطاب قال فيه: «سترون النصر إن شاء الله في جيلكم، سترون النصر في عهدكم، في السنوات المقبلة، والأيام المقبلة». وأضاف: «رعد كان شاباً خلوقاً طيّباً سمحاً، مصلّياً صائماً، مُرضياً وباراً بوالديه، ويتمتّع بذكاء خارق، ونحن لا نعلم من هو القدوة لابني، أو هل تأثّر بأحد شهداء جنين الذين ارتقوا أخيراً أم لا». وأشار إلى أن «آخر مرّة رأينا فيها رعد، كانت قبل أيام على مائدة الإفطار»، مضيفاً أن ابنه «استشهد صائماً، حيث اغتالته القوّات الخاصة».

وفي تداعيات العملية، يؤكّد أحد مقاومي مخيّم جنين، في حديث إلى «الأخبار»، أنّ «الوضع الميداني أخذ في التصعيد»، مضيفاً أنّ «الأسابيع المقبلة ستشهد ارتفاعاً في منسوب الاشتباك بقوّة». ويلفت إلى أنّ «العدو يعلم أنّ الشهيد رعد هو المقاوم الأول الذي يخرج من مخيّم جنين وينفّذ عملية يسقط فيها قتلى منذ سنوات طويلة». وإذ يُشير إلى أنّ «العدو يهرب من فكرة المكوث في جنين ومخيّمها، كما أن عملياته هناك سريعة وخاطفة»، فهو يستدرك بأن الاحتلال «الآن، سيحتاج إلى اقتحام منزل عائلة الشهيد وأخذ قياساته تمهيداً للهدم، وهذا الأمر لن يكون سهلاً بل معقّداً، رغم أن المنزل يقع على أطراف المخيّم تقريباً». وبناءً عليه، من المتوقّع أن يشهد مخيّم جنين استنفاراً واسعاً بدءاً من الليلة، خصوصاً في محيط منزل عائلة رعد، وداخل المخيّم. كما يُتوقّع أن تشهد الأيام المقبلة مسيرات حاشدة مستمرّة إلى منزل العائلة، الأمر الذي يعني بالضرورة استمرار ظهور المقاومين المسلّحين، ورفع حالة الاستنفار ميدانياً.

> مثل هذه العمليات لا تحتاج إلى تخطيط وتنفيذ على مراحل كثيرة ومتتالية

في هذه الأثناء، غاب، للمرّة الأولى، التصريح المعتاد للمسؤولين الإسرائيليين، والذي يقول إن «المنفّذ كان تحت مراقبة الشاباك». إذ مثّلت العملية صفعة قوية لمنظومة أمن العدو، الذي سارع إلى استدعاء آلاف الجنود من مختلف وحدات النخبة، بما فيها وحدة «سييرت متكال» التابعة لهيئة الأركان مباشرة، والتي لم يسبق لها أن انتشرت في شوارع تل أبيب، منذ عملية الشهيدة دلال المغربي في عام 1978. في المقابل، باركت الفصائل الفلسطينية عملية تل أبيب، واعتبرتها ردّاً طبيعياً على جرائم العدو، لكن رئيس السلطة، محمود عباس، سارع إلى إدانتها، كالعملية السابقة التي نفّذها الشهيد ضياء حمارشة في «بني براك». وبدا لافتاً أن نصّ الإدانة الجديدة كان عبارة عن نقل حرفي للإدانة السابقة، إذ قال عباس: «قتل المدنيين الفلسطينيين والإسرائيليين لا يؤدّي إلّا إلى المزيد من تدهور الأوضاع، حيث نسعى جميعاً إلى تحقيق الاستقرار، خصوصاً خلال شهر رمضان الفضيل والأعياد المسيحية واليهودية المقبلة». بالنتيجة، يبقى انطلاق عمليات مسلّحة من جنين نحو الأراضي المحتلّة عام 1948، سيناريو غير معهود، ولم تشهده فلسطين منذ سنوات طويلة. وتكمن الخطورة، بالنسبة إلى العدو، في أن مثل هذه العمليات لا تحتاج إلى تخطيط وتنفيذ على مراحل كثيرة ومتتالية، إذ إنه لا توجد اتصالات ولا لقاءات مع تجّار أسلحة ولا تعدُّدية منفّذين. كما أنها ليست مكلفة، بل أثبت الشهيد رعد أنه بمسدّس واحد قد يتمكّن من توجيه ضربة قوية من الصعب كشفها مسبقاً، لأن المنفّذ لا يملك سجلّاً أمنياً، وليس أسيراً محرَّراً، وبالتالي غير خاضع للمراقبة، ولا يمكن التنبّؤ بما قد يُقدم عليه. وإذا كانت عملية بئر السبع قد جرّت عملية الخضيرة، التي كان منفّذاها من الداخل المحتل، وهجوم الشهيد ضياء حمارشة في بني براك، قد جرّ هجوم الشهيد رعد حازم في قلب تل أبيب، فإن الإشكالية الرئيسة اليوم بالنسبة إلى إسرائيل هي: كيف يمكن إحباط العملية التالية، من جنين إلى الداخل؟

قضية

الروبل في انتعاش متواصل
روسيا تتجاوز الصدمة

واصل الروبل الروسي تحسّنه مقابل الدولار واليورو، في وقت أكّدت فيه موسكو أنّ الاقتصاد الروسي استطاع، بالفعل، الصمود أمام العقوبات الغربية، متحدّثة عن فرص جديدة أمامه ستعزّز من مكانته. وعلى رغم هذه المؤشّرات الإيجابية، إلّا أنّ الخبراء الروس يستبعدون أن يستمرّ الروبل في مساره التصاعدي، بالنظر إلى أنّ دوام «قوّته» لا يُعدّ مربحاً للميزانية الروسية، التي تحتاج إلى إيرادات أعلى الآن، أكثر من أيّ وقت مضى، لدعم السكّان والشركات المتضرّرة من العقوبات

موسكو ـ **الأخبار**

بالتوازي مع الحرب العسكريّة في أوكرانيا، تخوض روسيا حرباً اقتصادية مع الغرب، بعد فرضه عقوبات قاسية بهدف تدمير الاقتصاد الروسي. ومع مرور الوقت، تُظهر الوقائع أنّ موسكو حضّرت نفسها جيّداً للضغوط الغربية عليها. وفي ظلّ نجاحها المرحلي في مقاومة آثار العقوبات، انتقلت روسيا إلى مرحلة المواجهة عبر قرارات أبرزها فرض الروبل كعملة للدفع مقابل الغاز، وربط الروبل بالذهب. وعلى مدار 8 أسابيع من الحرب، اتّخذت الحكومة الروسية عدداً من القرارات الهادفة إلى دعم الاقتصاد الروسي، عبر تخصيص أموال هائلة لذلك، أخرها 80 مليار روبل لدعم الصناعة والتجارة. وأكّد رئيس الحكومة، ميخائيل ميشوستين، أن الاقتصاد الروسي قاوم وأثبت جدارته أمام العقوبات التي ظنّ الغرب أنها ستؤدي إلى انهياره. وأضاف ميشوستين، في كلمة خلال تقديمه تقريراً حكومياً في مجلس النواب الروسي «الدوما»، أنه نتيجة لذلك ظهرت «مساحة فريدة من الفرص» التي يجب استخدامها.

التفاؤل الحكومي عزّزه في الأيام الماضية تحسّن سعر صرف الروبل أمام الدولار واليورو، ليصل أمس إلى مستويات ما قبل الحرب. فبعد تسجيله مستويات قياسية في الأيام الأولى للعملية العسكرية، وصلت إلى حدود 150 روبلاً مقابل الدولار الواحد، سجّل أمس 76,25 مقابل الدولار الواحد، و83,29 مقابل اليورو، بحسب البنك المركزي الروسي. ويُجمع الخبراء الاقتصاديون الروس على أن الخطوات التي اتّخذتها الحكومة والبنك المركزي، حقّقت النتيجة المرجوّة منها. ويلفت الخبراء إلى أنّ الإجراءات التي شملت على وجه الخصوص، تقييد عملية خروج الأصول الأجنبية من البلاد - حيث لا يزال المستثمرون الأجانب غير قادرين على بيع أصول الروبل وشراء العملات الأجنبية وسحب رأس المال إلى الخارج -، إضافة إلى إيقاف شراء العملات الأجنبية في السوق المحلية، والطلب من المصدّرين بيع 80% من أرباح العملات الأجنبية في السوق المحلية، ومنع تحويل مبالغ أكثر من 10 آلاف دولار إلى الخارج، وفرض عمولة وقائية لشراء الدولار واليورو في البورصة بنسبة 12%، ساهمت في تعزيز قوة الروبل بشكل كبير. ويؤكد رئيس القسم التحليلي في بنك «زينيت»، فلاديمير إيفستيفيف، أنه «في ظلّ تلك القيود المفروضة، لا يوجد

> **وصل الروبل مقابل الدولار واليورو إلى مستويات ما قبل الحرب في أوكرانيا**

من يستطيع اللعب ضدّ الروبل»، مشيراً إلى أن «العمليات في السوق الروسية الآن غير متاحة للأجانب». بالإضافة إلى ذلك، انخفضت الواردات بشكل حادّ نتيجة العقوبات، إذ جرى حظر واردات السلع التي تُراوح قيمتها ما بين 220 و280 مليار دولار جزئياً، فيما توقّفت السياحة الروسية إلى أوروبا (تعادل 10 إلى 20 مليار دولار)، ولم يَعُد بالإمكان سحب أرباح الأسهم التي تُقدَّر بما بين 150 و160 مليار دولار في السنة. وتتوقّع «بلومبرغ» أن تكسب روسيا ما يقرب من 321 مليار دولار (292 مليار يورو) من صادرات الطاقة في 2022، بزيادة أكثر من الثلث عن العام الماضي، إذا استمرّ عملاؤها الرئيسيون، بمن فيهم الاتحاد الأوروبي، في شراء النفط والغاز منها. ووفقاً للمحلّل في «FG Finam»، الكسندر بوتافين، فإن كلّ ذلك «أدّى إلى تقليل الطلب على العملات الأجنبية في السوق المحلية». وبناءً عليه، يرى بوتافين أنّ «سعر الروبل الآن يعكس توازن العرض والطلب من جانب المشترين والبائعين والمستوردين والمصدّرين». عامل آخر لعب دوراً مهمّاً في تحسّن الروبل، وهو الصادرات الروسية، الأمر الذي يبيّنه رئيس القسم التحليلي في «زينيت»، فلاديمير إيفستيفيف، بقوله إنه بسبب حجم الصادرات الروسية الكبيرة، «ستستمرّ الشركات الكبرى في تحديد قيمة الروبل، إذ يدخل حوالى 30 مليار دولار من العملات الأجنبية إلى السوق شهرياً من المصدّرين، وهو ما يمثّل أكثر من 65% من حجم التداول بالدولار واليورو في بورصة موسكو».

وعلى رغم التحسّن الأخير، إلّا أنّ مستقبل الروبل يظلّ محلّ ترقّب من الأسواق، لتحديد مدى استقراره على المدى الطويل أمام ضغط العقوبات. وفي هذا الإطار، يوضح المحلّل في «FG Finam»، الكسندر بوتافين، أنه إذا استمرّت زيادة المعروض من العملات الأجنبية في السوق، ولم تنتعش الواردات، ولم تُرفع قيود رأس المال، «فقد يستمرّ الروبل في تعزيز وضعه أكثر»، متوقّعاً أن تصل قيمته إلى ما بين 60 و70 روبلاً لكلّ دولار. ومع ذلك، يشكّك الخبراء في أن يسمح البنك المركزي الروسي بالصعود المُشار إليه، مرجّحين أن يبدأ البنك العمل في اتّجاه إضعاف سعر الصرف، عبر إلغاء القيود المفروضة على شراء العملات الأجنبية وتصدير رأس المال، وحتى خفض سعر الفائدة الرئيس، وهو ما حصل فعلاً أمس مع إعلان البنك خفض الفائدة إلى 17%، بعد أن رفعها بداية الحرب إلى 20%. ويوضح المحلّلون في «Freedom Finance»، أن «تعزيز الروبل أكثر، أمر خطر؛ لأن العملة الوطنية القوية والمكلفة ليست دائماً أمراً جيّداً للمصدّرين، لأنها تجعل منتجاتهم أغلى بالدولار، كما أنهم يتلقّون إيرادات وأرباحاً أقلّ». ويبيّن هؤلاء أن «الروبل القوي غير مربح للميزانية الروسية، التي قد تحصل على إيرادات أقلّ، في وقت تحتاج فيه الحكومة إلى إيرادات أعلى الآن، أكثر من أيّ وقت مضى، لدعم السكّان والشركات المتضرّرة من العقوبات». ويشيرون إلى أن تسجيل أيّ عجز في الميزانية سيتطلّب من الحكومة «طبع روبل أكثر، وهو ما سيؤدي إلى زيادة التضخّم المرتفع بالفعل بشكل أكبر». وبينما يرى الخبراء أن سعر صرف الروبل قد يرتفع لبعض الوقت «لتخفيف الانزعاج النفسي للمواطنين وكبح جماح التضخّم»، إلّا أنهم يُجمعون على أنه لن ينخفض إلى مستويات أقلّ من 80 روبلاً لكلّ دولار، وهو السعر نفسه الذي يعتبره البنك المركزي ووزارة المالية مريحاً للميزانية.

في المقابل، يرجّح الخبير المالي، أوليغ سيروفاتكين، في مقال في صحيفة «إزفيستيا»، أن تشهد روسيا انخفاضاً في عائدات النقد الأجنبي من الصادرات، مترافقاً مع ازدياد الطلب على العملات الأجنبية من المستوردين، إضافة إلى طلب متزايد من السكّان على شراء العملات الأجنبية. وبناءً عليه، يرى سيروفاتكين أنّ هذه العوامل «لا تسمح لنا باعتبار أسعار الصرف الحالية للعملة الروسية مقابل الدولار واليورو، أسعاراً مستدامة». كما يتوقّع أن يضعف الروبل مقابل نموّ الدولار واليورو، مرجّحاً أن يسجّل الدولار 111 روبلاً، واليورو 117,3 روبلاً، بنهاية 2022. في هذا الوقت، لا يزال القلق متزايداً حول وضع الناتج المحلّي الإجمالي الروسي بنهاية العام؛ إذ يصعب وفقاً للمحلّلين التنبؤ بما ستكون عليه أرقام انكماش الاقتصاد. وبحسب توقّعات بنك «غولدمان ساكس»، قد يكون الانكماش في حدود 7%، أو يمكن أن يصل إلى 20%، بالتوازي مع وصول التضخّم إلى مستويات عالية في بداية شهر نيسان، حيث سجّل 16,7% على أساس سنوي (آخر مرة سجّل فيها مثل هذا المؤشّر كانت في آذار 2015)، وارتفاع أسعار المواد الغذائية بنسبة 9,9% على أساس سنوي.

ارتفعت اسعار المواد الغذائية في روسيا بنسبة 9,9٪ على اساس سنوي (أ ف ب)

فرنسا

شبح المقاطعة يظلّل الرئاسيات

يتّجه الفرنسيون إلى صناديق الاقتراع غداً لاختيار رئيسهم، الذي يتولّى أهمّ منصب في البلاد، والذي يملك سلطة مهمّة في إطار السياستَين الداخلية والخارجية، في واحدة من أكبر الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي من حيث عدد السكان، كما أنّها تُعدّ من بين الأكثر نفوذاً. وكان المرشّحون للانتخابات قد كثّفوا تحرّكاتهم في الأيام الأخيرة من الحملة، مع اقتراب اقتراع يشهد يومياً تراجع الفارق بين المرشّحَين الأوفر حظّاً، الرئيس المنتهية ولايته، إيمانويل ماكرون، ومرشّحة اليمين المتطرّف، مارين لوبن. ويتنافس 12 مرشّحاً رسمياً لدخول قصر الإليزيه، إلّا أن استطلاعات الرأي تشير إلى أن قلّة قليلة منهم فقط لديها فرصة للفوز، في ظلّ مخاوف من نسبة امتناع عن التصويت عالية، قد تقارب النسبة القياسية المسجّلة في عام 2002 (28,4%)، أو تتجاوزها. المرشّح المفضّل حالياً هو ماكرون (44 عاماً). ومع ترشّحه لولاية ثانية، وضعته الحرب في أوكرانيا في مقدّمة استطلاعات الرأي، إلّا أن تقدّمه تضاءل أخيراً، إلى ما يقرب من 25% في استطلاعات الرأي.

على أن السباق انفتح، أخيراً، على احتمالات مختلفة، مع اندفاعة كبيرة لمنافسته الرئيسة، مارين لوبان (53 عاماً)، وهي الزعيمة اليمينية المتطرّفة والمناهضة للاتحاد الأوروبي و«حلف شمال الأطلسي»، والمؤيّدة لروسيا، والتي سيتردّد عالمياً صدى فوزها في حال حصوله. وهي تحتلّ حالياً المرتبة الثانية في الاقتراع، مع حوالى 20% من التأييد في استطلاعات آراء الناخبين.

إضافة إلى هذَين الاثنين، يتنافس العديد من المرشّحين على التصدّر الثالث، ويحصلون على نسبة اقتراع تتراوح بين 10 و15%، على أمل حدوث زيادة مفاجئة، في اللحظة الأخيرة، من شأنها أن تنقلهم إلى الجولة الثانية من التصويت، التي ستجري في الـ24 من الشهر الحالي. من بين هؤلاء جان لوك ميلينشون (70 عاماً)، زعيم حزب «فرنسا الأبية» اليساري المتطرّف، والمرشّح اليساري الأكثر حظّاً للوصول إلى جولة الإعادة. وإلى جانب ميلينشون، تأتي فاليري بيكريس (54 عاماً)، وهي سياسية تُرأس منطقة إيل دو فرانس من فرنسا، والتي تمثّل قوّة اقتصادية وديموغرافية تشمل باريس.

الاسم الثالث في هذه الخانة هو إريك زيمور (63 عاماً)، الكاتب والمحلّل والنجم التلفزيوني اليميني، والذي يحتلّ مكانة بارزة في وسائل الإعلام الفرنسية، وزعزعت حملته، التي تتقاطع مع توجّهات دونالد ترامب، الساحة السياسية الفرنسية، أخيراً. هو قومي متطرّف، يروّج لكوْن فرنسا واقعة في حالة من التدهور الحادّ بسبب الهجرة والإسلام. وكانت حظوظه آخذة في التلاشي في الآونة الأخيرة.

أمّا بقية المرشّحين فيدخلون في خانة واحدة، ولديهم فرصة ضئيلة للوصول إلى الجولة الثانية. ومن بينهم أن هيدالغو (62 عاماً)، عمدة باريس والمرشّحة عن «الحزب الاشتراكي» المحتضر؛ وإيانيك جادوت (54 عاماً)، مرشّح «حزب الخضر»، الذي كافح لتحقيق تقدّم، على الرغم من الدعم المتزايد في فرنسا للقضايا البيئية.

(الأخبار)

بدت حظوظ إيريك زيمور آخذة في التلاشي في الآونة الأخيرة (أ ف ب)

وفيات

ذكرى أسبوع

المحامي عاطف حسين محفوظ سكينه

والدته: المرحومة الحاجة لميا علي الصباح

زوجته: الحاجة فايزة أحمد خليل أفندي رمضان

أبناؤه: السفير محمد، العقيد علي

زوجته المحامية ندوى رمضان، القاضي حسن زوجته الأستاذة ليندا الجوني والمحامي عباس زوجته المحامية مايا طربيه.

بناته: رباب زوجة عامر عبد الله، ريما ولى زوجة عارف رمضان.

أشقاؤه: المرحوم علي، المرحوم أحمد، الأستاذ حسن والمرحوم الدكتور محفوظ.

شقيقاته: الحاجة صباح أرملة المرحوم الحاج حسن مزيحم، المرحومة الحاجة إنصاف زوجة المرحوم الحاج حسن الزين كلاكش، المرحومة الحاجة عطاف زوجة الحاج حسين أسعد كلاكش والمرحومة الحاجة عبلا.

وبهذه المناسبة ستُتلى عن روحه الطاهرة آيات من الذكر الحكيم ويُقام مجلس عزاء حسيني، وذلك في تمام الساعة العاشرة في بلدته بلاط، مرجعيون، مقام النبي حزقيل.

للفقيد الرحمة ولكم من بعده طول البقاء

الأسفون: آل سكينه، الصباح، رمضان، كلاكش، مزيحم، عبد الله، الجوني، طربيه وعموم أهالي بلدة بلاط.

بسم الله الرحمن الرحيم
إنا لله وإنا إليه راجعون
بالرضى والتسليم لمشيئة الله تعالى
ننعى إليكم وفاة المرحوم
ابو غالب هاني نجم العريضي
الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس الواقع فيه 2022/4/7، وقد صُلّي على جثمانه يوم الخميس الواقع فيه 2022/4/7 الساعة 2 بعد الظهر.
لكم من بعده طول البقاء.
تُقبل التعازي اليوم السبت في القاعة الشمالية – بيصور من الساعة 4 بعد الظهر حتى الساعة 7 مساءً، ويوم الإثنين الواقع فيه 2022/4/11 في دار الطائفة الدرزية من الساعة 11 صباحاً حتى الساعة 5 عصراً. ونظراً للظروف الصحية الراهنة وتماشياً مع توجيهات وزارة الصحة العامة ومشيخة عقل طائفة الموحدين الدروز
وأيضاً تُقبل عائلة الفقيد التعازي هاتفياً على الأرقام التالية:
أبناؤه:
المهندس غالب 03242501
زوجته د. رندا يحيى 03639994
غازي 03306688
زوجته يسرى سلمان 03383750
د. رضوان 03241432
زوجته سفيتلانا أنيشينكو 03595570
بسام 70272727
زوجته رولا فرحات 03939180
الأستاذ رسلان 03265036
زوجته جيسي حاموش 03745672
المهندس رباح 03833393
زوجته اكساندا يلوفيتش 03833253
نزار 00966504959963
زوجته رنا إسماعيل
بناته:
أسمى 03639531
زوجها نبيه توفيق العريضي 03547062
ابتسام 03706151
زوجها المهندس زياد نجيب العريضي 03332156
وداد 71570152
زوجها فادي كامل العريضي 03670152
الراضون بقضاء الله وقدره
عموم أهالي بيصور

إعلانات رسمية

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب ناظم حليم ابي المنى وكيل رانيا مراد ناكوزي سند تمليك بدل ضائع للعقار 1173 شرتون.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب محمد نايف دياب وكيل محمد جمال الدين شميس لموكله محمد محمود جمال الدين شميس سند تمليك بدل ضائع للعقار 1451 العمروسية.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب أحمد علي الغريب وريث علي أحمد الغريب لمورثه كمال علي الغريب سند تمليك بدل ضائع للعقار 1185 كفرمتى.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب طوني سليم الهبر وكيل سيادة المطران سلوان الولي الشرعي على أوقاف أبرشية جبيل والبترون وما يليها للروم الأرثوذكس سندات تمليك بدل ضائع بإسم وقف كنيسة مار الياس للروم الأرثوذكس للعقارات 761، 762، 763 المنصورية وعين المرج.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب وسام جورج الأشقر وكيل كابي مارون أبي منصور سندي تمليك بدل ضائع عن حصته في العقارين 544 و549 رويسة النعمان.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب وسيم محي الدين اسومه وكيل هنا وسناء وسمر رفيق العريس سندات تمليك بدل ضائع عن حصتهم في العقار 326 كيفون.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

استراحة

كلمات متقاطعة 4003

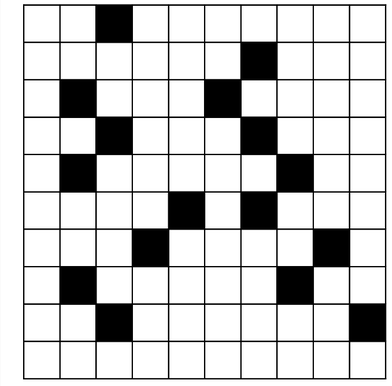

أفقيا
1- من أحياء استانبول في تركيا – إله مصري – 2- ضجر وملل – محارم – 3- إسم حمله أربعة ملوك إنكليز – حيوان خرافي – 4- سيف – أخاصم اشد الخصومة – والدة – 5- عمر – المُشرق – 6- أحرف متشابهة – أحد مفكري الثورة الفرنسية وقوادها – 7- ماركة سيارات – دفتر الأسماء – 8- تردّد صوته في صدره – حنفية الخزان – 9- الملك في روما القديمة – سعل – 10- ملحن ومؤلف موسيقي مصري راحل

عمودياً
1- عاصمة الباراغواي – 2- أغنية لعاصي الحلاني – أحد أبناء نوح – 3- فخ يُنصب للعدو – نعم بالأجنبية – للنفي – 4- يجلي السيف – 5- يجري في العروق – دولة اوروبية – 6- فيلسوف ألماني راحل – تجرّد من ثيابه – 7- خادعهم وراوغهم – أوقع في ورطة – 8- أشار – الإسم الأول لزعيم عربي راحل – 9- سقي النبات – حرّك وهزّ – للتفسير – 10- شاعر جاهلي مدح المنافرة في الحيرة والحارث الغساني

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- جورجينا رزق – 2- بابل – أقفاص – 3- لتّ – بيرو – خرّ – 4- مرجان – ابوا – 5- حلب – مسح – 6- سور – الإجاص – 7- يتسلل – لن – 8- عشاف – نيدو – 9- مروج – مصاعب – 10- شن – بحر – مر

عمودياً
1- جبل محسن – 2- واترلو – عرش – 3- رب – جيريسون – 4- جلباب – تاج – 5- ين – اسف – 6- نار – ملل – مح – 7- اقواس النصر – 8- رف – بحج – يا – 9- زاخو – الدعم – 10- قصر الصنوبر

sudoku 4003

			3		2			
5	8	7						
2	3	4		5				
	2			3	7		9	8
3		5		4	8	6		
	7			9	5		1	
			5			1	2	6
					4	7	5	3
			7					

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4002

4	7	6	3	8	9	2	1	5
1	8	9	2	4	5	7	3	6
2	3	5	1	7	6	9	4	8
3	4	7	9	6	8	5	2	1
9	6	8	5	1	2	4	7	3
5	2	1	4	3	7	6	8	9
6	1	3	7	9	4	8	5	2
7	9	2	8	5	3	1	6	4
8	5	4	6	2	1	3	9	7

مشاهير 4003

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيلسوف وفيزيائي فرنسي (1596-1650) يُعرف بأب الفلسفة الحديثة. ما زالت أطروحاته تدرّس حتى اليوم في المعاهد. له كتاب «تأملات في الفلسفة الأولى»

11+2+1+3+9+1+2+6 = عاصمة البانيا ■ 4+8+6 = ذكر الدجاج ■ 5+7+10 = شعر الرأس بالأجنبية

حل الشبكة الماضية: **جعفر البرمكي**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 9 نيسان 2022 العدد 4606

صورة وخبر

يُعدّ «متحف الحياة الشعبية» أحد أهم المتاحف الشعبية في عمان، يحتوي على مقتنيات ومعروضات عن حياة الأردنيين، تمثّل الفترة الممتدة من بداية القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين. ينقسم المتحف الذي افتُتح عام 1975 إلى ثلاثة أجزاء هي: القبو والقاعة الوسطى والقاعة العليا. هنا، يمكن لزائر القبو أن يُشاهد الخيم المصنوعة من وبر الجمال، والطريق التقليدية لصناعة الخبز، وإعداد وجبة المنسف المشهورة في الأردن. يضم القسم الثاني في المتحف، غرفة الريف، حيث الأدوات التي كان الأردنيون يستعملونها في تلك الفترة مثل أدوات الحصاد والأدوات الفخارية المختلفة. أما الجزء الأخير، فهو غرفة المدينة، ويحتوي على أثاث وملابس عن البادية، وتماثيل تجسد صناعة البساط. كما تُعرض مجموعة من الأسلحة تعود إلى فترة الدولة العثمانية، إلى جانب آلات موسيقية وأدوات لطحن القهوة وإعدادها. (محمد صلاح الدين ــ وكالة الأناضول)

المفكرة

«التضامن» فيلماً قصيراً

■ أعلن «مهرجان ريف ـ أيام بيئية وسينمائية» الذي يُعنى بقضايا البيئة ومشكلات المناطق والمجتمعات الريفية ويُقام سنوياً في بلدة القبيات (عكّار ـ شمال لبنان)، عن مسابقة للأفلام القصيرة تتناول ثيمة التضامن. ودعا القائمون على الحدث، كل مهتمّ إلى صناعة فيلم قصير لا يزيد عن سبع دقائق ليُعرض خلال دورة المهرجان المقبلة، وعلى منصّة «أفلامنا». وأشاروا إلى أنّه ينبغي للمشاركين تسليط الضوء من خلال أفلامهم على «قصص تتناول دعم المجتمعات والحفاظ عليها وصياغة هويات وتكتّلات جماعية، خاصة عند مواجهة أزمات وعقبات كالمجاعات والحروب والفساد والكوارث البيئية وغيرها».

مسابقة للأفلام القصيرة: تُستقبل المشاركات حتى 16 أيار (مايو) ـ التقديم عبر الرابط التالي: linktr.ee/ruralencounters

«عبيط» يمدّ لسانه للموت

■ بعنوان «عبيط»، ينطلق معرض التشكيلي أدهم الدمشقي (الصورة) في غاليري Exode، ليضم مجموعة من اللوحات التي تُقارب يوميات العيش بعد صدمة انفجار بيروت. يضمّ المعرض أربعين عملاً

بتقنيات مختلفة، بطلها غودو كلب الفنان. اعتمد الدمشقي على الألوان الحارة في مقاربة ثيمة اللامبالاة والسخرية من الصدمة والموت والخسارة. يكتب الفنان في تقديم معرضه الثاني: «قد تحدث انفجارات أخرى، لكني هذه المرة، لن أركضَ، لن أهرب، لن أخاف، سأهزّ ذيلي فرحاً، وأمدّ لساني ضاحكاً للموت... سعداء نحن في قبورنا». تنظّم الغاليري خلال المعرض أربعة لقاءات حول دور الفنون في علاج اضطراب ما بعد الصدمة.

«عبيط»: بدءاً من 12 حتى 28 نيسان ـ غاليري Exode **(العكاوي ـ الأشرفية) ـ للاستعلام:** 01/336464

«هشّك بشّك» يطفئ شمعته التاسعة

■ تسعة أعوام مرّت على «هشّك بشك» (إخراج هشام جابر)، الذي يمزج أدوات المسرح بالموسيقى الحيّة والغناء، ليُعيد المُشاهد إلى القاهرة في بدايات القرن العشرين، عبر خلطة موسيقية وبصرية فريدة، أثبتت نجاحها وحظيت بنجاح منقطع النظير، وأبرزت حاجة المتلقّي اللبناني إلى فسحة تقوم على المسرح الشعبي وفن الكباريه والترفيه. احتفاءً بهذه المناسبة، قُدِّم عرض «هشّك بشّك» أمس ويستمرّ اليوم، على أن يليه عرضان في 22 و30 نيسان.

«هشّك بشّك شو»: اليوم و 22 و 30 نيسان ـ «مترو المدينة» (الحمرا) ـ للاستعلام: 76/309363

مباركة هذه «الفوضى»

■ يتواصل معرض «الولادة من الفوضى» الافتراضي على منصة Artscoops الذي يضمّ مجموعة من اللوحات والرسومات والمنحوتات التي تصوّر لحظة ولادة الحياة في الربيع، وخصوبة الطبيعة وعلاقة الإنسان بالحيوان والبيئة المحيطة. يقدّم المعرض تشكيليّون من أجيال ومدارس مختلفة هم: جميل ملاعب، وحسن جوني، وحليم جرداق، وعايدة حلوم، وإلياس أيوب، وحسين بعلبكي، وسلوان إبراهيم، ورؤوف الرفاعي، وسيروان باران من العراق، وسامي الكور من سوريا، ويُعرض عملان للنحات بسام كيرلس (الصورة)، إلى جانب منحوتة للفنان حسن ماضي. تتعدّد ثيمات الأعمال بين الطبيعة الصامتة، والجسد العاري، والحيوانات، والمدينة وعمارتها، إلى جانب أعمال تجريدية.

«الولادة من الفوضى»: حتى 28 نيسان (أبريل) ـ artscoops.com

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 9 نيسان 2022
العدد 4606 السنة الخامسة عشرة
Samedi 9 Avril 2022 nº 4606 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

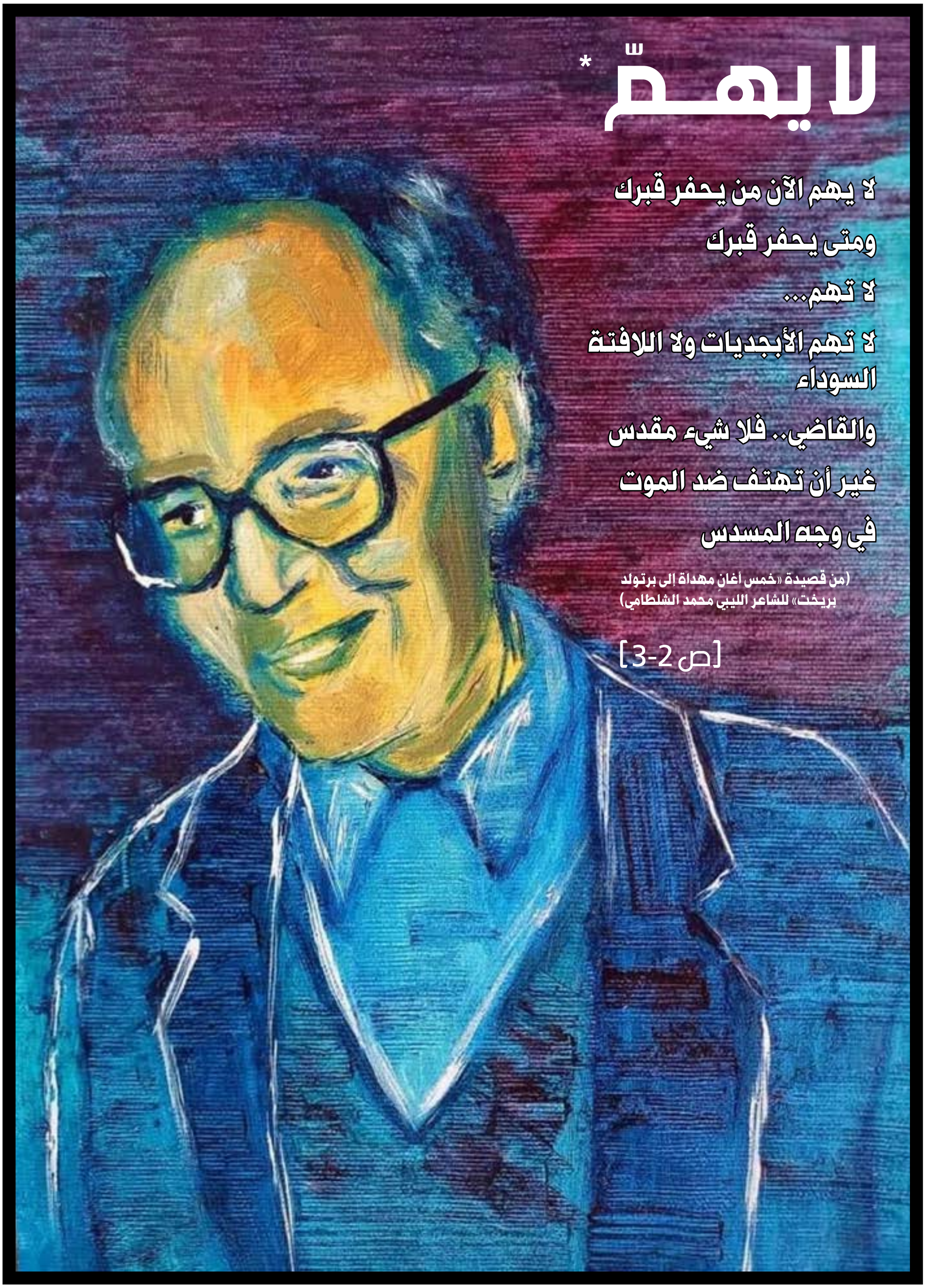

بورتريه محمّد الشلطامي بريشة فائزة رمضان (ليبيا)

ملف

12 عاماً على رحيل «شاعر الثورة والتمرّد»

محمّد الشلطامي: ليبيا... سيرة مـوازية

لا يمكن الحديث عن ليبيا الستينيات والسبعينيات، من دون الوقوف عند تجربة محمد فرحات الشلطامي (1944 ــ 2010) حتى بعد مرور 12 عاماً على رحيل شاعر الثورة والتمرد. قصائده محاولة تأريخ رافقت تاريخ ليبيا نفسه طيلة حياته، بل إنها لا تقف عند زمنها، بل تتعداه. سيرته متصلة بسيرة بلاده، بشكل وثيق، منذ استقلالها ونهضتها، إلى عسكرتها وردّتها. ما زال شعره يُسمع صداه عند زملاء مدرسة «الأمير» المسائية في الستينيات، ورفاق الزنازين في السبعينيات، وأجيال الثمانينيات والتسعينيات وما بعدهما. لقد كتب أساساً إلى «من لم يولدوا بعد» ولكي يكون شعره «وقوداً لأيام لم تأتِ بعد».

تقديم واختيار **محمود علي**

استهدى بالسيّاب وكتب لـ «جيش من البـؤساء»

من قاع قبري أصيحُ
حتى تئنّ القبور
من عالم في قاع قبري أصيح:
لا تيأسوا من مولدٍ أو نشور!
(بدر شاكر السياب)

ما مصير طفل يُولد في بنغازي المدمّرة جرّاء الحرب العالمية الثانية، ويفقد والده قبل أن يكمل الخمس سنوات، ويعيش في فقر مدقع؟ الإجابة ليست ماساوية، فمحمد فرحات الشلطامي، سيصبح أحد أهمّ شعراء ليبيا المعاصرين، إن لم يكن أهمهم على الإطلاق. سيُدين للفقر الذي علّمه بسرعة، ويرى في سماء مدينته الحرية، ويعرّف نفسه في قصيدته المهداة إلى روح عمر الخيام، قائلاً: «ما كنت بالحرّ الملوّن والهاً / «قاوم» ستصبح صرختي وشعاري/ أنا ثائرٌ باسم الجياع، غداً ترى/ جيشاً من البؤساء في أشعاري» (قصيدة «رباعيات جديدة»).

هو صورة الشاعر المقاوم، الذي أصبح كذلك، تحت تأثير إنشاد والدته وهي تطحن القمح، وحكاياتها عن شعر خالها المنفي قسراً إلى سجون إيطاليا خلال حقبة الاحتلال الفاشي لليبيا. قرأ باكراً إيليا أبو ماضي، والشابي، وبقية جماعة «مدرسة أبولو». وأثناء انتدابه للعمل في مكتبة بنغازي العامة، تعرف إلى أعمال ثيربانتس وكازانتزاكيس وبيكيت. لكن اللحظة، التي وقع فيها بين يديه ديوان «أنشودة المطر»، سيصبح بدر شاكر السياب أستاذه الملهم. مع ذلك، لم تكن أولى محاولاته حداثيّة، بل شعراً شعبياً أنشده في أعقاب العدوان الثلاثي على قناة السويس عام 1956، وهو المنحاز بطبيعة الحال إلى مصر: «إيدن والمستر بينو/ والكف خذوه/ وما زال الروس إيدقوه». أبيات على ضآلتها، تعكس فرحة الطفل الصغير بصفع رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجية فرنسا، أنطوني إيدن وكريستيان بينو، بعد تأميم القناة وفشل العدوان، مع أمله بتدخل الاتحاد السوفياتي لاحقاً.

ابن الستينيات

تزامن بلوغ الشلطامي حافة العشرين مع أحداث مفصلية في تاريخ ليبيا، ليس أقلّها تخرّج الدفعة الأولى من الجامعة الليبية (كلية الآداب والتربية) سنة 1959، وبدء تصدير النفط سنة 1961، وإلغاء النظام الفيدرالي وإعلان الوحدة سنة 1963، وصولاً إلى اندلاع تظاهرات الطلاب في كانون الثاني (يناير) 1964. حدث أثر عليه، فكتب قصيدة «أبيات حزينة»: «وآزجّ في صدري الأسى المكبوت/ والذكرى الحزينة/ كالليل يجتزُّ الصدى المشروخ/ في صمت المدينة/ الحرُّ ثار لكي يحقق باليد العزلاء/ خلاصةُ/ كانت هناك له رصاصة». لم تغادر الفاجعة وجدان الشاعر. بعد مرور شهرين على قمع التظاهرات بالرصاص الحيّ، كتب: «أغنية قصيرة عن يناير»: «لن تدقّ أيها الناقوس والصفّار/ ضاعوا بلا أثرْ/ غابوا بلا خبرْ/ يقال إن ساحراً غريب... مدّ/ إصبعه/ وتمتم الصلاة للحديد واستخار/ فغاب من صغارنا الحفاة أربعة/ من يومها وكل شيء حركته الريح إلا قلوعنا/ وكل قطر في السحاب جفّفته الريح/ إلا دموعنا».

ألقت الحادثة بظلالها على مناخ الحياة السياسيّة كافة. قدم الملك إدريس استقالته قبل أن يسحبها، واستقالت حكومة محي الدين فكيني، وشرع مجلس النواب في مفاوضات إجلاء القوات الأميركيّة والبريطانية، وصدرت صحف مستقلة جديدة. كان 1964، عاماً مفصليّاً، انتقلت فيه ليبيا من نشوة الاستقلال، إلى مرحلة أكثر نضجاً وجدلاً، وكذلك الشلطامي.

كانت الستينيات أيضاً، منهلاً فكرياً وسياسياً بالنسبة إلى صاحب «تذاكر للجحيم»، الذي انتمى لسنوات إلى «حركة القوميين العرب»، ثم عمل سنة 1965 محرّراً للعقّود في مكتب القيادي البعثي محمد فرج حمي، الذي كان بمثابة المرشد له في بداياته، قبل أن يُعمد في سجون القذافي سنة 1980. «إن الذي تقوله ليس شعراً، بل منشورات ضد السلطة»، بهذه العبارة لخّص حمي شعر الشلطامي، ومنها استوحى الشاعر عنوان ديوانه «منشورات ضد السلطة»، الذي لم يصدر إلا بعد أكثر من ثلاثة عقود.

في خامس أيام حرب الأيام الستة، تزامناً مع خطاب التنحي لجمال عبد الناصر، كتب الشلطامي قصيدة «بطاقة»: «قُلْ ما تشاء.../ واكتب بخطّ التاج ما تحت الشقاء/ فينا، وقُلْ/ متخاذلون/ جبناء ماتت في عروقِ قلوبهم/ همّةُ الرجال/ أنا قد هربتُ/ وتركتُ أحذيتي ورائي/ وتركت خلف الجسر/ صوت إذاعة الشرق القتيل/ قُل ما تشاء، أنا عميل/ متخاذل، حافٍ/ يجرّ وراءه عاراً جديد/ قل ما تريد/ لكنما أنا لن أموت/ أبداً لتركب جثتي للنصر.../ لا... لن أموت». مثّلت هذه القصيدة أحد أبرز ردود الفعل الشعريّة تجاه «النكسة»، مع ما كتبه نزار قباني وامل دُنقل وصلاح عبد الصبور... وأودت بصاحبها إلى غياهب السجن، للمرة الأولى، وطُرد من وظيفته في قطاع التعليم. بيد أنّ تجربة السجن، بين آب (أغسطس) 1967 وتمّوز (يوليو) 1968، كانت ذات أهمية بالغة بالنسبة إلى الشلطامي؛ أتاحت له رؤية المجتمع في صورته الطبيعية، واتسعت مفردات قاموسه، وتعايش مع أخطر المجرمين.

ما بعد النكسة

خرج الشلطامي أخيراً من السجن، ولم يأتِ بالهدية المنتظرة إلى مدينته، أي الحرية؛ لكنه سيجد «الحقيقة»، الصحيفة الأوسع انتشاراً منذ تاسيسها سنة 1964، تحتضنه بين صفحاتها، برعاية رئيس تحريرها رشاد الهوني، إلى جانب أبرز الكتّاب الليبيين، كالمفكر الصادق النيهوم، والقاصّ خليفة الفاخري، والمؤرخ سالم الكبتي، والروائي أحمد إبراهيم الفقية. كانت قصيدة «من أغاني البحارة» أوّل ما نشره الشلطامي في الصحيفة. منذ تلك اللحظة، ستجد قصائده طريقها إلى الصحف المحلية والعربية، حتى من دون علمه.

في عام 1970، صدرت مجموعته الأولى «تذاكر للجحيم» ووُزعت مع إحدى أعداد مجلة «جيل ورسالة». ضمّ العدد نفسه حواراً مع الصادق النيهوم، ذكر فيه أن «عبد الوهاب البيّاتي ونزار قباني قمتان شامختان في الشعر العربي المعاصر، وأنا أحب أن أضيف إليهما محمود درويش من الأرض المحتلة، ومحمد الشلطامي من ليبيا، وأترك الحكم على الباقي للأيام القادمة». أثار تصريح المفكّر الليبي حفيظة بعض الشعراء الآخرين، وفق ما يروي المؤرخ سالم الكبتي، في عام 1972، ستطبع المجلة ديوان الشاعر الثاني «أنشودة الحزن العميق)، تنبّأ كاتبُ شاعرٍ صاحب بصيرة، تنبّأ الشلطامي، بعد وقت قصير من انقلاب الأوّل من أيلول (سبتمبر)، بمصيره في قصيدة «أزهار الليل» (مارس 1970)؛ «وطني يا وطني/ يا صليبي قبل أن أخلق/ حرفاً في قصيدة/ بيننا ظلت قوافيك العنيدة/ والشعارات البعيدة/ وأنا أركض خلف الفجر/ من سجن إلى سجن/ لأرى عينيك في كل شفقْ/ مرة أهرب من وجهي، وألفاً أحترقْ/ خلفي البحر/ وقدامي جحيم، والطرقْ/ صادرتها المحكمة/ أُمّت في أول الليل/ وبعت في الصباح/ ما الذي أملكه يا قمري/ كادحُ أقتل باسم الكادحين/ حينما أبكيك إن غنيت أبكي/ لوعة الحزن الذي بيننا/ عوسجاً في وجنة الشمس/ وذلاً وخطايا/ نحن ما مددنا قاماتنا/ أبداً في وجه الريح».

هكذا، سيصطدم بروز الشلطامي في السبعينيات بإعلان الحاكم الجديد معمر القذافي «الثورة الثقافية» سنة 1973، في «خطاب زوارة» الشهير. هكذا، عطّل القوانين المعمول بها في الدولة الليبية، وتعهّد الحزبيين و«أعداء الثورة» بالويل. وإذا بالشلطامي مجدداً في سجن الكويفية، حيث سيكتب مرثيتهُ في الرئيس الأشتراكي سلفادور الليندي، الذي اغتيل في أعقاب الانقلاب العسكري في تشيلي، المدعوم من الولايات المتحدة وتلاميذ «مدرسة شيكاغو»: «في ليالي الجنرالات الكبار» عادةً ما تصبحُ الأنشودة الحلوة/ حبل المشنقة/ ويصير المدفع الرشاش والخوذة/ والإرهاب/ خط الاستواء/ ويصير الحبُّ والميلادُ والشوقُ انتحارْ/ في ليالي الجنرالات الكبار» (خمس قصائد إلى سلفادور الليندي ــ أكتوبر 1973).

رحلة إلى جهنم

خرج شاعرنا مجدداً من السجن، ووجد نفسه مطروداً من عمله، بحجة أن أفكاره قد تتسرب إلى الطلبة، ولا يعثر على صحيفة تحتويه بعد إغلاق «الحقيقة» عام 1972. يقرر الابتعاد عن الساحة؛ لكن أحداث نيسان (أبريل) 1976، ستعيده إلى ميادين الاحتجاج السياسي في طرابلس وبنغازي، عندما يردد طلبة الجامعات أشعاره في وجه «الحقد الهستيري» للسلطة العسكرية، التي استحوذت على البلاد في أعقاب انقلاب سبتمبر 1969. وللمرة الثالثة، يدخل الشلطامي السجن باعتباره «كبيرهم الذي علّمهم السحر»، وفق تعبير رئيس المحققين. في حقيبته، سيجد الضابط حسين سجادة صلاة حمراء، فيستنتج: «ألم نقل لكم إنه شيوعي، حتى صلايته حمراء». تهمة لا تختلف عما شاع من مثيلاتها في تلك الحقبة، مثل اقتناء سيارة حمراء أو الاتكاء على عكاز تيمناً بلينين». تهم كانت تنمّ عن هوس وقوبيا تجاه الشيوعيين. هذه التجربة، ستكون بالنسبة إليه «رحلة إلى الجحيم»، يذوق فيها جسده النحيل إبشع صنوف التعذيب إلى درجة الإغماء. «يحجظ المستنطقُ الحاقدُ عينيهِ/ بعينيَّ/ ويُرغي... ويثور/ وتُميتُ الصعقةُ الهوجاء رجليَّ/ ولكنّي أغنّي/ ويغيب السّوط بعد السّوط في لحمي/ ولكنّي أغنّي/ وأغنّي/ بمدى ما تصمدُ الأنشودة الحلوة/ في وجه الرّصاص/ لك يا يوم الخلاص» (قصيدة «تحقيق»). لم تستمر الرحلة عقداً من الزمن، كما حدث مع رفاقه، بل انتهت بعد شهر واحدٍ فقط. الفضل في ذلك يعود إلى حملة الشاعر العراقي مظفر النواب، عندما كان مقيماً في ليبيا، من أجل الإفراج عنه، وتهديده بترك البلاد.

قلب أممي

بعد خروجه من السجن، سيكتب عمله الأهم «نصّ مسرحي من طرفٍ واحد» (لم يُنشر إلا سنة 2002): محاكمة تاريخيّة مستمرة منذ أكثر من ألفي سنة لسبعة «وجوه من المقت والإجرام»؛ بدءاً من أخناتون وبوذا وكونفوشيوس، مروراً بزرادشت وموسى وداود، وصولاً إلى يسوع، تتراوح فيها التهم بين التنوير والسلام تارةً، وبين الدعوة للعدل والتحريض على الثورة طوراً. على هذا النحو، لا يستحضر الشلطامي الماضي إلّا كي ينظر إلى المستقبل. كما أن وقع «النكسة» على نفسه، وتركه لحركة القوميين العرب، لم يجعلاه مُثقفاً انعزالياً، بعدما أصبحت الشوفينيّة موضةً سائدة منذ سبعينيات القرن الماضي. على العكس، صار شعره يضج بروح أمميّة وحس ثوريّ أكثر راديكاليّة، بما فيه من تناصّ مع القضايا الإنسانيّة والتحرريّة في أنحاء العالم: «وطني ليس إلهاً طوطميّاً/ وأنا لن أصبح اليوم/ وفي ملهاتك الماساة يا قميص عثمان بن عفّان/ دعياً أمويّاً/ فأنا أحمل في جنبيّ قلباً أمميّاً (...) أفرحُ الليلة بالعيد الذي يولدُ/ في كمبوديا/ وأغنّي لجلال النّصر في كلّ سهول/ فيتنام/ وأقاتل: مرّةً أخرى لكي تأتي إلى عالمنا/ الغارق في الهمّ/ حمامات السّلام: ثمّ أهفو/ كالفراشات على قنديل حزن الناس/ في تشيلي/ وأشتاق إلى الثوّار/ في بيساو كي أشرب نخب البرتغال/ وأنا في البيت محبوسٌ، ولكني أرى/ لشبونة الآن تعود/ هي ذي الآن تعود/ من وراء الزمن الضائع في تاريخها الممنوع/ لشبونة تعود/ تحمل الأزهار في سلّتها الحلوة للشعب/ وللمعتقلين الطيبين/ وأثينا/ خطت غطرسة العسكر، والأوباش/ وامتدت إلى الشمس يداها/ مرة أخرى لكي تصنع حريتها (...) وبلادي/ أينما تنتصر الحرية الكبرى/ باسم البشرية/ ولأجل البشرية، تلك مقاطع من قصيدة «أفراح سرية»، كتبها في أثينا بداية الثمانينيات، حيث تعرّف إلى ماساة الأرمن، وكذلك الأكراد، وقضية الجبهة الشعبية لتحرير البحرين ونشر شعره في جريدة «5 مارس» (تاريخ الانتفاضة البحرينية ضدّ الوجود البريطاني عام 1965).

حوارات

قصيدته «تتخلّق من الحدث، من محنة أو فجيعة عامة، وتعكس موهبة فذّة في التعامل مع الواقع واللّغة في آن»، كما يقول محمد المفتي في كتابه «حوارات مع الشاعر محمد الشلطامي» (2003)، العمل الوحيد الذي توافر في المكتبة الليبية ويتناول سيرة الشلطامي بالتفصيل، في ظل ما عاناه من إهمال في الثمانينيات والتسعينيات (لم تصدر دواوينه السبعة الأخيرة إلّا بين عامَي 1998 و2002)، ما يعكس حالة التهميش الثقافي الواسع الذي طاوله بل طاول البلاد في تلك الفترة. لاحقاً، ألهمت سيرته العديد من الباحثين بزرادشت وموسى وداود، وصولاً إلى يسوع، تراوح فيها التهم بين التنوير والسلام تارةً، وبين الدعوة للعدل والتحريض على الثورة طوراً. على هذا النحو، لا يستحضر الشلطامي الماضي إلّا كي ينظر إلى المستقبل. كما أن وقع «النكسة» على نفسه، وتركه لحركة القوميين العرب، لم يجعلاه مُثقفاً انعزالياً، بعدما أصبحت الشوفينيّة موضةً سائدة منذ سبعينيات القرن الماضي. على العكس، صار شعره يضج بروح أمميّة وحس ثوريّ أكثر راديكاليّة، بما فيه من تناصّ مع القضايا الإنسانيّة والتحرريّة في أنحاء العالم: «وطني ليس إلهاً طوطميّاً/ وأنا لن أصبح اليوم/ وفي ملهاتك الماساة يا قميص عثمان بن عفّان/ دعياً أمويّاً/ فأنا أحمل في جنبيّ قلباً أمميّاً (...) أفرحُ الليلة بالعيد الذي يولدُ/ في كمبوديا/ وأغنّي لجلال النّصر في كلّ سهول/ فيتنام/ وأقاتل: مرّةً أخرى لكي تأتي إلى عالمنا/ الغارق في الهمّ/ حمامات السّلام: ثمّ أهفو/ كالفراشات على قنديل حزن الناس/ في تشيلي/ وأشتاق إلى الثوّار/ في بيساو كي أشرب نخب البرتغال/ وأنا في البيت محبوسٌ، ولكني أرى/ لشبونة الآن تعود/ هي ذي الآن تعود/ من وراء الزمن الضائع في تاريخها الممنوع/ لشبونة تعود/ تحمل الأزهار في سلّتها الحلوة للشعب/ وللمعتقلين الطيبين/ وأثينا/ خطت غطرسة العسكر، والأوباش/ وامتدت إلى الشمس يداها/ مرة أخرى لكي تصنع حريتها (...) وبلادي/ أينما تنتصر الحرية الكبرى/ باسم البشرية/ ولأجل البشرية، تلك مقاطع من قصيدة «أفراح سرية»، كتبها في أثينا بداية الثمانينيات، حيث تعرّف إلى ماساة الأرمن، وكذلك الأكراد، وقضية الجبهة الشعبية لتحرير البحرين ونشر شعره في جريدة «5 مارس» (تاريخ

قصائد مختارة

الجوع
(أبريل 1968)

عامٌ وعامٌ وأنا،
أنتظر الإقلاع
جمدتُ بين السجدتين،
بُحتُ بالأشجان
أبحرتُ بالزورق في دوامة النسيان
آهٍ وآهٍ أفلت اللسان
وفكت الأصفاد عنه هذه الأشجان
ويلي أنا الظامئ والبئر بلا قرار
العهرُ والجبنُ
ذلٌّ التيه، والفرار
أين؟
وهذا الكون تحت قدمي ينهار
جلت مع السمسار
رأيته يسرو ع في الحانة والأسواق
يعرض للتجار
المومسات الحور
والمداد والأوراق
أذكر أن يوماها سألت دون خوف
هل تحيل الحروف؟
على ضفاف هذه الغدران في الربيع
أذكر أن يوماها الحتوف
جربتها في الجوع والصقيع
في ساحة الإعدام
في مراكز التوقيف

آهٍ وآهٍ أفل اللسان
وبحتُ بالأشجان
أبحرت بالزورق في دوامة النسيان
وقلت للسمسار والسلطان والتجار
فلتجعلوا الموت بلا مقابل
وتوّجوا الشيطان
غداً غداً ستنضج السنابل
آهٍ وآهٍ أفل اللسان
وبحتُ بالأشجان.

أبياتٌ صغيرة
(يوليو 1968)

يافا وعيناك الحزينة والدموع،
والمبحرون بلا قلوع
والموقدون بليل غربتنا الشموع
والزاحفون على حقول الموت
كالقدر العنيد
كقنديلَيْ الوهاج
يومض ليل البعث المجيد
فالقهر، والأمل الصريع
في ساحة الإعدام،
يرى وجه قاتله الميّت الحيّ
خلف القناع،
وخلف وجوم العيون الحزينة.
وخلف وجوم الصوت
أنّ السيوف
التي مزقت هامة الشّمر
عادت لتستلّ قلب الحسين
وأنّ الذئاب التي افترست
قاطع الدرب،
عادت لتفترس العابرين.
رفيقي السيوف الذئاب المدينة
تحدّق عبر العيون الحزينة.

عقم الحجارة، والعيون
عادت بلا فجرٍ تحدق
والضحية والجناه
في عتمة الملهى،
وصوت النادل السمج
«الخيوط من ذا يحركها فيكسب»
والقاعد والشهود
والليل، والقمر المعلّق في المدينة،
والكلاب
تعوي وأحذية الرجال الجوف تعبر، والضّباب
أبداً سيحضنك الضباب.

ويهزأ عبر ثقب الباب سجّاني
غداً في هذه العتمة
غدًا في حزمة (الشوفان)
تحرق دونما رحمة
عذابك قبل بدء الموت يقتلني
أنا من أجل أن تبقى
عيونُك في جبين الشمس
أقتلُ دونما رحمة
لماذا الليل والعهر،
وأحذية الرجال الجوف
تعبر هذه الزحمة

اقتلني وامسح خنجرك الدامي
في وجه الشمس
ولتكتب اسمي
في قائمة المشوهين
ها أنذا أكشفُ أوراقَ أقلبها
فالدنُّ المكسورة لن تملأ،
والسيفُ الذهبي
كالحربة يقتُل،
والمدية في سجن القيصر
كالينة تحت سنابك خيلك.

من دنا يحطم باب غربتنا
في الليل يسحق ذلّها العاري
يا موسماً مدت لكل فمٍ
شفةً تفجّر جوعها الضّاري
أفعى يراقصك الحواة، سدى
فغداً سيطفأ رمحك الناري.

المحضر
(أبريل 1970)

وأنا أقسم أنّي،
لم أرَ القاتلَ لكنّ القتيل
كان كالدوحة في الشمس،
وعيناه سحب
وعصافير وبحر ونجوم
كانتا تجرَحُني
كانتا تجرَحُني

كلما أذكرها تجرَحُني
مثلما تصعد في حلقي سكاكينُ اللهب
كلّ ما أذكره
قال لي في لحظة النّزع ـ تُراها باكية ـ
أنا لا أعرفُ عن من كان يحكي
إنما قال غداً
حينما تغسلُ في الطلّ الندّى شعرها
تحت أحلى قمر
حينما تطلقني من أسرها

تذاكر للجحيم
(يناير 1970)

وتخضّل عبر الأسى
والدموع التي ملأت.
جفنة الخمر،
من ذا يحطّمُ
قفل المدينة؟
يرى وجه قاتله الميّت الحيّ
خلف القناع،
وخلف وجوم العيون الحزينة.
وخلف وجوم الصوت
أنّ السيوف
التي مزقت هامة الشّمر
عادت لتستلّ قلب الحسين
وأنّ الذئاب التي افترست
قاطع الدرب،
عادت لتفترس العابرين.
رفيقي السيوف الذئاب المدينة
تحدّق عبر العيون الحزينة.

عقم الحجارة، والعيون
عادت بلا فجرٍ تحدق
والضحية والجناه
في عتمة الملهى،
وصوت النادل السمج
«الخيوط من ذا يحركها فيكسب»
والقاعد والشهود
والليل، والقمر المعلّق في المدينة،
والكلاب
تعوي وأحذية الرجال الجوف تعبر، والضّباب
أبداً سيحضنك الضباب.

ويهزأ عبر ثقب الباب سجّاني
غداً في هذه العتمة
غدًا في حزمة (الشوفان)
تحرق دونما رحمة
عذابك قبل بدء الموت يقتلني
أنا من أجل أن تبقى
عيونُك في جبين الشمس
أقتلُ دونما رحمة
لماذا الليل والعهر،
وأحذية الرجال الجوف
تعبر هذه الزحمة

اقتلني وامسح خنجرك الدامي
في وجه الشمس
ولتكتب اسمي
في قائمة المشوهين
ها أنذا أكشفُ أوراقَ أقلبها
فالدنُّ المكسورة لن تملأ،
والسيفُ الذهبي
كالحربة يقتُل،
والمدية في سجن القيصر
كالينة تحت سنابك خيلك.

من دنا يحطم باب غربتنا
في الليل يسحق ذلّها العاري
يا موسماً مدت لكل فمٍ
شفةً تفجّر جوعها الضّاري
أفعى يراقصك الحواة، سدى
فغداً سيطفأ رمحك الناري.

مذكرات
(23 مايو 1970)

وأنا مستسلماً أنتظر الموتَ،
وقلبي
لم يزل يكتبُ في صخر بلادي
لمدى عينيك يا نجم السفر
حبُّنا لا بدّ أنّ يزهر،
والليل البهيم
خلفه تمتدُّ أضواء الصباح
وليكن، لا بدّ من أن يعتم الليل،
وأن تعوي الرياح
مرة في كل سهل وجبل
سوف نمضي فوق كفّ الموت
يا هذه الجراح
بطلاً إثر بطل

عُدّتي في ساحة الحرب
قصيدة
وأغانٍ قالها العمال في كل بلد
«يسقط الفاشست» وليمضِ الزمن
يا مسوخ الهتلريّين القساة
البغيّ الميت العينين يستجدي بغيّة
ربِّ كم تحرق قلبي هذه النار الخفيّة
والخيول البربريّة
لم تزل تركض في الصحراء
ما زال الغزاة
أبداً يأتون في كل زمان

حينما أينع شوك القهر،
في وجه الزمن
حينما أوقد كفُّ الليل قنديل المحن
حينما جهّز لي السلطان أسلاك الكفن
حينها ازددت التصاقاً بالوطن
عبرت من قبل الشمس
وأفلاك السماء
وملايين من الجرذان والخيل،
وقُطّاع الطرق
ثم ماذا؟
لم تزل تحلم بالريح
السفينة
آه يا هذه السنين الفاجرة
لم تزل تحلم بالريح السفينة.

نغمةٌ من وتر
آه يا قلبي،
وغاب الصوت موالٌ حزين
وأنا أقسم أنّي
لم أرَ القاتل في لحظتها
ـ أيها الشهاد هل كان القتيل
عندها يحمل في كفيه شيء
ـ لست أدري، فالذي أذكره
أنه كان مهيباً كالجبل
والذي حيرني
جرحُه كان بحاراً وحقول
وابتهالاتٍ حزينة
جرحُه كان مدينة
تتمطى ساعة الصبح
مقاهٍ وبيوت
وتلاميذ كما الفلّ،
وشمسٌ وضجيج
وأنا أقسم أنّي،
لم أرَ القاتل في لحظتها
ـ هل تعرفت على المقتول يا هذا؟
ـ تعرّفت عليه
عندما حدثني،
قال إن المرء شخصان، فإما ميّتٌ
نعشه نعلاه، أو حيٌّ يموت
فوق صلبانِ المدى المشبوب
في ساعة شوق، ينتحر
- وحزنت
لم يعد في غرسة الحزن
التي أحملها
زهرة بيضاء، أو غصن ندي
كنت قد جرّدتها منذ سنين
باقة في أثر باقة
ـ يقفل المحضر، ولنمضِ إذن
ربما كان القتيل
هذه المرة شبعاً أو وطن.

فصل من رواية

جن إيراني (*)

وُلد بهرام صادقي في تشرين الثاني (نوفمبر) 1936 في مدينة نجف اباد في إيران. مكث في محافظة اصفهان لغاية 1956 ثم سافر بعد ذلك إلى طهران لمتابعة دراسته في كلية الطب في جامعة طهران. ويُصنف بهرام صادقي، إلى جانب هوشنك كلشيري واحمد محمود، ضمن كتّاب الجيل الثاني للادب القصصي في إيران الذين برزوا على الساحة بعد صادق هدايت وصادق جوبك وبزرك علوي. يُعتبر احد ابرز رواد القصة القصيرة الإيرانية خلال القرن الماضي. رغم اثاره القليلة، هذا القاص النابغة لمع نجمه سريعاً بعد تاليف بعض القصص القصيرة الحديثة. في عقده الثاني، بدا نشر اشعاره وقصصه في المجلات والدوريات الادبية بالتزامن مع تحصيله في فرع الطب. روايته «ملكوت» ومجموعة «الخندق والاكواز الفارغة» كافيتان لإدراج اسم بهرام صادقي في خانة عظماء رواد القصة في الادب الإيراني المعاصر الذي احدث تحولاً غير مسبوق في الكتابة القصصية بفضل اسلوبه المبتكر والمتطوّر. في عام 1984 توفي بهرام صادقي على إثر ازمة قلبية داهمته وهو في بيته في طهران. بفضل ابداعاته ونَفسه الحداثي، استطاع صادقي ادخال القصة القصيرة الإيرانية الى منطقة جديدة وغير مجربة من الادب المعاصر الإيراني. امتلك قدرة عجيبة على مشاهدة وإدراك وقائع المجتمع وشخصياته وظواهره واختلالاته العميقة، وفتح نيران قلمه على التفاهة والخداع بفضل اسلوب سخريته الحقيقية والعميقة. لقد اطّلع صادقي على اهم مضامين العصر واستوعب القصة القصيرة بإدراكه الباطني والفني لاهميتي شكلها وبنيتها، نتيجة لذلك، نجح في خلق آثار تجاوزت افاق عصره وزمانه المحدودة. غير ان نجم هذا الكاتب المتفرّد افل باسرع ما كان ينتظر. بطرقه لجوانب الحياة الساخرة والمؤلمة وابرازه لقيمة العالم والمعاناة التي تلفّه، يعبّر صادقي عن اماله في إقرار العدالة الاجتماعية. وعلى هذا الاساس، فسخريته لا تنافي الحياة بل تغشي كل العوامل المتسببة في حقارة الحياة ومذلتها. إن آثار بهرام صادقي المكتوبة بمهارة كبيرة من حيث الشكل، التي تعكس على نحو مذهل سنوات ما بعد الانقلاب العسكري، هي قبل اي شيء فن القصّ. وليست تقارير اجتماعية او نفسية. وقد حرّر بنفسه في هذا الصدد، قائلاً: «في الاول، يجب كتابة القصة، القصة الخالصة. يجب صناعتها، باي نحو او شكل.. المهم ان تكون فقط صادقاً». سيترك بهرام صادقي بسرعة الواقعية المستسهلة للقصص الاجتماعية للكتّاب الاقل موهبة. وسينبري هو للبحث عن طرق جديدة للبيان. وهذا البحث الخلّاق سيكون باعثاً لان تصبح قصصه من افضل القصص الفارسية من حيث التنوع والجدّة في الشكل واسلوب سرد القصة. يترك الوصف الخارجي بسرعة ويستبدله بإبراز التناقضات الداخلية لشخصيات القصة. اما رواية «جن إيراني»، فيمكن اعتبارها الخطوة الثانية على سلم القصة الحديثة في إيران بعد رائعة صادق هدايت «البومة العمياء». الرواية تدور في فضاء سريالي بالكامل وموهم، وشخصياتها قبل ان تكون حقيقية فهي رموز واشارات. تحاشى بهرام صادقي في هذا العمل كثرة الحشو واطالة الكلام والتوضيحات البصرية، وعرّف الشخصيات من خلال الحوار الذي اداره بين السكرتير الشاب والدكتور حاتم. يدور موضوع «جن إيراني» حول المصير المحتوم للإنسان. وهو تقبّل الحياة الجبرية والموت. يبدو من النظرة الاولى ان صادقي يعتقد ان كل إنسان يبدا في الموت مع ولادته. والقوى الغيبية ترسم له قدره الذي لا يملك تغييره. سواء قبلت الموت ام لم تقبل، خفت ام لم تخف، لا بد من ان تخضع له في نهاية الامر. وفي هذا الخضم من يكون غارقاً في ملذات الحياة، يكون الاكثر خوفاً من الموت. لكن ليس هذا التحليل سوى الغطاء الظاهر للقصة لانها قصة رمزية وسريالية

بهرام صادقي
ترجمة عن الفارسية وتقديم احمد موسى

في تمام الساعة الحادية عشرة ليلاً من اربعاء ذلك الأسبوع، سكن الجنيُّ السيدَ مودّت. ولأي أحد أن يتصوّر مدى دهشة السيد مودّت بعد حدوث هذه السانحة! مع العلم أن تقاسيم وجهه كانت، في العادة وبصورة طبيعية، توحي بالبهجة والانبهار. في تلك الليلة البهية المقمرة، كان السيد مودّت وثلاثة من أصحابه قد وضعوا فرشهم على بساط البستان الأخضر. كان القمر يدرأ مكتملاً أسبغ على المكان كله جواً شاعرياً وارخى بظلاله الموهمة واضاء حوض الماء ببريقه، وكان الخلود كان في طور التشكّل. كان الفضاء مزدانا بموجة لطيفة وباردة يلفّه جوهر نوري لا مرئي. تتبدّد في الجو، من بعيد، همهمات غير مفهومة ثم تنزل على الأرض كقطع الضباب. اقترح أحد أصدقاء السيد مودّت، وكان أصغرهم سنّاً ودائماً ما يتولى القيام بالأعمال وكان يريد أن يكون مفيداً ومؤثراً، أن ينقلوه على وجه السرعة إلى المدينة، ويطلبوا مساعدة عرّاف أو طارد جنّ أو أي متخصص، أو على الأقل أن يعرضوه على طبيبها.

أركبوه سيارة جيب وباشر الصديق الشاب نفسه قيادتها، وكان يعمل سكرتيراً في إدارة. خرقت سيارة الجيب سكون ليل البستان وخلوته واستدارت حوله ثم انطلقت تشقّ طريقها الطويل صوب المدينة. رموا به، في حالة ضمور وهزال، على مقعد السيارة الخلفي، وجلس الثلاثة في المقدمة على مقاعد زنبركية وثيرة، ولم يطق أحدهم الالتفات إليه للاطمئنان على حالته. كانت الطريق، بانحناءاتها ونتوءاتها المتعددة ومنعطفاتها الكثيرة، تبدو بلا نهاية، هذا في الوقت الذي توجهوا، أثناء الغروب، بقلوب ملؤها السعادة وخالية من أي غمّ او كدر يبتغون الطرب والفرجة، وقطعوا طريق المدينة صوب بستان السيد مودّت. ولأنهم كانوا يعلمون أنهم سيصلون، في نهاية المطاف، وسيُحرمون من نشوة النزهة والركوب، كان ينتابهم إحساس بالضيق والانزعاج. والآن، قد تملّك الثلاثة الصمتُ المطبق وباتوا محدقين بالجادة يتأملون لعب القمر في المنحدرات والمرتفعات وسرعة اختفاء ظلال الأشواك والصخور والروابي الترابية وارتفاع أصوات الحيوانات الليلية المباغتة، وينسبون كل ذلك إلى علل الميتافيزيقا والعالم الآخر. وصلوا إلى المدينة فشغّل السكرتير الشاب الأضواء الأمامية. اجتازوا شوارع المدينة الفارغة والغاطّة في النوم، وكانت مليئة بالمظاهر الغريبة التي تطفو على سطح المدن النائية فقط خلال الساعات الأخيرة من الليل. اندفع أحد الثلاثة، وكان بدينا للغاية وعيناه تبدوان غائرتين في وجهه السمين المدوّر، وقال:

— حسناً! ها قد وصلنا إلى المدينة. نزحنا نصف ليلتنا وجئنا إلى هنا، أريد الآن أن أعرف عمن تبحثان؟ اتظنان أن هناك فائدة؟

أجابه الصديق الآخر الذي كان يجلس بينه وبين السائق:

— هذا واضح! نبحث عن طارد الجن.

انفجر السمين هادراً بصوته الفجّ الغاطس:

— لا يمكن العثور على هذا النوع من الناس هذه الأيام. لو انتظرنا حتى الصباح، وبحثنا في الحواري القديمة قد نصل إلى نتيجة. أما الآن فلن نجلب لأنفسنا إلا الإرهاق.

ردّ عليه السائق:

— الأمر مستعجل، لا نستطيع الانتظار. وصلنا للتوّ متعبين، ما أهمية ذلك؟ قد يكون الأمر غير مهم لك، أنت الذي تفكر دوماً في نفسك، لكن نحن لا نستطيع تركه على هذه الحالة. إنه أمر مخجل ! أتنصّلت من الصداقة بهذه السرعة؟!

ركنوا السيارة على جانب من الشارع حتى يقرروا ماذا سيفعلون. أجاب الرجل السمين:

— تنصّلت أم لم أتنصّل، لا شأن لأحد. لنأخذه إلى طبيب ما دمنا نعدم حيلة.

كان لصوته طنين مثل طنين طبل يُقرع من بعيد.

اندفع الصديق الآخر:

— هذا أفضل من لا شيء. يجب التحرك بسرعة لأن الطبيب الوحيد الذي يعمل إلى الصباح هو الدكتور حاتم، وهو يخلد إلى النوم بعد الساعة الواحدة ولا يقبل مريضاً بعد ذلك.

تحركت سيارة الجيب وانطلقت، فيما تساءل السائق:

— كيف يعمل حتى الصباح ولا يقبل مريضاً بعد الساعة الواحدة؟ لم أفهم.

أجابه الصديق الآخر، الصديق «المجهول»، الذي لا نعلم أي شيء عنه، ولن نعلم عنه مستقبلاً:

— كل واحد له طريقته في التعبير. أنت تتحدث عن التعقيد، لكنّي لن أفكر أبداً في التفسير والتأويل. دعني أوضّح كلامي، لو أنك، إلى الآن، زرت عيادة الدكتور حاتم، كنت ستنتبه إلى إعلانه الذي يقول إنه يستقبل المرضى إلى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فقط، وبعد ذلك الوقت يخطر الجميع شفهياً أن النوم والاستراحة من حق أي إنسان، ولا ينبغي إزعاجه بلا داعٍ. ومع ذلك، استقبل، مراراً، الكثير منَ المرضى الذين ارتادوا بيته بين الساعة الواحدة وبزوغ ضوء الصباح وعالجهم.

أطلق السكرتير الشاب بوق سيارته لاهياً، وقال:

— إذن نحن نتعامل مع إنسان يقدم تضحيات، إنسان يُغلب أمام واجبه.

سأل المجهول بصوت خفيض:

— هل تعتبر معالجة المرضى واجب الطبيب أم حقه؟

— سأجيبك: «كل شخص له طريقته في التعبير».

— لا أحد منكما رأى الدكتور حاتم أو يعرفه. ألا تظنان أن هذا سيجعل حكمكما ورأيكما ناقصين؟

رفع السائق الشاب كتفيه أعلى:

— الكل غدا متفلسفاً، لكن أيّ حكم تقصد؟ نحن لا نريد محاكمته أو تزويجه ابنتنا، لو استطاع إخراج رفيقنا من هذه الورطة فالأمر منتهٍ وكل واحد سيكون قد أدّى واجبه.

قال المجهول:

— لكن أنا تنتابني أحاسيس أخرى، كأنّ أموراً ما ستحدث الليلة، حوادث تخرج عن دائرة الواجب والحق والعلاج وهذه الغائلة التي أصابت، للتوّ، السيد مودّت.

أطلق البدينُ العنان لقهقهة مجلجلة وقال بانداعه المعهود:

— حسناً، حسناً! هذه الليلة ليلة عجائب. لو لم تكن مخموراً لقلت بأنك عُلّمت الغيب. الآن، وقد حُلّت عقدة لسانك وبات يقطر حلاوة كبلبل، اقرأ لنا مستقبلنا. تعال، هذا كف يدي!

أمسك المجهول بيد البدين المدوّرة والثقيلة وانكس رأسه وأخذ يتفحصها في الضوء والعتمة، محدّقاً في خطوطها الكثيرة والعميقة:

— سوف تصاب بسكتة!

وغير قاصد، ضغط السكرتير الشاب على الفرامل ثم رفع رجله، فارتجّ الجميع. ابتلع البدين ضحكته وسحب يده من يد صديقه:

— قلت لك مئة مرة إنني أنزعج من هذه الدعابات. أعمى الله بصرك ! أنصت إليّ الآن، أنا أفكر في العيش مئة سنة، بهذه السمنة وبهذه الصحة، أكل وأتنعم، وأتزوج المزيد من النساء، وأصيّع وأتلذذ. وإن شاء الله سوف أكفنك بيديّ هاتين.

اندفع السكرتير الشاب مقاطعاً كلامه:

— ألا يكفي هذا؟ أتفكران فيه بهذه الطريقة؟ ليتكما تدركان قذارة هذه الدعابات وفظاظتها. إذا كنتما تنويان الإمعان في ذلك، فمن الأفضل قول ذلك لأني سوف أغادر.

دمدم البدين بكلمات غير مفهومة وقال المجهول:

— هو الذي أراد ذلك، لكني أعتذر.

رمق السكرتير الشاب الاثنين بنظرة وافترّت شفتاه بابتسامة. انغمس المجهول في صمت مطبق إلى آخر الليل ولم ينبس بكلمة. لم يشاركهما الحوار ولم يكن يرد على أسئلتهما.

انطلقت سيارة الجيب مسرعة في الشارع الوحيد المزفّت وسط المدينة، بينما مصابيح الشارع الصغيرة والخافتة رسمت، على امتداد مسافة بعيدة، بقعاً مستديرة صفراء اللون على الإسفلت. على جانبَي السيارة، كانت البيوت الصغيرة والطوابق العلوية المنطفئة تفرّ مختلطة بالعتمة. وحدها هرهرة محرك الجيب تكسر خيوط الصمت المطبق، بينما تجفل هاربة من أمام السيارة مجموعة كلاب شريدة وهزيلة.

(*) صدرت حديثاً عن «منشورات الربيع»، القاهرة.

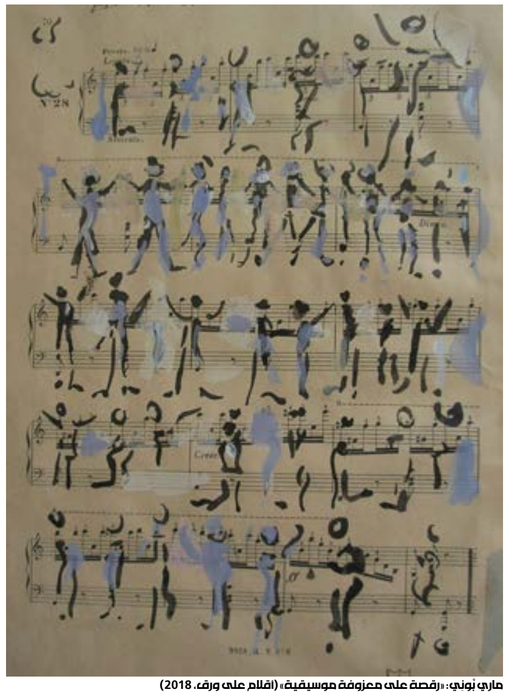

ماري بُوني: «رقصة على معزوفة موسيقية» (أقلام على ورق، 2018)

قصائد

كتاب الأخطاء

أوس حسن *

1. فكّر في ان تفكّر

فكّر في ليل كالجرح...
يخدش زرقة السماء...
فكّر في ليل يحرر اللغة من الظلام...
فكّر أن ترسم بالأبيض كل هذا السواد
فكّر في أن تفكر
فكّر أن لا يكون الليل ليلاً
وأن لا يسقط على رؤوسنا...
مخضباً بالأخطاء

2. ظلام

كانت الريح عاصفة...
والظلام يسيل من النوافذ
فجأة ظهر أمامي طريق من العدم
بدا كأنه أفعى ملتوية... أو غابة تطفو بين السحب
في كل التماعة خاطفة كنت أشيخ بسرعة
فقدت ملامحي تدريجياً...
في المرة الأولى... سقطت أذناي
وخبّأتها في جيبي...
في المرة الثانية... تدحرجت عيناي مثل حبات العنب
أخيراً اختفى الفم... وصار رأسي كرة مجوفة...
عندما حاولت تذكّر صوتي
باغتني صوت يشبه الصمت
والصوت النابض في الحجر...
ربما يبكي البعض...
وربما ينتحر البعض
الجمال هنا...
مرعبٌ... وكئيب
هادئٌ تماماً
مثل شمس عذراء
مثل خنجر في الخاصرة...

5. غروب

المساء... قبة حمراء
أعمى دليله الكمان...
صوتٌ سابحٌ في الأفق
أصمّ دليله الضوء
يرسم عيناً للأفق
عند المغيب...
تائل الشعر نفسه
فكانت أذناً ترى...
عيناً تسمع
وغروباً يسيل من صوت الكمان...

6. سيرة في لوحة

الرجل الذي بنى أحلامه من القشّ
وأعواد الخيزران...
ربما كان بحّاراً
أو رساماً
قبل عشرين عاماً
كان ينفث غليونه في المقهى...
ويبتسم بفم أدرد
ينظر إلى الحائط فيصير لهباً
بحثت عنه في أرشيف الموتى
في سجلّات الولادة
في المصحّات والسجون
في قاع البحر... وظلمة الغابات
لم يعرفه أحد... ولم يتذكره أحد
وحدها الحجارة تتذكّر أرواح ساكنيها
في الغرفة أشعلت سيجارة...
ونظرت إلى الجدار...
فبكى ووسال منه ليل محترق
بينما الغريب ظل يبني أحلامه من القشّ
ويبتسم عشرين عاماً في لوحة مهجورة...

* العراق

حسن عبدالله

موجز القول

سيرة ذاتيّة

بعمود أسبوعي يحمل عنوان «موجز القول»، يطلّ الشاعر حسن عبدالله على القرّاء بصوته المتفرّد الذي عرفوه منذ مجموعته الأولى «أذكُر أنني أحببت» الذي ينحت الشعر بلغة حسّية مدهشة منذ مطلع قصيدة «صيدا» الافتتاحية: حفروا في الأرض/ وجدوا امرأةً تزني/ ملكاً ينفُض عن خنجره الدم/ حفروا في الأرض/ وجدوا فخّاراً/ أفكاراً/ لحناً جوفياً منسرباً من أعماق البحر/ حفروا في الأرض/ وجدوا رَجُلاً يحفر في الأرض». كأن لغة حسن عبدالله تفترض أن الشعر أساس الوجود، فالشعر في قلبها يشير إلى طريقة حياة، إلى وعي اللّحظة المعاشة في مجانيتها، وفرادتها، وتوهّجها، كتلك اللغة الندّية التي أكثر ما نعثر عليها في رائعته «الدردارة»: «الماء يأتي راكباً تيناً وصفصافاً/ يقيم دقيقتين على سفوح العين/ ثم يعود في سرفيس بيروت- الخيام/ سلّم على... سلّم على... يا أيها الماء التحيّة/ أيها الماء الهدية/ أيها الماء السلام/ سلّم على... سلّم على/ وعلى الذي في القبر/ واسقِ القبرَ/ واطلع وردة بيضاء فوق القبر/ واجعل أيها الماء النهار مساحةً مزروعةً جزَراً/ وطيرٌ راكض تحت الشتاء». إنه معجمٌ يشتقّه الشاعر من التراب الجنوبي، وسمائه المفتوحة على البارود والحرية، ومائها الذي يسيل في البُرك والأودية ليتماهى الشاعر في صُوره مع تلك الأرض «وإنني في الصيف... من عشرين عام/ أقعى على برّ الخيام/ وضفدعٌ في الماء/ والدردارة/ عينٌ رأت حُلُماً وفسّره المزارع لوبياء».

الشعر مع حسن عبدالله وبخاصة في قصائده الأولى أشبه بزهرةٍ تتفتّح على الشعر كحالة، كحرّية واقتراب من الأشياء، وقولها وإعطاء القدرة على الرؤية على طريقة بول إيلوار، بطريقة يمكنها أن تجعل من كل مفردة في المعجم الحسّي للشاعر كائناً شعرياً.

في «موجز القول» سننصت إلى حسن عبدالله يقول كلاماً في الحب، والمدينة، والشعر والطائرات التي تتحداها الروح الجنوبية بمعجم الشاعر ذاته: الطائرات/ ويثبت الولد اليتيم/ وطابتي في الجوّ/ والرمان في صوَر الغيوم/ وحرارة الفلّاح/ في بندورة الحقل الذي ما زال يرتجل الكرات الزرق» ـ تقديم محمد ناصر الدين

■■■

كان في الثانية عشرة من عُمره
عندما انسحب من الملعب
تاركاً رفاقه يلعبون ويتصايحون
تحت سماء الطفولة العميقة الزرقة
فتَح كتاباً أفضى به إلى كتاب آخَر
وهذا الثاني قاده إلى الثالث
وكمن ينحدر في منحدَر حادّ
لم يعُد باستطاعته أن يتوقّف
ثم لم يلبَثْ هو الآخَر أن بدأ يؤلّف كُتُباً
وبدل أن يعيش الحياة ببساطة،
كسائر أترابه
راح يعمَلُ على قياس طولها
وعَرضِها، وعُمقها واتّساعها
متنقّلاً من قلَقٍ إلى قلَق، ومن حيرة إلى حيرة
على طول الطريق الممتدّة
من الطفولة إلى الشيخوخة.

فلسفة

جد بيرل: خطورة الأجندات السياسيّة على الفن

يحيى الطيب

«هل يجب أن يُناقش الفن موضوعاً؟» شغل هذا السؤال الناقد الفني الأميركي جد بيرل، فحاول التوصّل إلى إجابة في كتابه الجديد Authority and Freedom: A Defense of the Arts (السلطة والحرية: دفاعاً عن الفنون ــ Knopf ـ 2022). يرصد بيرل وضع الفن في ظلّ الحالة الاجتماعية الاستقطابيّة الناتجة عن العملية السياسية، خصوصاً في الولايات المتحدة الأميركية، ما يُهدّد استقلالية الفنون ويحدّ من حُرية الفنان في التفكير المبدع غير المُقيّد.

جاء كتاب «السلطة والحرية..» كتحذير من إخضاع الفنان والأعمال الفنية الكلاسيكية أو المعاصرة للتبعية ومعايير الصلاحية القائمة على مدى توافق (أو عدم توافق) العمل الفني مع حاضرنا واهتماماتنا الاجتماعية والسياسية. باستخدام لهجة حادة، يوجّه بيرل نقداً لأولئك المصمّمين على إعادة توجيه الفن لخدمة أهدافهم، ما يُعدّ انجرافاً خطيراً يهدّد استقلالية الفنان ونزاهته.

الفن في قراءة بيرل الفكرية، يجب أن يظل نتاج عملية تقف بمعزل عن جزء كبير من حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهذا سيُبقي على قيم الأعمال الفنية لتُثير تفكيرنا، وتُثري نمط حياتنا بدلاً من تحوّلها إلى مجرّد حامل رسائل نفعيّة موجّهة. وبغضّ النظر عن النوايا الحسنة لهذه الرسائل النفعيّة التي تربط الأعمال الفنية بالسياسة وتُحاول معالجة القضايا الاجتماعية، فهذا النمط الفكري يرتكب خطأ بإهدار القيمة المُستقلّة للفن. وكما قالت الروائية الساخرة والناقدة الأميركية فلانيري أوكونور (1925-1964): «العمل الفني (الكتابة مثلاً) عمل دعائي، وإسناد الدعاية إلى الملائكة لن يزيد الأمور إلا سوءاً». ما يعني أنّ الرواية، كنموذج للعمل الفني، تُعد في الأساس صياغة فنية بحتة. وعندما تستخدم هذه الصياغة لمنفعة هدف ما، فإنك تحرّفها عن جوهرها.

تخضع الأعمال الفنية لقطبَين مُتناقضَين هُما السلطة والحرية. من خلال السلطة، يُدرك الفنان دروس وتقاليد وأعراف الماضي. وعبر الحرية فقط، يُمكن للفنان وضع حدّ لأفكار الماضي وخلق تقاليد وأعراف جديدة تنتج عنها دروس تتوافق مع الحاضر وتُمهّد للمستقبل.

يستند بيرل في فهمه للسلطة والحرية، إلى مقالَين للمُنظّرة السياسيّة حنة أرنت بعنوان «ما السلطة؟» و«ما الحرية؟». بخصوص السلطة، ترى أرنت أنّها مفهوم إيجابي، فهي تُشير إلى أنّ مصطلح (سُلطة –authority) مشتقّ من الكلمة اللاتينية auger أي «الزيادة أو النمو». ما يعني أننا من خلال الاعتراف بالسلطة، فإننا نؤسّس المبادئ التي نحافظ من خلالها على نظامنا الاجتماعي. يترتب على ذلك أنّ السلطة، بالمفهوم الإيجابي، هي سلطة مُحافظة، أي أنّها قائمة على مبادئ تقليدية (مرة أخرى بالمفهوم الإيجابي). وهذا البناء الفكري هو ما مهّد الطريق لاستنتاجات بيرل حول السلطة والاستبداد لمحاولة فهم كيفية عمل الفنون في مجتمع حرّ.

يرى بيرل السلطة من خلال تعريفها بوصفها «التقليد القديم الذي يعتنقه الأحياء»، فالتسلسل الهرمي للقيم المُتفق عليه بين الناس عبر التاريخ، يكتسب المشروعية وينطوي على قيم معترف بها بشكل جماعي نحتكم في ما بيننا بواسطتها. ما يعني أنّ تلك المبادئ التقليدية هي أرضية تجريبية واعية (أو غير واعية) نواجه عليها ونقيّم انطباعاتنا سواء كانت مألوفة أم لا، أو مريحة أم مُزعجة. وهكذا يتوصّل بيرل إلى تعريف نهائي يضع السلطة في وضع أشبه ما تكون بالمستطيل الذي يؤطّر لوحة، أو السوناتة التي تنظّم نطق الشاعر، السوناتة التي تعطي البنية والمعنى للأحداث اللحنية والتوافقية للخطاب والحوار الموسيقي. أما الحرية، فينظّر لها بيرل كنقيض مُكمّل للسلطة في الوقت نفسه. فالحرية هي فكر بديهي مُبتكر وخارق للقواعد ومُجازف وغريب الأطوار، أي ثوري ومُتحدي لظروف واقعه. باختصار، يشمل مفهوم الحرية كل أولئك الذين لديهم دوافع تتحدى التقاليد. وهؤلاء إذا تم استغلالهم بشكل صحيح، يحافظون على الفنون حيّة وفي حالة تطور مستمر.

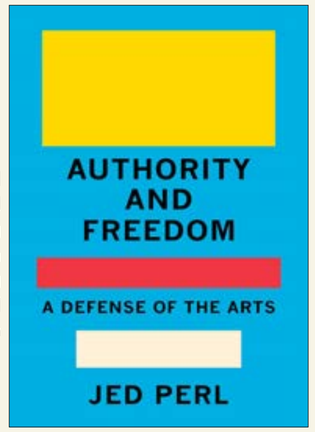

النموذج الأصلي للمبدع والعبقري هو أن يكون راديكالياً أو ثورياً متشدداً

إنّ النموذج الأصلي للفنان المبدع، والعبقري هو أن يكون راديكالياً أو ثورياً متشدداً، وهذه نقطة برّاقة جداً في مفهوم الحرية لدى بيرل، لكن بيتهوفن، أو فان غوغ، أو إميلي ديكنسون وغيرهم كثيرين، امتلكوا الأساس الراسخ والأرضية الصلبة للتقليد عبر إتقان أدوات فنّهم بالرغم من النظرة العامة لراديكاليّتهم كفنانين. ما يعني أنّ الحرية الفنية تتضمن دائماً الانخراط في نظام ما. وهي بدورها (أي الحرية الفنية) تصبح سلطة يفهمها الفنان ويعترف بها، ولكنه لا يخضع لها بالضرورة بشكل كامل.

يُسقط بيرل عدسته التحليلية الناقدة على أعمال فنية في مجالات عدة مثل: الكتب والشعر والموسيقى والرسم والنحت والعمارة والسينما والرقص. لذا في بعض الأحيان، يمكن أن يكون شغفه في ذكر الأسماء عبر القرون صعب التتبّع: تجد في فقرة واحدة ثقلة من هوميروس إلى مايكل أنجلو، ومن مالارميه إلى مارسيل دوشان، وتجد بيكاسو إلى جانب موزار مُضيفاً لهما جين أوستن، ما يجعل الكتاب يقدم استجابات نقدية (وإن شخصيّة) لفنون عدة.

لكن بالنسبة إلى بيرل، يُمثل هذا التنوع الواسع في الفنون فكرة رئيسية واحدة هي: «الفن الحي يدوم ويصمد، الذي يتجاوز الزمان والمكان، هو نتاج عملية تفاعل حيوي بين موهبة الفنان خصوصاً في سيطرته على أدواته واستغلالها، وبين معرفة الفنان بتصوّرات سابقة لزمانه مع رغبة في الانفصال عن هذه التصوّرات».

عندما يستغلّ الفنانون الأدوات الفنية والفهم الكافي لاستيعاب نماذج وأهداف شكل فنّي معين، فإنه يمكنهم البدء بتأكيد حريتهم. إنها طريقة أخرى لتكرار القول المأثور القديم: «لا بد لك من أن تعرف القواعد والأسس لتتمكن من كسرها لاحقاً».

لكن بعد تحذيرات بيرل حول فرض رقابة وأجندات سياسية على الفن، لم يقدّم أي أمثلة عمّن المسؤول عن هذا. مَن يمارس هذا الضغط لوضع قواعد؟ وهل يقصد الغاية التي استهدفت المتاحف وشركات الرقص والمسرح والأوركسترا السيمفونية وجميع الشخصيات الثقافية ذات الوزن الثقيل التي، خصوصاً في أعقاب بزوغ حركة «حياة السود مهمة» ــ تحاول إعادة توجيه الجهود نحو مشاريع العدالة الاجتماعية؟ أم هي المؤسسات التي تخصّص الكثير من أموالها للقضايا الاجتماعية مثل مؤسسة Hewlett التي رهنت مِنحة بقيمة 300000 دولار لـ «مسرح شكسبير» في كاليفورنيا لإعادة تقديم المسرح الكلاسيكي من خلال عدسة المساواة الاجتماعية والتعددية العرقية والثقافية؟ أم يقصد النقاد الذين يختارون الفن المراد مناقشته؟ أم يقصد مستهلكي الفن أنفسهم أم المشاهدين وأصحاب المعارض والقرّاء والمستمعين؟

لفهم كتاب بيرل، ينبغي إيجاد أجوبة لهذه الأسئلة التي تُركت مفتوحة، مخافة التهديد المعتاد بالإلغاء، ما يُضفي أهمية مضاعفة لما يناقشه الكتاب عن الحرية والسلطة.

أخيراً، من غير المرجّح أن يُغيّر كتاب «السلطة والحرية» آراء العديد من الفنانين حول كيفية إدراكهم لعملهم. سيفعل الفنانون ما يريدون، وإن لم يكن معظمهم يحترقون اليوم بكثافة لم تشهدها منذ ثلاثينيات القرن الماضي لجعل السلطة تتحدّث عن الحقيقة من خلال فنّهم لإصلاح ما يعتبرونه تمزيقاً للنسيج الاجتماعي. وإذا سألت هؤلاء الفنانين، سيخبرونك أنّ الفن الذي لا يستجيب للمطالب الأكثر إلحاحاً، هو إهدار للوقت. إذ لم يعد الفنّ كما قال الرسام الألماني سيغمار بولك (1941-2010): «عملاً يمزج بين المُتعة والسخط، لينتج تحريضاً لاذعاً عن الواقع في صورة من الجمال الوحشي»!

لمحات

جمال حويل

يستمدّ كتاب «معركة مخيم جنين الكبرى 2002: التاريخ الحي» الصادر عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» لمؤلفه جمال حويل، أهميته من أنه يُعَدُّ تاريخاً لصيقاً بالحدث نفسه نظراً إلى خصوصية أن المقاوم الذي اعتُقل أكثر من مرة هو المؤلف الموثّق للأحداث. يراوح الكتاب في تناوله لمعركة جنين عام 2002 بين التناول الموضوعي التحليلي والشخصي ليبحث عن معنى معركة مخيم جنين، ومعنى النصر، ومعنى الهزيمة.

يسعى إلى الوقوف لحظة تأمل عن قرب شديد من المعركة، تاريخياً ومكانياً وروحياً. للإجابة عن الأسئلة التالية: ماذا فعل المهزومون بالنصر؟ وماذا فعل المهزومون بالهزيمة؟

عبد الهادي ناصر العجمي

«البراجماتيون في القرن الأول الهجري: خارج إطار التقديس» هو عنوان كتاب الباحث والأكاديمي الكويتي عبد الهادي ناصر العجمي الصادر عن «خطوط وظلال». يتناول العمل شخصيات إسلامية تبدأ الرواية التي صدرت ترجمتها العربية عن «دار الجمل» (ترجمة خالد الجبيلي) بمشهد في سيارة أجرة منطلقة إلى المستشفى تحمل إليخيا التي تفسّخ وجهها بفعل الأسيد الذي ألقاه عليها زوجها أثناء توقيع أوراق الطلاق بينما يحاول الابن أن يمسح الأسيد عن وجه أمه. تجري محاولات لإعادة ترميم وجه الأم، التي يكون الابن شاهداً عليها. ولدى قيامه بهذا الدور، يواجه وجوده وهويته المرتبطين بالأرجنتين التي يراها تتفكّك من حوله.

خورخي بارون بيزا

تستند رواية «الصحراء، وبذرتها» (1998) للكاتب الأرجنتيني خورخي بارون بيزا (1942-2001) إلى قصة عائلته الماساوية، والده رأؤول بارون بيتزا سياسي وكاتب سبّق السمعة، ووالدته روزا كلوتيل ساباتيني. تبدأ الرواية التي صدرت ترجمتها العربية عن «دار الجمل» (ترجمة خالد الجبيلي) بمشهد في سيارة أجرة منطلقة إلى المستشفى تحمل إليخيا التي تفسّخ وجهها بفعل الأسيد الذي ألقاه عليها زوجها أثناء توقيع أوراق الطلاق بينما يحاول الابن أن يمسح الأسيد عن وجه أمه. تجري محاولات لإعادة ترميم وجه الأم، التي يكون الابن شاهداً عليها. ولدى قيامه بهذا الدور، يواجه وجوده وهويته المرتبطين بالأرجنتين التي يراها تتفكّك من حوله.

ستيفن بينكر

في كتاب «العقلانية» (2021) الذي صدرت أخيراً ترجمته العربية عن «دار سطور» (ترجمة أحمد رضا ورزان حميدة وميرا جندي وحازم موسى)، يطرح عالم النفس الكندي الأميركي ستيفن بينكر أسئلة حول ماهية العقلانية وسبب ندرتها، إلى جانب ضرورتها. يرفض عالم النفس في «جامعة هارفرد» الرأي القائل بأن البشر اللاعقلانيين مثقلون بالتحيزات والمغالطات والأوهام. لكنه يناقش كيف أننا في الواقع نفكر بطرق عقلانية في السياقات المنخفضة التقنية التي نقضي فيها معظم حياتنا ولكننا نفشل في الإفادة من أدوات التفكير القوية التي اكتشفناها على مدى آلاف السنين مثل المنطق والتفكير النقدي والارتباط والسببية.

غلا المهدي التونسي

من خلال «تاريخ العمارة في سورية القديمة منذ نشوئها حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد» (وزارة الثقافة السورية)، تعود الأكاديمية غُلا المهدي التونسي إلى دور العمارة في توضيح خصائص الحضارة الاستثنائية في سورية القديمة، من تخطيط المدن المنتظم وتطوّر العمران بشكل عام، وتنوّع أشكاله، ونشوء طُرز معمارية متنوعة، ميّزت تحصينات المدن والأبنية السكنية فيها. كما كانت هناك تقاليد معمارية خاصة بُنيت وفقها القصور السورية والأبنية الدينية والإدارية، تكشف المؤلفة كذلك الدور الذي لعبته المالك السورية رغم افتقارها لسلطات عسكرية قوية شأن ممالك ما بين النهرين أو الأناضول أو مصر.

صن مي هوانغ

تتناول رواية «الكلية التي تجرّأت على الحلم» (2016) للروائية الكورية صن مي هوانغ، العلاقة بين الكلب والإنسان من خلال قصة «زيتونة» كلبة وُلدت بمظهر مختلف، تشبه أسلافها السافلان. فراؤها أسود وأشعث يغطي عينيها، ويبدو لونها أزرق في بعض البقع من جسدها. سبّب لها هذا الاختلاف كراهية من الكلاب الأخرى. إلا أنّها كانت مدلّلة من مالكها. ولهذا تمضي معظم أيّامها في فناء مغمور بالشمس في منزله. الرواية التي انتقلت إلى لغة الضاد («الدار العربية للعلوم ناشرون»، ترجمة زينة إدريس)، تذكّر بتراث من الحكايات التي تكون شخصياتها حيوانات لكنها تحكي حكايات البشر في حياتهم اليومية.

شعر

زاهي وهبي: لا قيامة إلا بالحبّ

محمد ناصر الدين

«عائداً من موتي/ أضخّ الحياة في عروق الحياة/ أرشّ الأرض قمحاً وأمنيات/ أشرع الصدرَ محراب صلاة/ أقول للموت: تأخّر/ في القلب متّسع للحُبّ/ في الرئتين هَوى لا هواء/ للأصدقاء: مهلاً، لا وقت للدمع/ لا وقت للبكاء/ فكرةٌ عابرة هذه الحياة/ جملة اعتراضية/ الروح تحنّ لأصلها/ في زفاف عودتها/ تخلع قميص التراب»: بهذه الرؤية القيامية يفتتح زاهي وهبي مجموعته الشعرية الجديدة «ليل يديها» الصادرة أخيراً عن «دار الرافدين» (بيروت/ بغداد ـ 2022). وإذ لا قيامة إلا بالحب، فكما يقول رولان بارت: «احتاج يسوع لأن يحبّ البعازر لكي يحييه»، فإن «عودة الروح» أو الشعر عند وهبي تستهدي بالحب. حب هو أشبه بانقلاب روحي شامل على طريقة المتصوّفة أو الميلاد الروحي الذي غيّر مجرى حياة كل من رابعة العدوية وإبراهيم بن أدهم، فيصير «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كما يشاء».

هذه الإشارة الصوفية لا تفوت زاهي وهبي منذ القصيدة الأولى، فنقرأ: «من اقترب تيقّن/ ومن «ذاق عرف»/ لا بأس إذاً/ أن نستخرج الماء من سراب المعنى/ أن نسقي العطاشى/ أن نراقص الغيب/ أن نحلّق في الأعماء»، أو أن يكون «الصوفي الأخير» عنواناً واضحاً لقصيدة في القسم الأول من الكتاب: «أنا الصوفيّ الأخير/ أدور حولي/ أتلاشى فيّ/ أغيب/ لا من يرانيّ/ لا من أراه/ وحدي يناجي وحدي/ والوجوه غبار». وإن كان لا بد في التجربة من مكابدة، ولكي يصل الشاعر إلى الحبيبة وليل يديها، كانت الحروب والمحن أشبه بالمطهّر، «وقلبه الذي صدّعته الحروب والمحن/ تعمّده صلاة آمّ/ ونظرة حانية في صباح عليل/ يملأ رئتيه بهواء حرّ/ يصرخ ملء البلاد:/ أيها الكوكب الذي أفسده بنوه/ لا خلاص لك بغير الينابيع». لنصل إلى القسم الرابع الذي استلّ وهبي عنوان مجموعته من قصيدة على صيغة ابتهال: «ليل يديها/ لا تدعني وحيداً بلا صلاة/ بارك كلماتها كلّ حين/ ضع فرح الشعوب في عينيها/ خذ بصوتها إلى ساعة استجابة/ وخذني ضوءاً في ليل يديها». الشعر هنا أشبه بالإله الأول الذي خلق العالم بخروجه منه وبعث مساحات من نور فيه وفي المادة، وعلى يد الحبيبة لن تعمل كمنقذ روحاني في عالم المحن والسقوط لإنقاذ مساحات مقامات أو أقسام سبعة تبدأ من «طوبى لي» بالقصيدة المفتاحية القيامية بعنوان «العودة» حتى قصيدة «اكسر القاعدة»: «اكسر القاعدة/ اكسر الوزن والقافية/ حطّم القيد والسارية/ حطّم التمثال/ لا تنفخ فيه روحاً/ لا تنذر على اسمه القربان/ دعه يذوي/ يهوي/ يتشظى/ يتناثر هواء في هواء/ طهّر قلبك/ حرّر الهواء/ تنفّس بلا خوف/ بلا وجل/ تنبّت أجنحة للكلمات». إنها دعوة إلى أن يُبرز الشعر نواته النثرية ويلتقي مع ما يقوله نوفاليس في رسالة إلى أوغست شليجل: «إن كأن الشعر يريد أن يتوسّع، فإنه لن يستطيع ذلك إلّا إذا حدّ من مجاله - أي إذا ما صار مركّزاً، أي إذا أخرج جذوته وتجمّد. آنذاك يصير ذا صبغة نثرية، وتترابط العناصر المكوّنة له بصورة أكثر صرامة-وبذلك تخسر قواعده الإيقاعية شيئاً من صرامتها- على الشعر أن يتأقلم مع تمثيل محتوى محدود أكثر. لكنه يبقى شعراً- وبالتالي وفياً للقوانين الجوهرية التي تقتضيها طبيعته، وعلى هذا النحو يصير كائناً عضوياً كل هيكله يخون أصله السائل، والطبيعة التي هي مرنة في أصلها، والطابع اللامحدود، والقدرة على الكلية».

الدعوة الى التخفّف إذاً من الشروط الإيقاعية وكسر القاعدة يمهّد بها وهبي للعبور الى القسم الثالث «يدها الشافية»، بعد أن نعبر في «وجهك رايتي» الذي لمّا تغادره الغنائية: «لم يبقَ لي من بلادي سوى يديك/ وصلاة احفظها غيباً/ لم يبقَ لي سوى الأغنيات التي سمعناها معاً/ والمدى التاسع في عينيك/ وسماءً ما/ استطعوا أن يسرقوها/ والدعاء الذي ردّدته صغيراً/ والبكاء الذي عاندته طويلاً/ لم يبقَ لي من بلادي/ سوى بالمطهّر، «وقلبه الذي صدّعته الحروب والمحن/ تعمّده صلاة آمّ/ ونظرة حانية في صباح عليل/ يملأ رئتيه بهواء حرّ/ يصرخ ملء البلاد:/ أيها الكوكب الذي أفسده بنوه/ لا خلاص لك بغير الينابيع». لنصل إلى القسم الرابع الذي استلّ وهبي عنوان مجموعته من قصيدة على صيغة ابتهال: «ليل يديها/ لا تدعني وحيداً بلا صلاة/ بارك كلماتها كلّ حين/ ضع فرح الشعوب في عينيها/ خذ بصوتها إلى ساعة استجابة/ وخذني ضوءاً في ليل يديها». الشعر هنا أشبه بالإله الأول الذي خلق العالم بخروجه منه وبعث مساحات من نور فيه وفي المادة، وعلى يد الحبيبة لن تعمل كمنقذ روحاني في عالم المحن والسقوط لإنقاذ مساحات النور الحبيسة هناك. مساحات يجعلها وهبي أكثر سيولة ورشاقة في آخر هذا القسم حيث تصير عبارة واحدة أو اثنتان على الأكثر كافيتين لخلق الهرمونيا بين الصوت والمعنى: «مباركة كأنها من دموع المصلّين/ محرّمة كأنها من رفات الموتى»، أو «تقطفين ألف نهاري/ يغدو نهاراً من فضّة العناق»، و«مربكٌ غيابك/ مثل

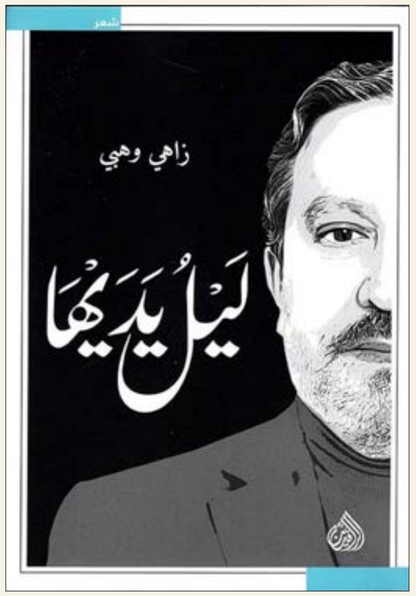

غنائية الفرح والاحتفاء بالأرض المتعافية من جرحها

مغنّ نسي على المسرح أغنيته الأولى». في القسمين التاليين «تطيب البلاد» و«نشيد البلاد»، تعود لغة وهبي إلى غنائية الفرح والاحتفاء بالأرض المتعافية من جرحها، فنقرأ في «الجنوبيّات»: «الجنوبيات/ يجرّحهنّ الورد/ يحرجهنّ البكاء/ يغفو الليل على زنودهنّ/ يصفو الصباح/ الجنوبيات/ زهر الجميلة في الجهات»، ليجمع الشاعر تحت مظلّة الحب صبية الجنوب اللبناني التي يجرّحها الورد المصبوغ بالبارود بـ «أمازيغية تحت مطر باريس/ وشاعرٌ يتهجّى طيفها في الشرق البعيد/ وهي حرة كالهواء/ وهو سجين بين ألف وياء»، وبالكردية البعيدة في جبالها: «الكردية البعيدة/ تترك صوتها قمراً/ وتمضي في مطاف البلاد/ مثل نجمة بعيدة/ الكردية السعيدة/ تخبئ في ضحكتها شعباً من الأحزان/ وتمضي مع الريح/ مثل طائرة ورقية/ أفلتت من يد طفل/ يحلم بجناحين وسحابة حلوى». كأن الحب وحده الذي تحمله الريح في صوت الشاعر هو الذي سينقذ العالم: «بعد ألف عام، ألف حرب... سوف يعثرون على الريح في صوتي/ الذي لم ينصت إليه أحد يوم صرختُ/ وحده الحب ينقذ العالم». في القسم الأخير «إلهي» الذي يفتتحه صاحب «صادقوا قمراً» بعبارة للبسطامي (أريد ألا أريد)، يصدح الشاعر بالرؤية الصوفية التي تجمع المحبوب بالحبيب فنستذكر البيتين الشهيرين من التراث الصوفي: «رقّ الزجاج ورقّت الخمرُ/ فتشابها وتشاكل الأمرُ/ فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ/ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ»، حين نقرأ مثلاً: «لا نرى الله ليس لأنه في عتمة/ بل لأنه نورٌ على نور/ الضوء الباهر لا يُرى بالبصر بل بالبصيرة/ افتح قلبك ترَ الله»، أو «كانوا يتسابقون نحو الجنّة/ وكنت مسرعاً نحو الله»: إنه العشق بكلّ صوره وأشكاله، بين ليل في يد الحبيبة إلى يد الله المحبة ورحمته حين يدعوه الشاعر: «يا الله/ حبّنا بالأمهات/ اجعل فولاذ المدافع خردة/ وهدير الطائرات رحيق زهر/ ضع في القلوب الصدئة مواعيد حبّ».

رواية

محمد جبعيتي: فانتازيا تحاور الواقع

تغريد عبد العال

لا يمكن للحرب أن تحدث فقط في الخارج. هكذا يمضي الروائي الفلسطيني الشاب محمد جبعيتي نحو الداخل والأعماق في روايته الجديدة «عالم 9» (الآداب). هنا نحن أمام عالم روائي يمتلئ بذنوب الحرب، في مكان وزمان غير محددين، لكننا نعلم أنهما في هذا الواقع. هنا انزياح نحو سرد مختلف عن الديستوبيا المعهودة التي تصف أحداثاً مأساوية، بل ذهاب نحو سيكولوجيا الضحية التي هي هنا امرأة اسمها 9 والاستماع إلى هذيانها الداخلي الذي من خلاله نطلّ على العالم من حولها.

تتداخل سرديتان في النص الروائي، كان اللغة هنا أيضاً تتّكئ على قطبين للتوازن، بين ابنة وأمّ، الأم اسمها 3 والابنة هي 9. تعرّضت الأم للاغتصاب أثناء الحرب الأهلية، فذهبت إلى مدينة بعيدة اسمها «يس». هناك تتعرّض البنت أيضاً إلى الاغتصاب والعنف والتمييز العنصري، لكنها تكتشف الرسم وتحاول من خلاله فهم نفسها والعالم وتكوين رؤيتها الخاصة له. يحدث ذلك عن طريق سلحفاة تتعرف إليها، لتصبح هي نفسها سلحفاة، وهذا يذكّر بمسخ كافكا الذي تحول إلى حشرة. هذا التحول ينقلنا إلى عالم آخر غرائبي، ويحاول أن يناقش فكرة الحرية التي هي تحول مستمر في الذات. تقنعنا لغة محمد جبعيتي أن هذا السرد الحميم ما هو إلا رحلة داخلية ونفسية لا تقل أهمية عن ذلك اللجوء القسري إلى مدينة أخرى وعالم آخر.

الأسماء هنا هي أرقام، باستثناء شخصية الرجل الوحيد الذي يحمل اسم «ألف»، ربما لكي يختلف عن الشخصيات النسائية، أو يجسّد رغبة الكاتب في الهروب من الأسماء الاعتيادية، والقرب من هذا العالم الذي يجرّد هذه الضحايا من إنسانيتها. ولكن أليس ذلك ظلماً لها؟ تحاول الرواية أن تجيب أيضاً عن هذا السؤال عبر تلك اللغة التي تذهب بعيداً نحو إنقاذ الروح وتعريتها. هي الهشاشة التي تعيد إلى تلك الأرقام وجودها، وجرحها المكشوف الذي يمنحها اسماً أخير. قد تكون الأسماء المضاعفة 3 و9 و 9 مجازاً على مضاعفة الما، وقد يكون فقط لتحفيز التفكير في علاقتها ببعضها وبالمستقبل الذي يحمل أسئلة الماضي وآثاره وتداعياته. كان هؤلاء الضحايا هم نسخة واحدة، لكن بذنوب أكبر وبطرق أخرى للهرب والخلاص.

العالم المتخيل هنا موجود بقوة، يحاول أن يحاور العالم الواقعي من أجل إيجاد منفذ ما أو مصادفة لحماية الروح كما هي مصادفة السلحفاة تماماً. ولعل هذا الحضور هو محاولة لرؤية الخروج إلى العالم كما هو الخروج من الخزانة. فالعزلة التي تطوّقنا في الداخل تطوقنا في الخارج. وهنا ربما تختلف 9 عن 3، فالضحية الأم لا تجد طريقها الداخلي الحقيقي في الخروج بينما الابنة التي تتعلّم الرسم من السلحفاة، تتحسّس خروجها أكثر، ويختلق الكاتب أيضاً شخصية مختلفة هي 6 ويترك لنا فسحةً كبيرةً لتأويل مكانها الحقيقي من السرد. فوجودها الغامض هو بمثابة فاصلة بين شخصيتين أو عالمين مختلفين.

يبدو أن الضحايا هنا تبدأ بالبوح لا كي تصف عوالمها الداخلية فحسب بل لاكتشاف نوافذ ما لا يعطينا الكاتب سوى ملامح عنها.

لا نشعر هنا أننا نتعاطف فقط مع الضحية، بل نفكر معها في ما تفكر به، ونحن نتأمل رحلة 9 نحو مدينة «يس»، ما هو إلا انتقال فقط ويصبح اللجوء حالة سيكولوجية لا سياسية فقط. واللجوء هنا نختبره بصوت امرأة مغتصبة استطاع الكاتب أن يتحدث بصوتها والوصول إلى مشاعرها وهي في عالمها الخاص. لا يبدو أن تلك المغامرة التي يقدم عليها الروائي صعبة بالنسبة إليه، فنختبر معه معنى أن تكون امرأة. هنا يبدو أنه يتحد معها لينظر معها إلى عالمها الغرائبي والمتوحّش.

في الحوار مع السلحفاة، تتعمق العزلة أكثر، فنشعر أن اللجوء إلى كائنات أخرى هو أيضاً جزء من خيار سردي وروائي، فالرواية عالم قائم بذاته، والعزلة جزء مهم لفهم هذا العالم. هكذا يبدو أن مشروع محمد جبعيتي يحتضن الفانتازيا التي تحاور الواقع في مشاكله وأزماته من دون الوقوع في فخ الشرح وسرد الماسي. فالأحداث متداخلة جداً وليست متراتبة وهي تحاول أن لا تبدأ في مكان لتصل إلى مكان آخر، بل تتماوج وتتداخل لتصل إلى مكان في تماوج مختلف القارئ الشخصية. كانت هناك غرائبية أيضاً في روايته السابقة «غاسل صحون يقرأ شوبنهاور»، لكن تلك الغرائبية كانت أيضاً تقرأ الواقع بعين أخرى، أو كأنها دعوة إلى نص يحفز التفكير في الواقع بطريقة مختلفة. مع ذلك، فلا تغيب الألفة عن عالم 9. نشعر أنّ عالماً يكتظ بالأجنّين والضحايا، عالماً يشبهنا ويضع الفن أمامنا كفاتدة وحيدة للخلاص، لكن من دون استسهال تلك العملية الإبداعية الشاقة. فاللجوء القسري هنا يجعلنا ننظر إلى العالم كأنه مكان لا ملاذ فيه سوى اللجوء إلى الذات، ومعرفة تعبها الداخلي ومحاولة الخروج الواعي إلى الحرية التي يبدو أن الطريق إليها فني جداً.

حساسية جبعيتي العالية تجاه اللغة، تجعل الرواية تميل إلى عالمها الخاص، فتظهر المشاعر كأنها مركبات حقيقية لعالم الرواية، فيصير الخيال أيضاً عالماً موازياً لتلك الانكسارات، فتأتي عبارة «لم تنته» التي كتبها الروائي في نهاية العمل، إشارة إلى أن لا نهاية مغلقة حتى في الواقع، وهي وجهة نظر الرواية التي لا تصل إلى نقطة محددة، بل تستدعي أحداثاً أخرى في المخيلة.

اللجوء هنا نختبره بصوت امرأة مغتصبة

أوراق

نقشان جاهليّان بالمسند الشمالي يذكران الاسم «محمد»

زكريا محمد *

الاتجاه العام في المصادر العربية الإسلامية أنّ الاسم «محمد» نادر الوجود بين أسماء العرب، وأنه ظهر فقط مع البعثة النبوية أو على أبوابها. ويختصر القاضي عياض من القرن السادس الهجري هذه القناعة بقوله: «محمد أيضاً لم يسمّ به أحد من العرب، ولا غيرهم، إلى أن شاع قبيل وجوده (صلى الله عليه وسلم) وميلاده أنّ نبياً يُبعث اسمه محمد، فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك، رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وهم: محمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي، لا سابع لهم» (القاضي عياد، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق كوسك، ص 287).

وهكذا، فهناك ستة فقط من العرب سُمّوا باسم محمد. وقد سُمّوا بذلك قبيل البعثة النبوية وقبيل مولد النبي، انطلاقاً من نبوءة محددة تقول إن نبياً جديداً سيظهر باسم محمد. بذا فالاسم محمد وليد هذا الوضع الخاص. ولم يكن له وجود قبل ذلك. أما الأسماء الستة التي ذكرها القاضي عياض، فهناك من جعلها ثلاثة لا غير. لكنّ آخرين رفعوها إلى عشرين.

وقد ربط ابن إسحق في سيرته بين الاسم الآخر للنبي (أحمد) وبين «المنحنات» Mohmand، بمعنى المعزي. والمنحمنا هو الصيغة الآرامية- السريانية للفارقليط Paraclete اليونانية: «والمنحمنا بالسريانية: محمد: وهو بالرومية: البرقليطس، صلى الله عليه وآله وسلم» (ابن إسحق، السيرة النبوية). ورغم أن ابن هشام يقصد التساوي في المعنى لا اللفظ في أغلب الظن، فإن هناك من حاول أن يجعل من «محمد» تحريفاً لـ «منحمنا» انطلاقاً من ذلك.

غير أن كل هذا نُسف من أساسه خلال الشهور الماضية. فلا اسم «محمد» جديد على أسماء العرب الجاهليين، ولا هو نتاج المرحلة التي تسبق البعثة النبوية، إضافة إلى أنه اسم جاهلي أصيل وليس محرّفاً عن أي اسم آخر. فقد عُثر على نقشين جاهليين مكتوبين بالخط المسند يذكران بوضوح الاسم محمد. ومن المفترض أن الخط المسند الشمالي كان، بتنويعاته، هو الخط الذي يُكتب شمال الجزيرة العربية منذ القرن الثامن أو السادس قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، حيث توقف عن الوجود في هذا الوقت عند الغالبية، وحلّ محله الخط العربي الحالي المنبثق عن الخط النبطي. أما الخط المسند الجنوبي، فقد ظل موجوداً حتى الإسلام كما تشير الأدلة.

وهو ما يعني أنّ النقشين يسبقان الإسلام بثلاثة قرون على أقل تقدير. وحتى لو افترضنا أن المسند الشمالي توقّف عن الوجود في القرن الرابع أو الخامس الميلاديين، فإن النقشين يكونان قبل نهاية الجاهلية والبعثة بزمن طويل. وهو ما يعني أن الاسم قديم وأن حكاية ارتباطه بمولد النبي وبعثته غير صحيحة مطلقاً.

النقش الأول

النقش الأول عثر عليه مشاري عبد العزيز النشمي في «جبال الجلف» في منطقة حائل من شمال الجزيرة العربية. وقد نشره في كانون الأول (ديسمبر) عام 2021. وتبعاً لتقديرات الباحثين الذين يرون أن المسند الشمالي من المفترض أنه مات في حدود القرن الثالث الميلادي، فإن النقش يعود إلى هذه الفترة، أو على فترة تسبقها أو تليها بقليل. وقد نشر النشمي فيديو للنقش وقراءته له على تويتر. وأدناه صورة للنقش مأخوذة من الفيديو. وقد وضعنا السطر الذي يحوي الاسم محمد بين خطين.

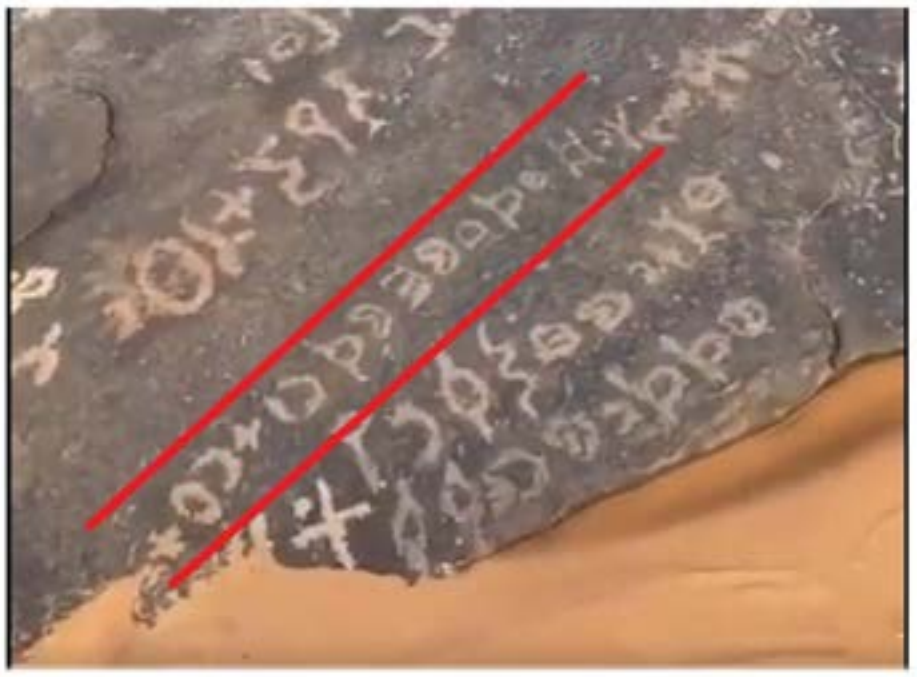

وقد قرأ الناشر النقش على الشكل التالي:

ي ث ع ت ص ر ج ر م ح م د

وفسره هكذا: «المعنى: يثع تصر جرن محمد».

والحق أن الناشر قرأ العلامات بشكل سليم باستثناء علامتين:

العلامة الأولى: وهي العلامة التي تسبق الاسم محمد، وهي تمثل خطاً عمودياً. فهي علامة فصل بين الكلمات في أغلب الظن وليست نوناً كما افترض الناشر.

الثانية: وهي العلامة التي تسبق هذه العلامة. فهي طاء وليست جيماً. بذا فحروف النقش هكذا:

ي ث ع ت ص ر ط/ م ح م د

وتُقطع الحروف إلى كلمات هكذا: يثع تصرط محمد

أي: يا يثع تصرط محمدا.

لكن لو كانت علامة الفصل حرف نون كما قرأها الناشر، فالجملة تُقرأ هكذا: يثع تصرطنّ محمد. وهذا أمر غير محتمل في رأيي. فنون التوكيد تأتي مع القسم أو الشرط. وليس في الجملة ما يوحي بقسم أو شرط.

والآن، ماذا تعني جملة: يثع تصرط محمد

من الواضح أنها دعاء للإله يثع من قبل شخص اسمه محمد، عبر ياء نداء، أو هاء نداء، مقدّرة في أول الكلام. والإله «يثع» إله معروف في نقوش الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً. لكنّ هذا الإله كان قد نُسي في نهاية الجاهلية. بذا فلم تورد المصادر الإسلامية أي خبر عنه، ولا عن أناس تسمّوا باسمه. بذا، فزمن النقش بعيد كثيراً عن نهاية الجاهلية وعن الإسلام. أما كاتب النقش، فيدعو هذا الإله أن «يصرطه». فما الذي تعنيه كلمة «تصرط» هنا؟

رأيي هو أن الكلمة من الجذر «صرط» الذي يأتي أيضاً بالسين (سرط)، والذي اشتقّت منه كلمة الصراط التي تعني: الطريق المستقيم، أو الصحيح والسليم: «والسِّراطُ: السبيل الواضح، والصِّراط لغة في السراط، والصاد أَعلى لمكان المُضارَعة، وإِن كانت السين هي الأَصل» (لسان العرب). بذا فكلمة تصرطه تعني: ضعه على الطريق المستقيم، أو قده إلى الطريق المستقيم، أو وفّقه بالسير على الطريق المستقيم. وقد سقط الفعل (صرط) بهذا المعنى من الاستعمال في نهاية الجاهلية، فسقط بالتالي من القواميس أيضاً.

وإذا صحّ هذا، فإن الطابع الديني لكلمة «الصراط، السراط» كما وردت في فاتحة القرآن «اهدنا الصراط المستقيم» كان معنى معروفاً منذ القدم في الجاهلية، ولم يكن تعبيراً إسلامياً جديداً. وهو ما يعني أن كلمة تصرط في النقش تساوي «اهدنا الصراط» في القرآن.

بناءً على ما سبق، فقد كان الاسم محمد موجوداً في شمال وجنوب الجزيرة العربية قبل وقت لا بأس به من البعثة النبوية. بذا يمكن القول إن هذين النقشين قد أطاحا بفرضية أن الاسم محمد حديث، وأنه وُجد في نهاية الجاهلية فقط.

* شاعر فلسطيني

النقش الثاني

نُشر هذا النقش في تشرين الثاني (نوفمبر) عام 2021. وناشره هو: مشعل بن عبدالله. وقد عُثر عليه في منطقة نجران. وهو مكتوب بخط المسند الشمالي أيضاً، رغم أن نجران يمنية جنوبية، أي يمنية عملياً.

وقد قرأ الناشر النقش على الوجه التالي، حسب ما فهمت من الفيديو: ودع محمد بن تبعة

وهذه القراءة تعاني في الواقع من مشكلتين:

الأولى: أن الناشر لم يقرأ الكلمة الأولى في السطر، وهي تُقرأ بوضوح هكذا: «هـ رضو»، أي: يا رضو. فالهاء حرف نداء مثل الياء. بذا فالكلمة التي تلي ليست «ودع»، كما قرأها الناشر بل «دع». فالواو تتبع لاسم الإله «رضو».

الثانية: أن الاسم الأخير ربما يجب أن يُقرأ «زبعة» وليس «تبعة» في ما يبدو لي. وإن صحّ هذا فالسطر يقول:

هـ رضو دع محمد بن زبعة (زابعة، زوبعة؟).

أي: أيها الإله رضو احفظ، أو احم، محمد بن زبعة.

ذلك أن كلمة «دع» تعني احفظ، أو احم، أو أبق على.

أما الإله رضو، فقد ظل موجوداً حتى الإسلام. وهو الذي يشار إليه في المصادر الإسلامية باسم «رضا». وبه كان يُسمى الجاهليون «عبد رضا». وقد هُدمت كعبة هذا الصنم في الإسلام على يد المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد، كما يخبرنا ابن إسحق في سيرته. وهو يورد ما زعم أنه شعر للمستوغر بشأن الهدم يقول فيه:

ولقد شددتُ على رضاءٍ شدةً
فتركتها قفراً بقاع أسحما

ويؤنث الشاعر «رضاء» لأنه يقصد كعبته. ذلك أنّ رضو إله مذكر في غالب الظن.

Samedi 9 Avril 2022 no14
السبت 9 نيسان 2022 العدد الرابع عشر

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

عدم شرعي

(مروان بوحيدر)

جيش المتسوّلين 15 ألف طفل 3-2

محافظ بيروت: السمسرة مستمرة 5-4

متسوّلون في «مدن الربّ» 7-6

الاملاك البحرية: إشغال «مؤقت» إلى الأبد 9-8

◆ في العمق

في ظل انهيار قيمة العملة الوطنية وارتفاع أسعار المواد الغذائية والمحروقات، لم تعد مداخيل الناس كافية لتغطية كلفة حاجاتهم الأساسية. صُرف موظفون كثر من أعمالهم ما رفع نسبة البطالة إلى نحو 35%، ليلامس عدد العاطلين عن العمل الـ 500 الف نهاية عام 2021 (المصدر: الدولية للمعلومات). فيما شهدت نسبة الفقر قفزة هائلة من 42% عام 2019 إلى 82% عام 2021 (المصدر: ESCWA). يوماً بعد يوم، تتفاقم الأزمة الاقتصادية ويتدهور الوضع المعيشي من سيئ إلى أسوأ، ولا يبدو ان تشكيل حكومة او تحديد موعد للانتخابات، ولا إطلاق مبادرات إصلاحية والوعود بمساعدات اجتماعية، قادر على تخفيف المعاناة بشكل جدّي ومستدام. العثور على وظيفة أو مصدر دخل مناسب بات امراً صعب المنال. فيما يزداد عدد المتسوّلين على انواعهم: «المنظّم» في مجموعات، والعفوي الذي يعاني الفقر المرض والجوع. فيما المؤكد ان ليس كل المتسوّلين لاجئين سوريين

جيش المتسوّلين
15 ألف طفل

■ احمد مدلج

«عمو الله يخليك بس الف ليرة». لازمة يكررها رامي (10 سنوات) مئات المرات منذ اللحظة التي يوصله فيها والده الى شارع الحمرا صباحاً وحتى آخر الليل حين يعود الوالد لجمع «الغلّة». يجوب رامي الطرقات وحده؛ يلاحق السيارات، ويبحث في مكبات النفايات عن أشياء يمكن ان يحوّلها الى العاب، او عن بقايا سندويش او «شقفة» منقوشة. يراقب أولاداً في مثل سنه يمرون في سيارات فخمة، ويبكي احياناً من دون ان يستدرّ الولد «السوري» شفقة أحد، علماً أنه لبناني منذ الولادة.

لمنير، الساكن في المصيطبة، قصة مختلفة. «بعد الأزمة ما عدت قادر ادفع الإيجار وما في معي مصاري». الرجل البالغ من العمر سبعين عاماً

> **من دون توجيه الاطفال على الطريق الصحيح سيتحولون إلى مجرمين. هذه ليست ظاهرة تسول بل قنبلة موقوتة**

لم يعد يتلقى تحويلات مالية من أبنائه المغتربين. «وقت السحور بمرق على الأفران والمطاعم بمار إلياس لأطلب من العالم شو ما بيطلع منهم».

طارق (30 سنة) يجول في الأحياء المزدحمة في سن الفيل حاملاً وصفة طبيب دُوّنت عليها أسماء أدوية يحتاج اليها للعلاج من مرض السرطان. بعد حديث معه لمعرفة نوع السرطان المصاب به ومصدر الوصفة، يتبين ان طارق مدمن على الهيروين ويتسول لشراء المخدرات. يردّ على عرض بمساعدته للعلاج من الإدمان بأنه يفضّل ان يبقى «مطفي» كي لا يواجه الأوضاع المزرية.

القانون يعاقب و«يُشغّل» ويمنع

القانون يعاقب المتسوّلين بالحبس مع التشغيل لمدة «شهر على الأقل وستة أشهر على الأكثر»، وكل من غادر مؤسسة خيرية تعنى به وتعاطى التسول، عوقب، ولو كان عاجزاً، بالحبس لمدة «شهر على الأقل وستة أشهر على الأكثر» (مادة 610 و611 و612 من قانون العقوبات).

وتشدد العقوبة إذا كان المتسول يستجدي في الظروف التالية:
- التهديد أو أعمال الشدة
- حمل شهادة فقر كاذبة
- التظاهر بجراح أو عاهات
- التنكر على أي شكل كان
- استصحاب ولد غير ولده أو أحد فروعه ممن هو دون السابعة من العمر
- حمل أسلحة أو أدوات خاصة باقتراف الجنايات أو الجنح
- حالة الإجتماع ما لم يكن الزوج وزوجته أو العاجز وقائده

فيعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين مع التشغيل، فضلاً عن وضعه في «دار للتشغيل» إذا لم يكن عاجزاً وبالحبس البسيط للمدة نفسها إذا كان عاجزاً. ويمكن كذلك أن يفرض تدبير الحرية المراقبة على المتسوّل (مادة 613 من قانون العقوبات).

يتيح القانون، اذاً، للقاضي وضع المتسولين في «دار للتشغيل» يفترض ان يمنعهم من العودة الى التسوّل، علماً أن دور التشغيل غير متوفرة حالياً. لذا يحيل بعض قضاة التحقيق المحكوم عليهم بالتسوّل إلى مؤسسات رعاية اجتماعية غير حكومية.

أما من كانت له من المتسوّلين «موارد أو كان يستطيع الحصول على موارد بالعمل واستجدى لمنفعته الخاصة الإحسان العام في أي مكان كان، إما صراحة أو تحت ستار أعمال تجارية، وكل من أصبح بسبب كسله أو إدمانه السكر أو المقامرة مجبراً على استجداء المعونة العامة أو الإحسان من الناس»، فللقاضي أن يحكم بـ«منعه من ارتياد الحانات التي تباع فيها المشروبات».

الاتجار بالاطفال

غالباً ما يكون الطفل ضحية وأداة للتسول عبر ارغامه على جمع المال لصالح والديه او اشخاص آخرين بالاتفاق مع والديه. ويمكن عدّ هذا الطفل ضحية جريمة الإتجار بالأشخاص (قانون رقم 164 تاريخ: 24/08/2011). وكان لبنان قد التزم منذ عام 2005 باتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية (اتفاقية «باليرمو») والبروتوكول الملحق بها المتعلق بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالأشخاص و«بخاصة النساء والأطفال»، وإصدار النصوص القانونية اللازمة لمنع ارتكاب جريمة الاتجار بالأشخاص وملاحقة مرتكبيها ومعاقبتهم، ووضع نظام قانوني لحماية ضحايا هذه الجريمة ومساعدتهم. وأدخلت فعلاً تعديلات على قانون العقوبات بحيث بات يتضمن تعريفاً لجريمة الاتجار بالأشخاص على النحو الآتي: «اجتذاب شخص أو نقله أو استقباله أو احتجازه أو تقديم المأوى له، بهدف استغلاله أو تسهيل استغلاله من الغير، وذلك بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو الاختطاف أو الخداع أو استغلال السلطة أو استغلال حالة الضعف، أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا». وتعرّف عبارة الاستغلال على أنها تشمل «التسول»، كما تشمل إرغام المجني عليه على القيام بأعمال منافية للحشمة أو تعاطي الدعارة. ويفترض، بحسب القانون، عدم الأخذ بموافقة المجني عليه الذي لم يتم الثامنة عشره من العمر على هذه الأفعال. ويحدد القانون العقوبات بحق الضالعين بالاتجار بالبشر تبعاً لهوية الضحية وخطورة الوسائل المعتمدة لارتكاب هذه الجريمة.

والتفت ان لوزير العدل، بموجب القانون رقم 2011/164، ان يستعين بمؤسسات أو جمعيات متخصصة لتقديم المساعدة والحماية لضحايا جريمة الاتجار بالأشخاص. وتصادر المبالغ المتأتية عن الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون وتودع في حساب خاص في وزارة الشؤون الاجتماعية لمساعدة ضحايا هذه الجرائم.

من التسوّل الى الاجرام

تندرج جريمة التسول في الباب العاشر من قانون العقوبات، وعنوانه «الجرائم التي يرتكبها أشخاص خطرون بسبب عادات حياتهم». لكن هل يمكن عدّ الأشخاص، ومن ضمنهم الأطفال، الذين يقدمون على التسول «أشخاصاً خطرين»، أم ان ادراجهم تحت هذه الصفة يتعلق بالجرائم الخطيرة التي يمكن ان ينجرّوا اليها في سياق التسوّل؟

مديرة المشروع الوطني لمكافحة التسول في وزارة الشؤون الاجتماعية سيما معاوية منذر، حذرت، في مقابلة مع «القوس»، من ان «طفل اليوم هو مجرم الغد»، لافتة إلى أنه «من دون توجيه الأطفال على الطريق الصحيح وإعادة تأهيلهم ودمجهم في المجتمع سيتحولون إلى مجرمين. هذه ليست ظاهرة تسول بل قنبلة موقوتة». وشرحت ان إقفال المدارس الرسمية أبوابها أدى إلى انتقال عدد كبير من الاطفال من المدارس إلى الشوارع، فـ«ثلاث سنوات اضراب واقفال عم تطلع براس الولاد، أجيال باكملها تخربطت حياتهم».

> **على المنظمات الدولية ان تقرن منح مساعدات مالية لاهالي اطفال اللاجئين السوريين بشرط إرسالهم إلى المدارس**

وتلفت منذر إلى أن المنظمات الدولية تمنح مساعدات مالية (20-30$ للطفل شهرياً) لأهالي أطفال اللاجئين السوريين بلا شروط، فيما «يجب أن يقترن إعطاء أي مساعدة مالية بشرط ادخال الأطفال إلى المدارس المتوفرة بدلاً من ارسالهم إلى الشوارع». وتسأل: «بعدما دفعت تكاليف تعليم أطفال النازحين السوريين من كتب دراسية ومواصلات ورواتب أساتذة، لماذا لا يتم إرسالهم إلى المدارس؟».

وشددت على ان بداية الحل تكون بوضع «آلية قانونية ترعى تنظيم صرف الهبات والمساعدات للاجئين كوضع شرط إدخال اطفالهم إلى المدارس». منذر أشارت إلى أن الأطفال المتسولين «يتم استغلالهم من قبل اهاليهم من اجل المال»، ونصحت بعدم المساهمة في استغلال الأطفال عبر اعطائهم الطعام والملابس بدل الأموال.

مؤسسة ترعى الاطفال المتسولين

تلفت منذر إلى الأطفال الذين يعملون ساعات طويلة من دون أي مقابل ومن دون أي راحة وطعام معرضون لخطر الموت خلال تسولهم في الطرقات أمام السيارات، مشيرة إلى أن لا قدرة لوزارة الشؤون الاجتماعية على ملاحقة «الشاويش» الذي يستغل الأطفال. بل «يقتصر دورنا على التوعية أو تأمين مركز رعاية بعد طلب من قاضي الأحداث. لكن هناك مشكلة أخرى، إذ لا توجد مؤسسات رعاية للأطفال غير اللبنانيين. ولدى اتصالنا بأي من المؤسسات يأتي الرد غالباً: نحنا جمعية نهارية، ولا يمكننا وضع أطفال شوارع مع أطفال يتامى بسبب سلوكهم العنيف». لذلك، هناك حاجة ملحّة لإنشاء مؤسسة ترعى الأطفال المتسولين، و«ليس المطلوب فقط الدعم الاجتماعي النفسي من الجمعيات، بل انشاء مؤسسات تستقبل الأطفال الموجودين في الشوارع».

وتختم منذر بأن «الطفل المتسول ليس بحاجة إلى مبلغ من المال، بل هو بحاجة إلى لعبة، إلى طعام، إلى طفولته. عند إعطائه المال لن يستفيد منه بل يسلّمه إلى الشاويش وفي كل مرة يتم إعطاؤه مبلغاً من المال يتم استغلاله أكثر».

ثلاث فئات

حدّدت مديرة المشروع الوطني لمكافحة التسول في وزارة الشؤون الاجتماعية سيما معاوية منذر ثلاث فئات من المتسولين:

◄ **الفئة الأولى** وصفتها بـ«الأخطر والأهم»، وتتألف من أطفال ربما يصل عددهم إلى ما بين 20 و25 ألفاً، غالبيتهم من حملة الجنسية السورية (60%). ويتحمل مسؤولية تضخّمها القطاع التربوي والمنظمات الدولية والأهالي والضابطة العدلية.

◄ **الفئة الثانية** تضم بعض الغجر الذين يعتبرون التسول مهنة يتوارثونها و«نمط حياة» خاصاً بهم.

◄ **الفئة الثالثة** تضم «كبار السن» ممن تخلى أبناؤهم عنهم أو فقدوا أعمالهم وأصبح التسول السبيل الوحيد أمامهم للبقاء على قيد الحياة.

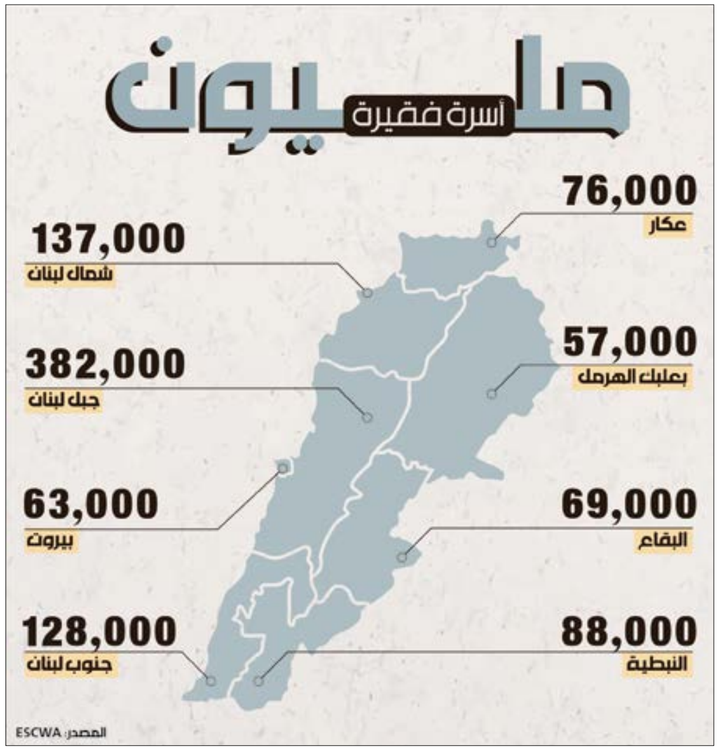

(مروان بو حيدر)

شاويش يدير المتسوّلين

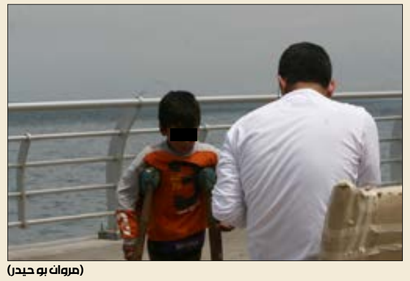

(مروان بو حيدر)

أوضحت مديرة المشروع الوطني لمكافحة التسول في وزارة الشؤون الاجتماعية سيما معاوية منذر ان «الشاويش» هو «الزعيم» الذي يدير عادة شبكة للتسوّل. إذ يتفق مع بعض أسر اللاجئين السوريين على «تسليمه» أطفالها للعمل في التسول مقابل مبلغ من المال، وتزيد قيمة «البدل» كلما كان الطفل أصغر سناً. وأكدت ان الوزارة «ليس لديها صلاحية أخذ الأطفال من عائلاتهم، ولا يمكننا مقاضاتهم لأن هذه مسؤولية وزارة الداخلية والقضاء». وشددت على ان «الملاحقة القضائية ضرورية ولا بد من ممارسة الضابطة العدلية دورها في إلقاء القبض على الشاويش».

◆ **مقابلة** | أجراها **عمر نشابة واحمد مدلج**

بدأ محافظ مدينة بيروت القاضي مروان عبود العمل في الوظيفة العامة عام 1993 حين عين مراقباً في ديوان المحاسبة. عام 2019، عين رئيس غرفة في الديوان، وتولى مطلع 2020 الرقابة الإدارية والقضائية على بلدية بيروت، وعين محافظاً للعاصمة في حزيران 2020. في ما يأتي مقابلة مع المحافظ في مكتبه في مبنى بلدية بيروت وسط العاصمة

محافظ بيروت: لا يمكن إلغاء السمسرة لكن...

- **نبني مأوى للمتسولين سيكون جاهزاً خلال ستة أشهر**
- **نحتاج الى قانون تشريع استثنائي لمواجهة التحديات**
- **لن يلتزم المتعهدون طالما الدفع بالليرة اللبنانية**
- **غالبية مرتكبي الجرائم من اللاجئين!**
- **مع اشراك أصحاب الفانات في خطة للنقل العام**

■ نصّت المادة 24 من المرسوم الاشتراعي رقم 116/59 على «تنظيم المحافظ مرة كل ثلاثة أشهر على الأقل، تقريراً شاملاً عن حالة المحافظة يضمّنه مقترحاته ويرسله إلى الادارات المركزية المختصة». هل تمكنت من تنظيم هذه التقارير؟ وهل هي سرّية أم يمكن لأهل المدينة الإطّلاع عليها؟ وهل تساعد هذه التقارير الإدارات والدوائر الأخرى على مد يد العون؟

- لم يتسنَّ لي بعد كتابة أي تقرير لأنني أعيش مرحلة صعبة جداً وظروفاً قاهرة «ما عم بقدر اتنفس»، فبعد شهرين من استلامي منصبي وقع انفجار مرفأ بيروت، ومنذذاك لا نزال في حال طوارئ، قريباً سأعدّ هذه التقارير، وهي بالتأكيد تساعد، وليست سرية ويمكن لأهل المدينة الاطلاع عليها.

■ بحسب المرسوم 116/59، أنت مسؤول عن حسن تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات العامة في المحافظة في ظل الأوضاع التي يشهدها لبنان اليوم. هل تتكّمل مسؤولية عدم تطبيق بعض القوانين والامتناع عن تنفيذها؟ وهل مفهوم تنظيم الإدارة موجود في لبنان؟

- لدي موقعان: محافظ ورئيس سلطة تنفيذية في بلدية بيروت. أمارس صلاحياتي من الموقعين اللذين يتكاملان مع بعضهما بعضاً. مسألة المراسيم والقوانين هي للظروف العادية وأوقات الاستقرار. بعد وقت قصير من تعييني أعلنت حال الطوارئ إثر إنفجار المرفأ، وأضيفت إلى مركز المحافظ صلاحيات جديدة، منها إدارة المدينة بالتنسيق مع الجيش اللبناني لمواجهة تداعيات الانفجار الذي دمر نصف العاصمة وهجّر الآلاف، إضافة إلى جائحة كورونا والركود والأزمة الاقتصادية وثورة 17 تشرين والانهيار النقدي وانهيار المرافق العامة على كل الأصعدة والمستويات. يتزامن هذا مع إحجام المتعهدين عن المشاركة في المناقصات العمومية بسبب دفع الدولة مستحقاتهم بالليرة بدلاً من الدولار، لذلك لا يريدون الدخول في مغامرات جديدة لأنهم لا يمكنهم تحديد مستحقاتهم لسنة واحدة، فهذه العقود لسنة وما فوق. ولن يلتزم أي متعهد مع الدولة اللبنانية طالما أن الدفع باللليرة اللبنانية ولسنة واحدة فقط.

■ كيف تتعاملون مع مشكلة التسوّل في بيروت؟

- حلّ هذه المشكلة لا يكون أمنياً عبر إرسال دوريات من شرطة البلدية لملاحقتهم فقط. اليوم نحن في صدد المعالجة، وعقدنا في هذا السياق اتفاقاً مع منظمة اليونيسيف، قدمنا بموجبه أحد مباني البلدية لترميمه وتحويله مأوى لاستقبال المتسولين الذين يلقى القبض عليهم ريثما يتم درس أوضاعهم. وسيكون المأوى جاهزاً خلال ستة أشهر.

■ يشكو مواطنون من «سمسرة» وبيع رخص في المحافظة والبلدية. ما الخطوات التي اتخذتموها في هذا الشأن؟

- تسلّمت لدى تعييني محافظاً إدارة آزمة كبيرة، لم تتح لي تطبيق سياسات إصلاحية كنت أطمح إلى تنفيذها. إذ سرعان ما وجدت نفسي أمام التعامل مع كارثة الانفجار فيما مؤسسات الدولة في حال انهيار شامل. لا يمكن إلغاء السمسرة نهائياً قبل المكننة الشاملة للمعاملات البلدية. حصلنا على تمويل بقيمة 100 ألف دولار من اليونيسيف لتحسين بيئة عملنا، ونعمل مع السفارتين اليابانية والألمانية تحديداً على تأمين تمويل لتحويل البلدية إلى بلدية إلكترونية كاملة، لكن ذلك يتطلب مزيداً من الوقت. رغم ذلك، السمسرة تراجعت وبابي مفتوح لجميع المواطنين، وأي موظف يمارس ابتزازاً على الناس «بقصف عمره»، وأحاول مساعدة الموظفين في وجه الآزمة للحؤول دون الانسياق إلى الرشوة. لذلك، نؤمّن لهم إعانات وحصص غذائية من بعض الجمعيات، وطلبت من جهات أخرى دراجات نارية كهبات للموظفين للذهاب إلى عملهم. «عم اشحد وأعطيهم».

■ هل هناك خطة للنقل العام في بيروت؟

- أعمل على وضع مشروع للنقل العام في بيروت على لائحة التمويل. ناقشنا مع جمعية فرح العطاء إعطاءها محطة شارل حلو والتعاون معها لتأمين تمويل خطة النقل العام، لكن المشكلة الأساسية هي أن مؤسسة النقل المشترك مؤسسة عامة مستقلة، ولديها خطة وطنية تشمل بيروت. المشكلة الاخرى تتصل بأصحاب الفانات الخاصة الذين قد تؤدي أي خطة إلى الاصطدام بهم، لذا ينبغي ان نشركهم في أي خطة لتفادي أي مشكل في المستقبل.

■ ألا يصعّب عدم اعتماد الروتين الإداري العملية الرقابية، وهي أساسية في عمل المؤسسات؟

- وضعنا بشبه طفلاً ينزف على باب المستشفى بعدما دهسته سيارة في يوم أحد. هل ننتظر حتى حضور الطبيب في تعاونية الموظفين إلى مكتبه نهار الإثنين لأخذ الموافقة؟ الدولة على علم بعدم اللجوء إلى الروتين الإداري. الخراب يعمّ لبنان. النظام القانوني كامل متكامل، للدولة حقوق وللمتعهد وللموظف حقوق أيضاً. لا يمكننا انتظار سنتين لتركيب إشارات السير بسبب الروتين الإداري. ما فينا نشتغل هيك. لقد طرحت الموضوع على مجلس النواب وعقدنا اجتماعات عدة لحل مشكلة الروتين الإداري. الحل يكون عبر تشريع استثنائي. النصوص القانونية الموجودة وضعتها في الستينيات دولة مستقرة تعمل مؤسساتها بشكل طبيعي. ماذا تفعل عندما يعطيك القانون خيارين لحل مشكلتك ولا يكون الخياران متوفرين؟ إذا كان القانون ينص على ان المعاملات تمر عبر مجلس الوزراء لكن المجلس، مثلاً، لا يجتمع، فكيف يمكن أن تعمل في مثل هذه الظروف؟ كيف يمكن أن أحافظ على توازن البلدية مالياً عندما تزيد نفقاتها أضعافاً وتتراجع وارداتها أضعافاً أخرى.

■ هل الحفاظ على الأمن في المدينة من مسؤوليات المحافظ؟

- المحافظ مسؤول جزئياً، فأمن بيروت مرتبط بمجلس الامن المركزي وبوزارة الداخلية والجيش اللبناني، وإذا كانت هناك بؤر أمنية يخرج منها السارقون الذين يغزون بيروت ليلاً فهذه مسألة أكبر مني.

■ هل مشكلة الأمن مرتبطة بالمخيمات؟

- لا، ولكن عدد اللاجئين في لبنان هائل، وهذه مشكلة كبيرة. نسبة اللبنانيين الذين يرتكبون جرائم لا تتعدّى 1%، وغالبية الجرائم يرتكبها لاجئون فلسطينيون أو سوريون أو أجانب.

■ لكن الإحصاءات لا تدل الى هذه النسبة.

- هذه الإحصاءات خاطئة. العصابات التي يلقى القبض عليها يومياً بمعظمها غير لبنانية، نادراً ما أرى لبنانيين صدقني.

■ ألا تعتقد ان إلقاء اللوم غالباً على اللاجئ الفلسطيني والسوري والأجنبي أصبح عادة؟ ألا يجب أن نقوم بإصلاح بلدنا ونعترف بأخطائنا؟

- لا يمكننا ان نقوم بالإصلاحات لأن لا قدرة لنا على ترحيل اللاجئين والسيطرة على الوضع الداخلي. عندما يُلقى القبض على من يمتلك متجراً من دون أوراق رسمية ويتهرب من الضريبة يجب على الدولة ان تركله. لكن هذا ليس وارداً هنا، وحتى الأمن العام اللبناني لا يمكنه أخذ أي اجراء بحقه. لا يمكن ترحيلهم ولا القيام بأي إجراء بحقهم. في منطقة الحمرا، مثلاً، هناك مبانٍ «بامها وابيها» مليئة باللاجئين، فكيف يمكن أخذ إجراءات بحقهم؟ تضعهم في السجن؟ ما هي جريمتهم؟ إضافة إلى عدم قدرة السجون على الاستيعاب. أين نضعهم؟ على الحدود؟ كيف يمكن أن آخذ اجراء بحقه واطرده خارج بيروت؟

■ وكيف ستحل مشكلة اللاجئين السوريين في الحمرا؟

- الحكومة اللبنانية عاجزة عن حل هذه المشكلة فما بالك بالمحافظ؟ على الحكومة إيجاد الحل. المحافظ يقوم بواجبه بالتنسيق مع وزير الداخلية وعبر ارسال دوريات درك واخضاعهم للضريبة والطلب من مالكي الأبنية تأجير عقاراتهم وفقاً للمعايير القانونية والصحية، اما ان اقوم بإرسال تقرير للوزير فقط كرفع عتب، فليست هذه الطريقة المناسبة، وهم ليسوا في انتظار التقارير لمعرفة المستجدات رغم أن كتابة التقارير هي من التنظيم الإداري.

■ عجز مجلس الوزراء عن البت في مسألة اللاجئين هل أدّى إلى تفاقم مشاكل بيروت؟

- عدد اللاجئين يزداد يوماً بعد آخر في بيروت وهذا يشكل عبئاً على البنية التحتية وعلى المؤسسات العامة والأمن. حتى في فرنسا، يشكّل وجود الأجانب والمهاجرين عبئاً كبيراً، ولم يعد كان سابقاً. لبنان ليس مجهزاً لاستقبال عدد كبير من اللاجئين. الأكيد ان هذا ليس السبب الوحيد، لكنه سبب أساسي يضاف إلى انفجار مرفأ بيروت وتراجع سعر العملة الوطنية وتدني رواتب الموظفين. الموظف الذي يتقاضى شهرياً سعر صفيحتي بنزين كيف يمكن إلزامه المداومة في مكتبه؟

> **حلّ مشكلة التسوّل في بيروت لا يكون أمنياً عبر إرسال دوريات من شرطة البلدية لملاحقتهم فقط**
>
> **وضعنا يشبه طفلاً ينزف على باب المستشفى بعدما دهسته سيارة في يوم أحد**

تمييز العاصمة

لكل بلدية جهاز يتألف من سلطة تقريرية وسلطة تنفيذية، ويتولى رئيس المجلس البلدي السلطة التنفيذية. أما في بيروت فيختلف الوضع القانوني والإداري للمحافظ والبلدية عن بقية المحافظات. إذ يتولى المحافظ السلطة التنفيذية في بلدية بيروت، ومن مهماته تنفيذ قرارات المجلس البلدي ووضع مشروع موازنة البلدية وإدارة دوائرها والإشراف عليها وعلى عقاراتها والقيام بالأعمال اللازمة لصيانة حقوقها وإدارة مداخيلها والإشراف على حساباتها.

(هيثم الموسوي)

وظائف محافظ بيروت تعدّ ولا تحصى

حدد قانون البلديات (المرسوم الاشتراعي رقم 118 تاريخ 1977/6/30) وظائف المحافظ. وتشمل:

◄ حفظ النظام والأمن وصيانة الحرية الشخصية وحرمة الملكية الخاصة. وتوضع قوى الأمن الداخلي في المحافظة تحت تصرف المحافظ لاستعمالها في تأدية المهام المنوطة به.

◄ اتخاذ التدابير المتعلقة بقمع التسول والتدابير اللازمة بشأن الذين يهددون الآداب أو سلامة الأشخاص والأموال.

◄ تأمين السير وتسهيل التجول في الشوارع والساحات والطرق العمومية وكل ما يتعلق بالتنظيف والإنارة ورفع الأنقاض والأقذار.

◄ ادارة أجهزة الوزارات في المحافظة وتفتيش الدوائر ومراقبة الموظفين ومنحهم الاجازات الادارية والصحية وفرض العقوبات التأديبية.

◄ حماية صحة الأفراد والصحة العامة ومراقبة صحية على أماكن الاجتماعات وجميع الأماكن التي يتعاطى فيها تجارة أو صناعة المأكولات أو المشروبات والرقابة الصحية على الأشخاص المرتبطين بأية صفة كانت في هذه المحلات.

◄ السهر على تنفيذ القوانين في المحافظة وتحمّل مسؤولية حسن تطبيقها.

◄ مراقبة أوضاع المنطقة من الوجهتين السياسية والاقتصادية وإطلاع وزارة الداخلية على الحالة كل شهر، وكلما دعت الحاجة.

◄ المشاركة بإعداد موازنة صندوق التجهيز البلدي وعرض مشروع التوزيع على وزارة الداخلية مقروناً بمطالعته الخطية.

◄ مساعدة وزارة التربية الوطنية في تأمين الأبنية والتجهيزات والأدوات اللازمة للمدارس.

◄ تطبيق القواعد الصحية العامة وتأمين إدخال المرضى المعوزين إلى المستشفيات الحكومية في المحافظة.

◄ مكافحة السكر والأمراض الوبائية أو السارية وأمراض الحيوانات.

◄ هدم المباني المتداعية وإصلاحها على نفقة أصحابها.

◄ توزيع المساعدات اللازمة لإعانة ضحايا الآفات والنكبات كالحريق والأمراض الوبائية أو السارية الخ.

◄ الوقاية من الحريق والانفجار وطغيان المياه وتنظيم مصلحة المطافئ ومراقبة الأماكن التي تخزّن فيها المواد الملتهبة والمتفجرة والمحروقات وتحديد كميات هذه المواد التي يجوز لهذه الأماكن تخزينها.

◄ فرض تدابير النظافة والراحة والصحة والسلامة على وسائل النقل العمومي، وكل ما يختص بالآداب والحشمة العمومية.

◄ حماية البيئة والمناظر الطبيعية والآثار التاريخية وصيانة الأشجار والأماكن المشجرة، ومنع التلوث.

◄ إعطاء رخص البناء ورخص السكن وإفادات إنجاز البناء، لإدخال الماء والكهرباء والهاتف بعد موافقة الدوائر الفنية المختصة وتطبيق أحكام القوانين المتعلقة بتسوية مخالفات البناء.

◄ الترخيص بحفر الطرقات العامة لمد قساطل المياه والكهرباء والهاتف والمجارير وغيرها لقاء كفالة تضمن إعادة الحال إلى ما كانت عليه على نفقة طالب الترخيص. ولا تستثنى المؤسسات العامة والمصالح المستقلة وإدارات الدولة من هذا الترخيص.

9
محافظات

ينقسم لبنان إدارياً إلى 9 محافظات (بيروت، جبل لبنان، الشمال، البقاع، بعلبك - الهرمل، النبطية، لبنان الجنوبي، عكار وكسروان - جبيل) و25 قضاء وأكثر من 964 بلدية (المرسوم الاشتراعي رقم 116/59). يدير شؤون المحافظة موظف يدعى المحافظ، يمثل وزارات الدولة كافة، باستثناء وزارتي العدلية والدفاع الوطني.
يعيّن المحافظ من بين حملة الاجازة في الحقوق أو ما يعادلها بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء.

◆ جريمة في السينما

متسوّلون في «مدن الربّ»

■ شفيف طبارة

في العصر الوسيط، كتب القديس أوغسطين كتابه الشهير «مدينة الرب»، دفاعاً عن المسيحية، تحدث فيه عن مجتمع بني على الحب، وجعل من مدينة الرب جنة على الأرض. في منتصف القرن العشرين، أطلقت الحكومة البرازيلية اسم «مدينة الرب» على ضاحية يسكنها فقراء ومشرّدون قرب مدينة ريو دي جانيرو. والاسم نفسه حملته رواية ألّفها الكاتب البرازيلي بولو لينس، تضمّنت قصصاً حقيقية عن هذه المدينة. كبشر، علينا دائماً الاختيار بين الخير والشر. لكن، في بعض الأماكن، يختلف هذا المفهوم. في «مدينة الرب»، للمخرجين البرازيليين فيرناندو ميريليس وكاتيا لوند، الشرّ هو شيء لا يمكن تخيّله، والخير هو ألا تتعاطى الكثير من المخدرات، ألا تتسول، ألا تقتل أحداً من دون سبب، وأن تسرق ما هو ضروري فقط. رغم ذلك، سيكون من الصعب جداً عليك البقاء على قيد الحياة في عشوائيات البرازيل.

> التسول مسألة معقدة ومن يعانون من الفقر المدقع أمام خيارات متطرفة قد يجبرون عليها لعدم وجود سقف يؤويهم او ما يسدّ رمقهم

واقعٌ حقيقي ونصّ مبتكر وحجج مثيرة للاهتمام وتطور مثالي للشخصيات... أنتجت تحفة سينمائية تعكس واقع ملايين الأطفال والشبان ممن يستيقظون يومياً على حياة قاسية لا تعرف الرحمة. يتضمّن الفيلم حقائق أكثر مما تتضمّنه أي نشرة أخبار أو تقرير صحافي منافق تُذرف فيه الدموع سرداً للبؤس والرعب السائدين في بعض مناطق العالم. سلطت السينما الضوء على قضايا متعددة الأوجه للمتسولين من خلال العديد من الأفلام، بعضها استُوحي من قصص حقيقية، وأخرى تعالج مفهوم التسول والفقر مثل «مدينة الرب»، وثالثة تناولت موضوعات الاتجار بالأطفال وخطفهم لإجبارهم على التورط مع عصابات التسول أو لسرقة الأعضاء، ناهيك عن أفلام صوّرت المتسولين كشخصيات كوميدية. كما أنتجت وثائقيات كثيرة تبحث بعمق في أسباب التسول، وهل هو مجرد وظيفة كأي وظيفة أخرى، ولماذا يحتاج الشخص إلى التسول في هذا العصر، وهل يمكن أن نتقبل التسول في مجتمعاتنا بحيث يصبح المتسولون والمتصدّقون راضين... إلى أسئلة كثيرة أخرى يمكن طرحها عن الفقر والتسول، قد تكون السينما أو الوثائقيات قادرة على تقديم بعض الإجابات عنها.

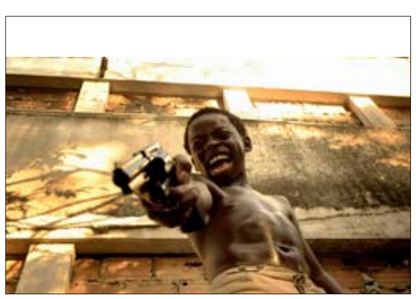

مشرّدون وهميون

يطرح وثائقي «بي. بي. سي» بعنوان «مشردون وهميون: من يتسوّل في الشوارع» (Fake Homeless: Who's Begging on the Streets) إشكالية المشرّدين الوهميين البريطانيين. في الأعوام الثلاثة الماضية، سجل عدد الأشخاص الذين ينامون في العراء في أنكلترا رقماً قياسياً بزيادة قدرها 73%. بحسب البيانات الحكومية، بات نحو 5000 شخص في الشوارع كل ليلة في خريف 2017، وهو ضعف الأرقام المسجّلة منذ عام 2010. لكن هناك مزاعم بأن المملكة المتحدة تواجه ظاهرة «التشرد المزيف». فهؤلاء المتسولون لديهم منازل يخرجون منها للتسول والنوم في الشوارع. وتُظهر سجلات الشرطة أن 80% من المتسولين لديهم «نوع من المنزل» يذهبون إليه. في مقاطعة كامبريدجشير، تحتجز الشرطة المتسولين، وفي مدينة ديڤون، تلتقط اشلي صوراً لبعضهم عندما يعودون إلى بيوتهم وتواجههم. تؤكد أشلي أنها نجحت في خفض عدد المشردين في المدينة من 23 إلى 6 فقط، بعد طرد المزيفين. بينما تجادل جمعيات خيرية بأن بعض المشردين يمكن أن تكون لديهم منازل، لكن حياتهم المعقدة والفوضوية تؤدي بهم للتسول في الشوارع، فيما يدعو آخرون إلى التوقف عن شيطنة المشردين. إذ، ما هي الحقيقة؟

أليس في بلاد المتسولين «العظمى»

عام 2011، نشرت قناة «بي. بي. سي» وثائقياً بعنوان «أطفال بريطانيا المتسولون» (Britain's Child Beggars)، حول مشكلة الاتجار بالأطفال وإجبارهم على التسول. في الوثائقي، نقابل أليس، وهي طفلة في الرابعة تجوب شارع أوكسفورد في وسط لندن وتتسوّل لساعات. أليس ليست الوحيدة التي تطلب المال طوال النهار، وتستعمل صندوق الهاتف كمرحاض، وتبحث عن الطعام في النفايات، وتكسب مئات الجنيهات الاسترلينية يومياً. يتبع وثائقي المخرج جون سويني أليس وأصدقاءها آخر الليل إلى مناطق فخمة، حيث يقطن رجال عصابات تجبر الأطفال على التسول، ليكتشف أن هذه العصابات عابرة للقارات بدءاً من رومانيا!

على مدى عام، تبين أن كل الأطفال المتسولين الذين يعملون في شوارع لندن هم من الغجر الرومانيين (أكبر أقلية عرقية في أوروبا والأكثر فقراً، وتنتشر العنصرية ضدهم في رومانيا وأنحاء أوروبا). ورغم ارتداء بعض الفتيات المتسولات الحجاب وملابس محتشمة وجعل المساجد والمناطق التي يرتادها السياح الخليجيون هدفاً لهن، إلا أن أياً منهن لم تكن مسلمة.

السلطات البريطانية لا تفعل ما يكفي ولا الحكومة الرومانية أيضاً. غالباً ما يوقف عناصر الشرطة البريطانية هؤلاء الأطفال، لكن في العادة تؤخذ منهم معلومات ويُتركون لحالهم، لأن الهدف هو العصابات التي تقف وراءهم. المشكلة متشعّبة إلى حد كبير كما يوضح الوثائقي. هناك المئات - إن لم يكن الآلاف - من الاطفال الذين يضطرون إلى التسوّل بمجرد تمكنهم من المشي، لأن أهلهم لا يستطيعون العمل كونهم مهاجرين غير شرعيين. المشكلة الأساس تكمن في قوانين العمل والهجرة في المملكة المتحدة. قوانين تستفيد منها عصابات ترسل الأطفال إلى الشوارع في تجارة تدرّ عليها مالاً أكثر مما يمكن أن تجنيه من أي عمل آخر.

باكستان: ليس الأمر كما لو أننا نسرق

وفقاً لتقرير التنمية البشرية، يعيش نحو نصف سكان باكستان تحت خط الفقر. يؤدّي ذلك الى انتشار متزايد لظاهرة المتسولين، من مختلف الأعمار والأجناس بمن فيهم ذوو الاعاقة والمتحولون جنسيًا. يصعب التأكد من الأرقام الدقيقة للمتسولين، بسبب طبيعتهم المتجولة ولارتباط كثيرين منهم بشبكات غير قانونية.

«حتى لو كنا نتسول، فليس الأمر كما لو أننا نسرق»، يقول رجل عاري الصدر يجلس في زاوية شارع مزدحم. بهذه الجملة يبدأ وثائقي المخرج شيبا سعيد، «المتسولون في لاهور» (Beggars of Lahore). يندمج الفيلم في كثير من المشاهد والمقابلات مع متسولين، ويطرح العديد من الأسئلة: لماذا يتسول الناس؟ ما دور الدين والدولة في تشجيع التسول أو لجمه؟ لماذا يزيد التسول في شوارع لاهور؟

الإجابات المرئية التي يقدمها الوثائقي مؤلمة ومفتوحة، ما يجعلنا نشعر بأن هناك هرباً من النظر بشكل أعمق في الأسباب الكامنة وراء التسول أو لإيجاد حلول لهذه المشكلة العالمية. من الواضح أن التسول مسألة معقدة ومتضاربة. لكل متسوّل قصة يرويها، وكلهم خرجوا إلى الشارع كملاذ أخير. يتعين على من يعانون من الفقر المدقع اتخاذ خيارات متطرفة أو يجبرون على اتخاذها لعدم وجود سقف يؤويهم أو وجبة يومية تسدّ رمقهم. أثناء مشاهدة الوثائقي، يتضح لنا أنه يجب التحدث عن الفقر والتسول بقدر كبير من المسؤولية، بدلاً من شيطنة المتسولين، نحتاج إلى مساعدتهم، والتأكد من حصولهم على المساعدة التي يحتاجونها من الوكالات الحكومية وغير الحكومية ليتوقفوا عن الاعتماد على شبكات المافيا.

بهلوانيو الصين: لسنا متسوّلين

هل فنانو الشوارع في الصين متسولون؟ يصور وثائقي « لسنا متسولين» (We Are Not Beggars) للمخرج الصيني وين جي كين حياة فناني الشوارع في المدن الصينية. يتجوّل هؤلاء الأطفال في البلاد كفنانين ينبذهم معظم الصينيين. تتبعهم الكاميرا في الشوارع، يؤدون

الحيل البهلوانية ويتسولون ويصارعون من أجل البقاء، ويحلمون بالعودة إلى المنزل والذهاب إلى المدرسة. من بين عازفي وبهلوانيي الشوارع هؤلاء، نانا وأخوتها السبعة، أكبرهم يبلغ من العمر 14 عاماً وأصغرهم في سن السابعة، رغم سياسة الطفل الواحد التي تفرضها الصين. يتجول الأخوة في شوارع مدن مجهولة، ويؤدون بشجاعة استعراضات أمام مئات الأشخاص من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل؛ يتحمّلون الجوع ويأكلون من بقايا ما ترميه المطاعم، وينتقون من النفايات بسعادة ملابس رماها أصحابها. يرصد الوثائقي آراء مواطنين وهم يشاهدون أداء هؤلاء الأطفال. يرى بعضهم أنه «ينبغي حظر هذا النوع من الأداء لأنه قاس للغاية»، فيما يرحب به آخرون لا يرون فيه تسولاً بل عمل وطريقة عيش.

◆ مرافعة

التسلسل الزمني لتشريعات الاملاك البحرية

إشغال «مؤقت» منذ مئة عام

يمثل عنوان الأملاك العامة البحرية مثالاً صادقاً عن لبنان. هنا، يستبيح القوي الشاطئ فيبني قصراً مطلّاً على البحر، أو يستثمره رغماً عن الدولة ويجبي رسوم دخول من المواطنين تحت نظرها. وعندما «تردّ» بسنّ قوانين تجيز تسوية هذه المخالفات، يرفض الأقوياء حتى الانصياع لهذه المنحة – الهدية، فيما تنصّ القوانين النافذة على وجوب هدم المخالفة على نفقة المخالف وإعادة الملك العام البحري للدولة فوراً من دون أي تأخير

■ صادق علوية

في حزيران 1925، أصدر مفوض الانتداب الفرنسي الجنرال سارای القانون رقم 144/س الذي يحدد الأملاك العمومية للدولة اللبنانية. ومنذ ذلك التاريخ، لا يزال الإشغال «المؤقت» للأملاك البحرية لعدد من النافذين مستمراً. وفي كل مرة يضع أقوياء جدد يدهم على الملك العام البحري، منهم من يفعل ذلك بإجازة من الحكومة للإشغال «المؤقت»، ومنهم من يشغلها من دون أن يعبأ حتى بهذه الإجازة. ورغم أن الفارق كبير جداً بين الإشغال غير القانوني للأملاك العامة البحرية والإشغال القانوني، إلا أنهما يلتقيان على استباحة الملك العام مجاناً أو بثمن زهيد.

في حزيران 1966 أصدر رئيس الجمهورية حينذاك، شارل حلو، مرسوم نظام إشغال الاملاك العامة البحرية الذي ينص، بشكل واضح، على أن الاملاك العامة البحرية تبقى باستعمال العموم، ولا يكتسب عليها لمنفعة أحد أي حق يخوّل اقفالها لمصلحة خاصة. إلا أنه نص أيضاً على أن السماح بتخصيص جزء من الشاطئ لاستعمال أفراد أو مجموعات، وحصر هذا الانتفاع بهم دون سواهم، يكون عملاً استثنائياً يمكن تطبيقه في حالات خاصة تخضع للأسس المفروضة في حال السماح باستثمار الشاطئ البحري المنصوص عنها في النظام نفسه، والتي تحتمل التأويل وفقا للسلطة الاستنسابية التي تتمتع بها الحكومة.

الترخيص بإشغال الاملاك العمومية هو، بطبيعته، ترخيص مؤقت وعارض، يُمنح لسنة واحدة قابلة للتجديد بالرضى الضمني

حين أصدر رئيس الجمهورية فؤاد شهاب، عام 1964، نظام استثمار الاملاك العامة البحرية غير المستثمرة، نص على وجوب أن يتضمن مرسوم الترخيص النهائي بالإشغال العقوبات الممكن اتخاذها في حق صاحب العلاقة، في حال عدم تقيّده بالشروط المفروضة، فضلا عن هدم أجزاء الأبنية المخالفة للترخيص على نفقته من دون تعويض، ومصادرة التأمينات، والغاء رخصة الإشغال، ومنع استثمار المؤسسة.

في كل مرة تجدد فيها الحكومة ترخيص إشغال هذه الأملاك او تمنح ترخيصاً، عليها أن تحدد قيمة البدل المترتب على صاحب العلاقة دفعه سنوياً الى الخزينة، على أن يؤخذ في الاعتبار في تحديد هذه القيمة، موقع الاملاك العامة وأهمية المشروع واحتمالات الربح المعقول جنيه منه.

في عهد الرئيس الياس الهراوي، صدر المرسوم رقم 2522 تاريخ 1992/7/15 الذي عدّل اسس تحديد البدلات السنوية المترتبة على الترخيص بالإشغال المؤقت للاملاك العمومية البحرية، ونص على اعتماد الأسس الواردة فيه لتحديد البدلات السنوية المترتبة على الترخيص بالإشغال المؤقت للاملاك العمومية البحرية، إلى أن صدر المرسوم رقم 4217 بتاريخ 2018/12/28 حول تعديل المرسوم رقم 2522، وعدّل أسس تحديد الرسوم السنوية المترتبة على الترخيص بالإشغال المؤقت. ورغم الأزمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، لا تزال الحكومة تفكر بكيفية ترشيد دعم القمح للفقراء، من دون أن تفكر للحظة واحدة في تعديل الرسوم السنوية على الشاغلين القانونيين للأملاك البحرية، بوصفها أبرز أبواب الإيرادات، بشكل يتناسب مع الأرباح المتوقّع جنيها بسبب رفع المؤسسات السياحية والصناعية لأسعارها وأرباحها.

علما أن الترخيص بإشغال الاملاك العمومية هو، بطبيعته، ترخيص مؤقت وعارض، يُمنح لسنة واحدة قابلة للتجديد بالرضى الضمني، ويمكن الغاؤه في أي وقت ومن دون أي تعويض، ويمكن مراجعته كل خمس سنوات في جملتها او قسم منها بناء على اقتراح احدى الدوائر ذات الشأن، عملا بالمواد 14 و17 و18 و20 من القرار 144/س 1925.

حتى عام 1932، كان عدد الإجازات بإشغال الأملاك البحرية يبلغ 32 إجازة أعطتها الحكومة اللبنانية إبان الانتداب. أما اليوم فعدد الاعتداءات على الأملاك البحرية يفوق عدد الإجازات بإشغالها، سيّما حين تمنح الحكومة شخصاً معيناً الإجازة بإشغال مساحة معيّنة فيستغلها ليضم جزءاً آخر تفوق مساحته مساحة تلك المجازة له، الى أن قارب العدد 1000 اعتداء على الأملاك البحرية (راجع «الأخبار»، 3 كانون الأول 2019)

يصرّ ديوان المحاسبة، في كل مرة يستشار فيها حول مسألة الإشغال غير القانوني للاملاك البحرية، على تبنّي رأيه المتكرّر دوماً، وهو وجوب الهدم على نفقة المخالف. فبموجب الرأي رقم 96/49 بتاريخ 1996/11/6 الصادر عن ديوان المحاسبة، أصر الديوان على انه «يُهدم دون اي تعويض على نفقة ومسؤولية المخالف الابنية واجزاء الابنية المنشأة في الأملاك العمومية»، الأمر الذي يقتضي معه هدم المنشآت التي أقيمت في الأملاك العمومية البحرية من دون ترخيص قانوني من السلطات المختصة.

وورد ايضا في المادة 23 من القرار رقم 144/س الصادر بتاريخ 10 حزيران 1925، والمتعلق بالاملاك العمومية، انه تقرر العقوبات الادارية والقضائية مع حفظ حق الادارة بالمطالبة بالتعويض عن الضرر وبهدم الاشغال المقامة بصورة غير مشروعة على الاملاك العامة او مناطق الارتفاقات «عفواً وبدون حاجة لأي معاملة»، وهذه العبارة تعني فوراً وتلقائيا وحكما ومن دون الحاجة لأي قرار من أحد.

عام 1974، أصدر وزير الاشغال العامة والنقل فؤاد غصن ووزير الداخلية بهيج تقي الدين قرارا مشتركا حمل الرقم 1/7 / 1974 حول اجراء تعاون وثيق وتنسيق العمل بين جهازي كل من المديرية العامة للنقل - مصلحة النقل البحري والمديرية العامة لقوى الأمن الداخلي - سرية الشواطئ في كل ما يتعلق بالمخالفات والتعديات الحاصلة على الاملاك العامة البحرية وتنفيذ القوانين بشأنها. ولكن لم يتم تنفيذ القرار لاعتبارات عدة، أهمها نشوب الحرب الأهلية عام 1975.

دأبت السلطتان التنفيذية والتشريعية على استصدار نصوص لمعالجة هذه المخالفات عبر إجازة تسويتها، أي بمعنى أوضح تشرعها مقابل مبلغ مالي يُدفع للخزينة. وأبرز هذه التشريعات كان المرسوم الاشتراعي 1983/144 الذي تراوحت فيه الغرامات بين ثلاثة أضعاف وستة أضعاف البدل المحدد بموجب المرسوم العائد لتعريفات إشغال الاملاك البحرية، إلى أن صدر القانون 2017/64.

دأبت السلطتان التنفيذية والتشريعية على استصدار نصوص لمعالجة هذه المخالفات عبر إجازة تسويتها

حين صدر القانون رقم /324/ تاريخ 1994/3/24 المتعلق بتسوية مخالفات البناء بين 1964/3/26 و1994/1/1، نص في الفقرة /ج/ من مادته /3/، على أنه «في حال الاملاك البحرية فلا تخضع لاية تسوية حتى صدور القانون الخاص بها»، ما يعني أنه أخرج التعديات على الاملاك البحرية، كلياً، من دائرة تطبيق احكامه، سواء لجهة الغرامة او لجهة التسوية، ما كان يقضي بوجوب هدمها وتطبيق المادة 23 من القرار رقم 144/س. إلا أن الإدارة استمرّت بغض النظر عن المخالفات، لا بل انها استمرت بإعطاء تراخيص الصيانة الموسمية للمعتدين، مستندة الى رأي هيئة الاستشارات والتشريع في وزارة العدل رقم 2007/173 الذي ورد فيه أنه يكون مسوّغاً للادارة أن تستمر في اعطاء تراخيص الصيانة الموسمية للانشاءات الثابتة وغير الثابتة المقامة بالتعدي على الاملاك العمومية البحرية للمؤسسات السياحية والمسابح، كما درجت عليه في السابق، الى حين معالجة موضوع التعديات على الاملاك البحرية، اذا كان القيام بأعمال الصيانة تلك لا يغير من واقع المخالفة، ولا يشكل تكراراً للتعدي. وقد سبق لهذه الهيئة ان افتت بأن اشغال الاملاك العمومية البحرية، من دون انقطاع ومن دون مسوّغ قانوني، يعتبر من قبيل الاستمرارية في المخالفة وليس التكرار، وان القيام باعمال جديدة كأعمال التبليط فقط على المساحة المعتدى عليها لا يغير من واقع المخالفة التي تبقى مستمرة، وبالتالي لا يمكن اعتبارها تكراراً للتعدي، وانه يعود للادارة ان تعطي مثل هذه الموافقات طالما انها لا تغير من واقع المخالفة، انما مع وجوب مراعاة التعميم الصادر عن رئيس مجلس الوزراء بهذا الخصوص، والذي يتضمن ابلاغ المديرية العامة لقوى الامن الداخلي للابعاز الى مفرزة الشواطىء المعنية بمراقبة الاشغال منعاً لاي تعد جديد على الاملاك العمومية البحرية اثناء تنفيذ الاشغال المرخصة على العقارات.

عام 2017، تناولت المادة 11 من قانون تعديل واستحداث بعض الضرائب والرسوم اي القانون رقم 64 بتاريخ 2017/10/20، التعديات الواقعة على الأملاك العامة البحرية المشغولة قبل 1994/1/1 خلافاً للقانون، وحددت قيمة الغرامات السنوية الواجب تسديدها، اعتباراً من 1994/1/1 وبناء على القانون 132 تاريخ 2019/4/30، على المخالف ان يتقدم من الادارة في مهلة مدتها ستة أشهر من تاريخ نشر القانون 132 تاريخ 2019/4/30 بطلب معالجة وضعه والسماح له بالاشغال المؤقت. ومنذ ذلك الحين لا تزال المهل تتمدّد بقوانين آخرها قانون تعليق المهل الصادر في جلسة مجلس النواب في 29 آذار 2022.

الماده 1

تبقى الاملاك العامة البحرية باستعمال العموم ولا يكتسب عليها لمنفعة احد اي حق يخول اقفالها لمصلحة خاصة. اما السماح بتخصيص جزء من الشاطئ لاستعمال افراد او مجموعات وحصر هذا الانتفاع بهم دون سواهم، فيكون عملا استثنائيا

من نظام إشغال الاملاك العامة البحرية

(هيثم الموسوي)

صورة عن إجازات الإشغال في العام 1932

◆ جريمة في الأدب

القصص البوليسية في قبضة القرّاء

رواية من نوع آخر

«خُنقت امرأة حتى الموت باليدين. ثم دُفعت جثتها للأعلى داخل مدخنة ووُجه رأسها للأسفل. لا يستخدم القتلة المعتادون مثل هذه الطرق في القتل. في ما يتعلق بدفع الجثة داخل المدخنة للأعلى، يجب ان تعترف بأن هناك إمرا شديد الغرابة: امرا مضادًا تمامًا لافكارنا العامة عن الفعل البشري. حتى لو كان الفاعل من اكثر البشر انحرافا. كذلك، فكّر في مدى عظم القوة التي يمكنها دفع جثة للأعلى داخل هذا المنفذ عنوة. في الوقت الذي كانت فيه قوة العديد من الأشخاص كافية بالكاد لتُخرج الجثة».

إدغار آلان بو
جريمتا شارع مورغ

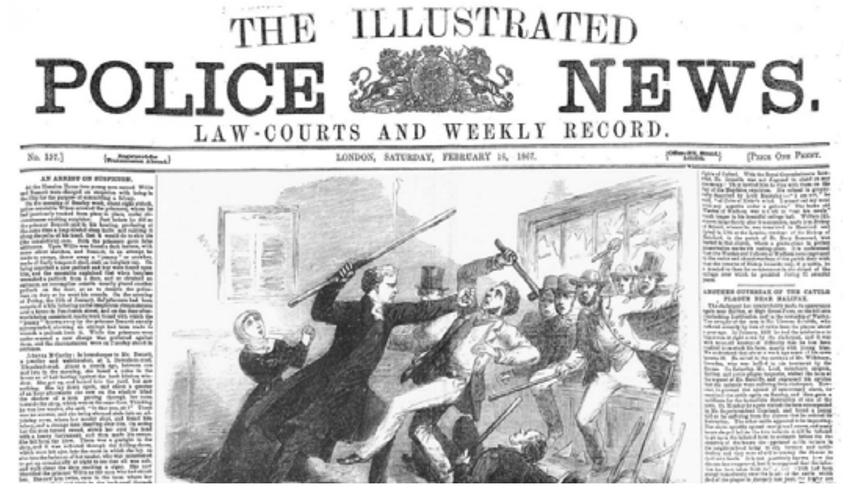
THE ILLUSTRATED
POLICE NEWS.
LAW-COURTS AND WEEKLY RECORD.
No. 137.] LONDON, SATURDAY, FEBRUARY 16, 1867. [Price One Penny.

■ محمد الصغير

العاشر من نيسان 1836، في تمام الثالثة فجراً، اكتشفت روزيـنا تاونسند جُثّة جيوبت دوركاس دوين، وهي فتاة تعمل لديها بالدعارة في منزل في نيويورك. بحسب تقرير الطب الشرعي، تمّ ضرب الضحيّة بجسم حاد (بلّطة) على رأسها، وأضرم القاتل النار في السرير ثمّ لاذ بالفرار، فاحترقت الجُثّة من جهةٍ واحدة.

خلبت الجريمة بتَفاصيلها صحافية غير مسبوقة، وانقسم تعاطف المراسلين والصحف بين الضحية والمتّهم ريتشارد روينسون، وهو شاب يبلغ من العمر 19 عامًا، كان من زبائن الضحية الدائمين.

ساهمت هذه القضية، مع غيرها من الجرائم العنيفة التي وقعت في القرن التاسع عشر، في ظهور صحافة التابلويد، أو صحافة الفضائح، التي تلاحق أخبار المشاهير والنجوم والجرائم والشائعات: اغتيال إبراهم لنكولن، محاكمة ليزي بوردن، قتل ويليام بوول أو بيل بوول (Bill the butcher) زعيم عصابة Washington Street Gang.

تدريجيًا، وعلى مراحل، بدأ بعض الكتاب بنقل التجربة إلى خارج صحافة الفضائح، ليتبلور الشكل الثاني للأدب البوليسي من خلال القصص القصيرة التي نشرت في الجرائد والمجلات خارج صفحات الحوادث، ومن خلال الروايات والمجموعات القصصية للبالغين والأطفال.

كلّفت بعض الجرائد محققين متخصصين ونشرت روايات عن الجرائم على حلقات عدة. ووظّف الكتّاب ورؤساء التحرير علاقاتهم وصلاتهم بأجهزة الدولة وسياسيين للحصول على محاضر التحقيق، وبدأ إدخال الأساليب الفنية في صياغة الأحداث، ما ساهم في نقل الأدب البوليسي من محاضر التحقيق والنظرة القضائية واللغة التقنية التي تعرض الوقائع مرفقة بالأدلة ضمن نصوص وقوالب تحتكرها السلطة القضائية، إلى قالب مشوّق يجذب القارئ المتعطش لمتابعة تلك الأخبار.

صُنّف إدغار آلان بو (1809-1849) كأب الروحي للقصة البوليسية الحديثة، وهو أول كاتب وناقد أدبي أميركي معروف حاول كسب لقمة العيش من الكتابة. المعالم الأساسية التي وضعها بو في قصصه البوليسية الثلاث طبعت الأدب البوليسي الخيا لي إلى يومنا هذا، وتحول الكثير من هذه الأعمال إلى أفلام ومسلسلات بمواسم عديدة.

وكانت الرواية البوليسية قد انتقلت من انكلترا وفرنسا الى الولايات المتحدة الأميركية في أوائل القرن التاسع عشر، ولم تظهر في اسبانيا الا سنة 1973 بعد رحيل فرانكو. وكتب كُل بلد روايته بحسب ثقافته وتطور نظامه السياسي والاقتصادي.

اختلاف مفهوم رجل الدولة والقانون بين الثقافتين الغربية والعربية، ساهم إلى حد بعيد في اختلاف نظرة النقاد والجمهور على حد سواء، وعليه سيختلف الحكم على أي نوع أدبي بين بلد وآخر، إن لم يتم تقنينه وفقًا لثقافة المجتمع ومفهوم الدولة.

ربطًا بمفهوم التقنين، وكيفية فهم كُل حضارة لقصّة الجريمة وتعبيرها عنها نستطيع العودة إلى الأصل:

هناك من أشار إلى أنّ الرواية البوليسية في الغرب تشكل استمرارية لتراث شرقي، سواء كان فارسيًا (أسطورة الأمراء الثلاثة لسرنديب) أو عربيًا: (قصص ألف ليلة وليلة - «حكاية التفاحات الثلاث») أو حتّى فرعونيًا (قصّة قتل سيت لأوزيريس ووضعه في صندوق وإلقائه في النيل).

لم نكن معزولين في عالمنا العربي عن الأدب البوليسي الذي تمتع بانتشار كبير رغم قلّة إنتاجه، ورغم وصول الأمر ببعض النقاد إلى حدّ تحقيره ووصفه بأدب التسلية المُوجّه للمراهقين، مما دفع بكثير من الكُتّاب إلى العزوف عنه.

يُضاف إلى ذلك مسألة التصنيف بحدّ ذاتها: هل هي وفق رأي الناقد؟ أم وفق رأي أصحاب الاختصاص (المحققين الجنائيين)؟ أم وفق المضمون الذي يعتمد على عناصر الجريمة والتحقيق، ما يعني خروج الكثير من الروايات من أطار الأدب البوليسي، مثل رواية غسان كنفاني «الشيء الآخر». من قتل ليلى الحايك»، إذ أنها أشبه بمحاكمة طويلة بين المتهم والقاضي، وفي جزءٍ كبير منها مونولوغ داخلي للبطل. لاستكمال الفكرة. لنأخذ مفردة «بوليس»، الرابط المباشر في ذهن المُتَلقي لها هو القمع والبطش وربّما الفساد، وغياب كُلّي لمبدأ حفظ النظام وتطبيق القانون.

أنواع الروايات البوليسية

■ **الجريمة الدافئة:**
ذات شعبية كبيرة، لا تحتوي مشاهد عنف ودم أو جنس، غالبًا تدور أحداثها في الطبقة الوسطى من المجتمع، وعند حلّ لغز الجريمة، يعود الجميع لممارسة حياته الطبيعية، مطمئنين بأن القاتل قد تمّ إلقاء القبض عليه.

■ **الغرفة المغلقة:**
سُميت كذلك لأن الجريمة تحصل ضمن ظروف شبه مستحيلة، مما يُصّعب من عملية حلّ اللغز، والقبض على القاتل.

■ **Hard boild:**
وهي عكس الجريمة الدافئة، تحوي مشاهد عنف وجنس، وترتبط غالبًا بقتلة متسلسلين، أو مرضى نفسيين.

■ **المحقق الخاص:**
التي تُركّز على المحقق - وليس الشرطة - الذي يجمع القرائن والأدلة للقبض على المجرم وتسليمه للعدالة.

■ **قاعة المحكمة:**
التي تستعرض سير المحاكمة لمجرم وراء القضبان، وهكذا نوع من الروايات يستخدم تقنية الفلاش باك في الكتابة، لاستعراض الأحداث السابقة للجريمة.

■ **الدراما القانونية:**
شبيهة بقاعة المحكمة، إلا أن الأحداث لا تجري كُلّها داخل قاعة المحكمة، وعمليات التحقيق تقع على عاتق الفريق القانوني.

بين الواقع والخيال

لا بُدَّ من الإشارة إلى نُقطةٍ مهمة في الأدب البوليسي الخيالي، التحقيق الجنائي الواقعي يستند على أسس علمية وقانونية، ويعتمد على الأدلة المجموعة من مسرح الجريمة تبعًا لنوع الجريمة، والتي يتم تغليفها وتخزينها وفقًا للأصول، وتُصنّف

> يضعنا إدغار آلان بو امام نموذج اولي لشخصية المحقق في الادب البوليسي الخيالي ما زال مستمرًا حتى اليوم

تبعًا لقيمتها الدلالية. أما في ما يتعلق بطريقة عمل المحققين في الأدب البوليسي الخيالي من أمثال دوبان وشرلوك هولمز، فهم يتّكلون على أدلّةٍ يُقال لها أدلة ظرفية، لا يمكن الاعتماد عليها بشكل مستقل في القضايا الجنائية، وتُعتَبَر أدلة مساعدة للدلائل الأساسية. مثال على ذلك وجود بصمة تعود لشخص في مكان عام حصلت فيه جريمة، إذ أن أصل وجود البصمة في هذا المكان دليل ظرفي لا يُمكن الإتكال عليه للجزم بهوية القاتل، لعدم القدرة على الربط بين البصمة والجريمة لأنه مكانٍ عام.

جريمتا شارع مورغ - إدغار آلان بو (1841)

قصة قصيرة نُشرت عام 1841 في مجلة غراهام، ومن أولى القصص التي ازدهرت وصُنّفت كأدب بوليسي، قدّم فيها بو شخصية المحقق سير أوغست دوبان الذي يحاول حلّ لغز جريمة قتل مزدوجة لسيدة عجوز وابنتها في شارع مورغ، وهو شارع خيالي في باريس (يُقال بأن قصتها حقيقية وتدعى سيسيليا روجرز)، وقد تكرر ظهور دوبان في قصتين بعدها: «غموض ماري روجيت» (1842)، و«الرسالة المسروقة» (1844).

لم يكن دوبان رجل أمن محترفاً، بل سليل أسرةٍ غنية تحوّل إلى الفقر، اعتزل الناس والمجتمع معتمِدًا على المتبقي من إرث عائلته، وبعد اتباعه نظامًا صارمًا للمصاريف، انصرف لقراءة الكتب وتمضية الوقت مع صديقه المجهول.

اعتمد في حلّ قضاياه الثلاث على التحليل والاستنتاج، وهذا ما يظهر جليًا منذ بداية القصّة، وفي الاقتباس الوارد في المقدمة، يقودنا بأسلوب مشوق على لسان راوٍ مجهول، ليُشرح الفوارق بين التحليل والحسابات الرياضية، والتمييز بين لعبة الشطرنج المعقدة بتنوع قطعها وخططها ولعبة الداما البسيطة، عدد الاحتمالات، تضاعف فرص السهو والخطأ، ليعود مرّةً أخرى ويرفع مستوى التحدي أمام القارئ، بإبرازه أهمية التركيز، فينقله للعبة الورق الروسية «الهويست»، والتي تطورت لاحقًا في بريطانيا تحت إسم «بريدج» بعد وضع قوانين لها وتحويلها الى لعبة تعتمد على الذكاء بشكل كُلّي، لتصبح صراعًا حقيقيًا بين العقول.

يضعنا بو أمام نموذج أولي لشخصية المحقق في الأدب البوليسي الخيالي، ما زال مستمرًا حتى اليوم، فيُبرزّ الـ Skeleton Key العقلي لبطل يمتلك صفات أصبحت شائعة ونمطية لدى محققين أمثال: شارلوك هولمز (للكاتب ارثر كونان دويل) وهركول بوارو (أغاثا كريستي)، حتى أنها طبعت أبطال هذا الأدب ومعالمه بصفات ثابتة: محقق غريب الأطوار إلا أنه بارع، يدّخن الغليون، يستهزئ بعناصر الشرطة ويظهرهم كأغبياء، الراوي بصيغة المتكلم على لسان الصديق الشخصي للمحقق (الدكتور واطسن صديق شارلوك هولمز، الراوي غير المسمى صديق دوبان)، سرد قصة الجريمة حينما يعلن المحقق الحل، وإبراز الأسلوب التحليلي في التحقيق وليس بالتجربة والخطأ للوصول إلى المجرم.

«يجب علينا عدم الحكم على وسيلة ارتكاب الجريمة بهدأ الفحص السطحيّ. وشرطة باريس، التي يُشاد بذكائها، لا تتمتّع بما هو أكثر من هذا؛ فهم لا يمتلكون أيّ منهجية في إجراءاتهم بخلاف المنهج التلقيني».

يتشارك الصديقان السكن في قصر دوبان القديم ولا يخرجان إلّا ليلًا، بدون أيّ ذِكر مسبق للموضوع، وخلال إحدى نزهاتهما الليلية، يستعرض المحقق أمام صديقه مهاراته، من خلال تحليله لرأي الراوي بممثل تراجيدي فاشل، رغم أنه لم ينطق بأيّ شيء قرأ دوبان أفكاره، وأخبره بأنه يتناسب أكثر مع مسرح المنوعات، ثمّ قام بسلسلة طويلة من الاستدلال ليشرح له التسلسل المنطقي لأفكاره، واستعمل خلال التحليل: لغة الجسد، علم الفلك، الهندسة وتقطيع الحجارة، مقال نقدي للممثل في صحيفة محلية ظهرت فيه جملة لأتينية.

يتتابع السرد ويقوم بعدها دوبان بالتعاون مع الراوي وباتباع نفس أسلوب التحليل بحلّ لغز شارع مورغ، ليتبين لاحقًا بأن القضية تندرج تحت صنف الغرف المغلقة، حيث لا إمكانية للخروج والدخول من وإلى مسرح الجريمة، وأن القاتل هو حيوان الأورانجوتان، أو «إنسان الغاب»، الذي هرب من أحد البحارة أخذًا معه موسًا للحلاقة ليقلّد به صاحبه، يتسلق الحائط ويدخل من نافذة المنزل، فيقوم بذبح الأم بعد أن خاف من صراخها، ويخنق الابنة ويقوم بتعليقها داخل المدخنة.

> الكلمات لا تملك القوة للتأثير بدون الرعب الرائع لواقعها
>
> إدغار الان بو (1809-1849)

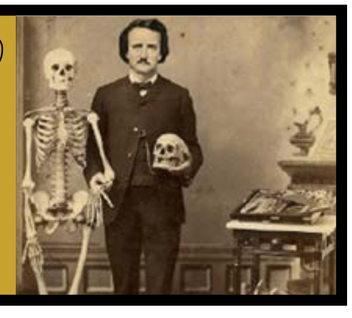

الشهيد غسان كنفاني في عيد ميلاده الـ86

من قتل ليلى الحايكَ؟

في 25 حزيران 1966، بدأت مجلة الحوادث الأسبوعية في بيروت بنشر رواية «الشيء الآخر، من قتل ليلى الحايك» لغسان كنفاني (9 نيسان 1936- 8 تموز 1972). تسع حلقات متتالية شكّلت نوعًا جديدًا من الأدب المختلف للكاتب الفلسطيني الملتزم بقضيته، واللواء الفكري المسلَّح كما وصفته غولدا مائير بعد اغتياله.

في البداية يتبادر للذهن أن ليلى الحايك هي إحدى المناضلات الفلسطينيات التي يُجسِّد كنفاني قصّتها. لكن، مع تتابع الصفحات، نجد أنفسنا أمام رواية تدور أحداثها حول محامٍ مشهور يُتهم بقتلِ عشيقته، فيُفضِّل الصمت وعدم الدفاع عن نفسه.

الرواية في شكلها بوليسية، إلا أنها في المضمون لربَّما تكون روايةً قضائية، ونوعاً لم نألفه في أعمال كنفاني من دون أن تبتعد عن روحه الثورية المشاكسة. إذ أن العالم الذي حبكه يتمحور حول حرِّية الفرد، والقضايا الوجودية الإنسانية التي يواجهها الفرد في حياته، مثل الحب والزواج والخيانة الزوجية، والعدالة الانسانية المنقوصة، التي تحكم على الفرد من خلال القانون والعُرف البشري القاصر، والمبتعد كُل البعد عن المفهوم الأساسي للعدل والإنصاف.

مع علمنا المسبق ببراءة البطل (صالح)، يطرح كنفاني في الرواية العديد من الأسئلة التي تدفع القارئ للتأمل في النظام القضائي وفي الجريمة بحدِّ ذاتها.

ينظر القضاء للأدلة الظرفية والقوية التي يتم جمعها من مسرح الجريمة، ولا يهتم للانفعالات البشرية والمصادفات، فتصبح الجريمة وفق الحكم القضائي عليها بالنسبة لكنفاني مسطّحة تعتمد على البراهين والدلائل، وتُسقِط الجانب الإنساني في كثير من الأحيان. فيُعرِّف الجريمة على أنَّها سلوك ذاتي، يرتكبها الفرد في بعض الأحيان دونما تخطيط، بينما العدالة تلجأ للانتقام، وتخطط لوسيلة الانتقام، فهل العدالة اجراء انتقامي؟ هذه مفارقة صعبة تجعل العدالة الإنسانية شيئًا وهميًا، وغير قابل للتحقق.

لماذا لا يقبل القانون الغضب، ويعمد في المقابل إلى استعمال أدوات الغضب لفرض سطوته؟

الكاتب الذي عوَّد قراءه على الأدب الملتزم (سرير رقم12، أرض البرتقال الحزين، رجال في الشمس، أم سعد)، نراه ينفض الغبار عن المسكوت عنه في المجتمع، فيعرّيه ويفضحه، ويأخذ كل الإشكاليات التي طرحها في البداية، ليحاكم الواقع المتناقض للمجتمعات التي يحكمها القانون والعرف، والنفاق الأخلاقي والاجتماعي، وهي من الأسس والثوابت غير القابلة للمس.

أتت الرواية لتكشف وعيًا سرديًا جديدًا وخبرةً تقنيةً عالية، ولتعكس شفافيةً وواقعية خلقا عالمًا من الفانتازيا والطرافة في بعض الأحيان، فهي لا تفرق بين الظاهر المثالي، والمُخبأ المُشين بنظر المجتمع، والذي يُفعَل في السِّر، حتّى لو كان هذا المُخبَّأ فعلًا إنسانيًا وأخلاقيًا صحيحا.

هي رواية وجودية بمضمون قضائي وصِبغةٍ بوليسية، ينتقد فيها كنفاني الأوضاع الاجتماعية ويمتنع عن الاعتراف بشرعية وقيود القوانين المفروضة على الأفراد.

ومن خلال محاكمة صالح، يقوم بإعادة بناء مسرح الجريمة من زاوية المُتَّهَم، رافضًا كُلّ المقولات المُسلَّم بها في العُرف، والتي يُعتَبَر المَس بها من المُحرَّمات، فيلتزم الصمت خلال التحقيقات والمحاكمة، وحتى بعد النُطق بحُكمِ الاعدام، حتى لا يُسيء لزوجَتِه وعشيقته.

لم يهتم كنفاني بالبحث عن القاتل الحقيقي لليلى الحايك، إلا أنه نصب محكمةً أدبية للقضايا الإنسانية الكبرى، فالزوجة بالنسبة له قيمةً اجتماعيةٌ رائعة، والمُتَّهَم يمتلك بُعدًا انسانيًا لا يستطيع القانون والقضاء اغفاله، والنظر اليه بشكلٍ مُجرَّد كمجموعة من الأدلة والبراهين أمر مرفوض. في المُقابل، على هذا الفرد أن يَتَحَمَّل مسؤوليته بشكلٍ كامل تجاه الحُريّة الممنوحة له.

«كانت القضيةُ كُلّها قبل أن يكتشفها القضاء، وبعد أن أصدرَ حُكمَهُ فيها، فوق قُدُراتِنا جَميعًا، ووراء مَنطِقِنا، ولذلك قَضَيتُ كُلّ دقائِقِها صامِتًا كما تعلمون».

محمد..

> يُعرّف كنفاني الجريمة على انّها سلوك ذاتي، يرتكبها الفرد في بعض الاحيان دونما تخطيط، بينما العدالة تلجأ للانتقام، وتخطط لوسيلة الانتقام، فهل العدالة اجراء انتقامي؟

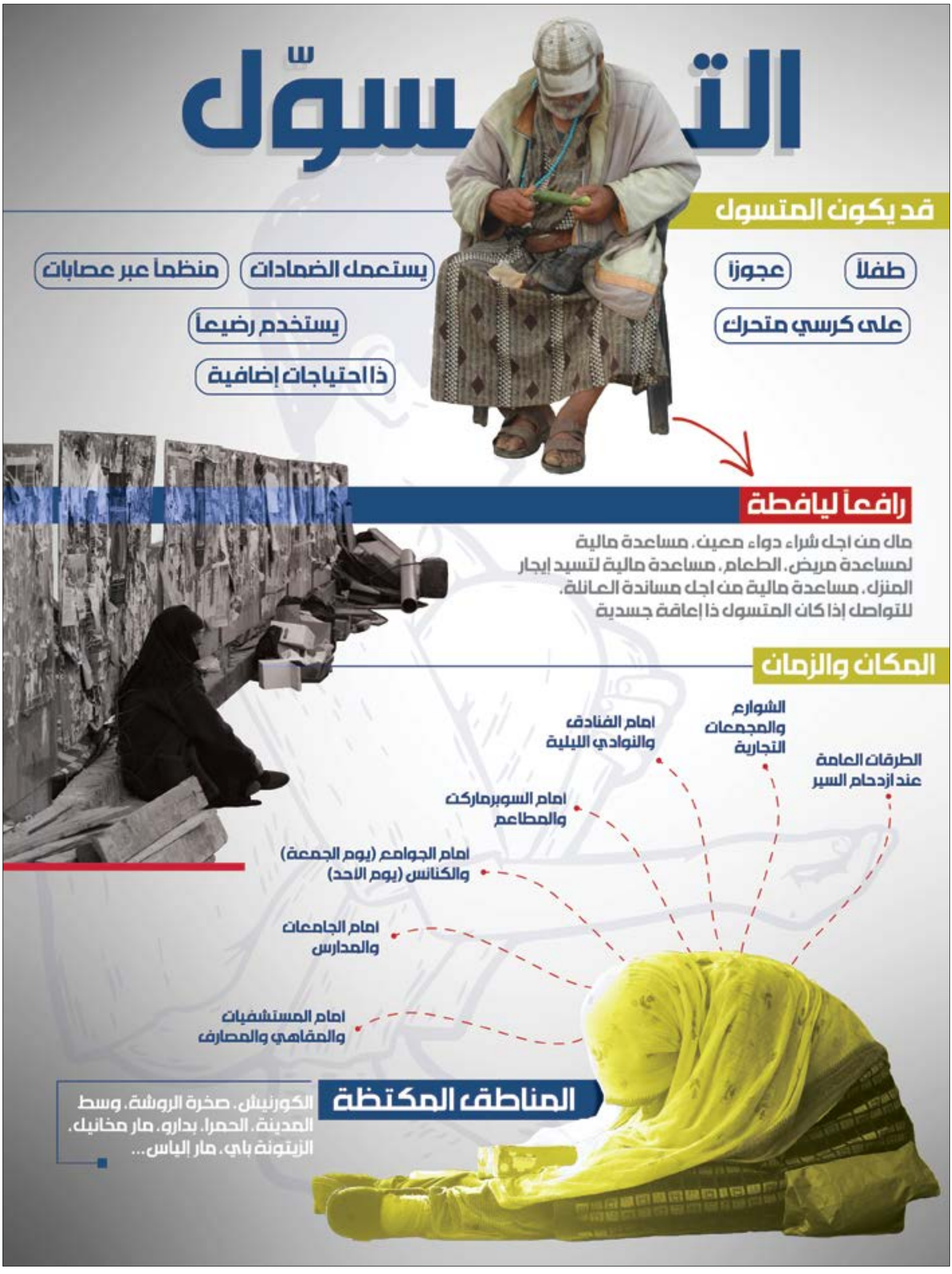

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous
al_qaous
alqaous22
alqaous
01/34 99 54
info@alqaous.com
www.alqaous.com